د. توفيق بوخضر

عبقرية مبكرة لأطفالنا

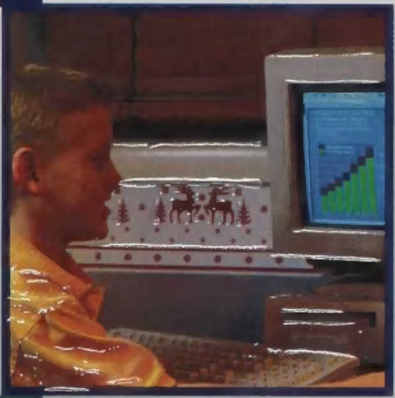

دار المحجة البيضاء

دار المحجة البيضاء

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

١٥٥٫٤
ب ت ع

155.4
ب ت ع

عبقرية مبكرة لأطفالنا

بسم الله الرحمن الرحيم

عبقرية مبكرة لأطفالنا

د. توفيق بوخضر

دار المحجة البيضاء

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

٢٠٠٨م ١٤٢٩هـ

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com

إقرأ قبل أن تقرأ

اعلم سددك خالقك ورفع قدرك، أن العلي الأعلى مالك الآخرة والأولى قد قال في كتابه الكريم وخطابه العظيم ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(١) فقد أشار ربك، وصرح مولاك أن كل كلام غير كلامه وكل نظم غير نظمه لا يخلو من أن يختلف صدره عن عجزه، وآخره عن أوله لأنه قول بشر وهو عين الخطأ والجهل. وأما كلام الله جل جلاله كلاماً واحداً منتظماً سبك سبكاً واحداً ونزل به الروح الأمين على قول جبرائيل على فؤاد الأمين محمد ﷺ؛ لأنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾(٢) وكل من كان قريباً من دائرة التوحيد والنبوة صار أمره إلى الهدى والرشاد. وكلما ابتعد عنهم آل أمره إلى سوء المعاد وكثرة الفساد. وإني لا أدعي فيما أكتبه حقاً ولا أتعمده باطلاً فإن رأيت حقاً وشاهدت صواباً. فاعلم أنه من معدن الوحي أساسه، ومن منهل النبوة اعتماده، ومن أسرار الإسلام اقتباسه. فإن سرك ذلك وأثلج فؤادك فارفع يديك إلى الله مبتهلاً وناجه شاكراً أن يزيد في توفيقاته لي وأن يرزقني حلماً وعلماً واجتهاداً أثابر به لنشر الدين ولرفع راية المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

وإن لمحت خطأً ورمقت اشتباهاً فيما خطت يدي لغفلة أو سهو أو

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

لقصور معرفة لما تقتضيه طبيعة البشر ولما عليه الأثر، فتداركني بالقول الصحيح ولا تكن فيما أعطاك الله شحيحاً، فعندها أكن لك من الشاكرين وأثني عليك بين العالمين، وإن سبق الحق والموت قبل نصحك وإعلامك وتوضيحك فادع لي الله بالمغفرة والتجاوز عن الخطيئة والحشر مع الصديقين والأنبياء والمرسلين وحسن أولئك رفيقاً.

وليكن ديدنك الدعاء لي بالتوفيق والمغفرة كلما تصفحت كتابي وسنح فكرك نحوي واتجاهي لتصبح ممن قال عنهم الله في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

الإهداء
حياتي بين حادثتين

○ الحادثة الأولى:

في يوم من سنيني الأولى وكان عمري آنذاك ست سنوات أو سبع ولم أتجاوز الثامنة خالفت أمراً لأبي، خرجت في الظهيرة الحارقة لكي ألعب.. ولم ألتفت إلى دروسي ولم أعمل ما كلّفني أبي به.. رجع من عمله فسأل عما ندبني إليه فلم يجد جواباً.

استعلم عن دروسي فكان الصمت هو الجواب.

عندها لم يجد هذا الأب إلا أن يؤدّب ابنه (الذي هو أنا) قام فضربني.. وكان طبيعياً أن يضربني.. ولكن الغريب بعد ذلك أنه قال لي: لقد أصبحت رجلاً... ومن اليوم لن أضربك مرّة أخرى... وكانت هذه الكلمة مثل الدستور وفعلاً صدق فيما قال.. فلم أذكر في حياتي أن أبي مدَّ يده عليَّ غير هذه المرة..

○ الحادثة الثانية:

بعد تلك الحادثة بعشر سنوات تقريباً. بينما كنت جالساً أقرأ.. وإذا بصوت أبي يناديني.. ذهبت نحوه مستجيباً فما أن رآني حتى سألني أي الألوان أفضل لصباغة سور الحديقة؟ فشرعت في الجواب... في أثناء ذلك مرَّ أخي الصغير كميل وكان آنذاك لا يتجاوز أربع سنوات.. فسأله أبي نفس سؤالي.. فتعجبت من أبي! فقلت له: لماذا تسأله وأنت لن تسمع له؟

فأجاب: أعلم ذلك ولكني أردته أن يتكلم.. أكملت جوابي ولم أفهم جوابه إلا بعد سنين وسنين عرفت معنى الجواب.

وأنا كلما تذكرت هاتين الحادثتين عرفت كيف صرت أنا أنا.

فأب ربّى أبناءه على أن يحترمهم ويحافظ على كرامتهم وأنهم كبار حتى في صغرهم.

أب أطلق الحرية لأبنائه لكي يُعبّروا عن آرائهم حتى لو كانت خطأ في نظره.

أب مثل هذا يستحق أن يُجلّ وأن يحترم وأن يقدم له الكثير الكثير.

وها أنذا يا أبت أقدم كتابي هذا بين يديك هدية متواضعة لك، ولوالدتي الحنونة التي تضمّني بحنانها وعطفها ودعائها؛ لأنكما أنتما فقط وفقط من يستحق هذا وأكثر.

ابنكم المقصر
توفيق بو خضر

المُقَدِّمة

هناك حلم يجول في خاطر كل إنسان، وأمنية يتمناها كل ذكر وأنثى، وسعادة تكبر كلّما ترعرع طفل في أحضان والديه، وأنشودة يتغنى الوالدان بها بابا وماما..

هاتان الكلمتان الصادرتان من فم الطفولة ومنبع الطهر ونداء البراءة هما الحلم الذي دعا آدم ليتقدم إلى حواء ويقدم كدح الأيام، والعناء والتعب ليحصل على مهر لها، وهما أيضاً الحكم الذي جعل حواء تنزل من عرش كبريائها لخدمة آدم من أجل طفل يحمل اسمهما غداً ويخلد بقاءهم. فانبثقت هذه الرغبة في قلب الكل حتى ذُرفت الدموع ومُدّت الأيادي إلى الله سبحانه وتعالى، ومِنْ ضمنهم الأنبياء؛ فهذا القرآن ينقل رغبة نبي من أنبيائه، ودعوة سجّلها القرآن لترتل على مرِّ العصور: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾(١).

فيكلل الله ذلك الدعاء بأن يرزقه ولداً صالحاً. وكيف لا يدعو الأنبياء بهذا وقد جعلها الله بشرى لهم؟! فهذه ملائكة الرحمة تزفُّ البشرى لنبيه إبراهيم عليه السلام بغلام فيقول تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾(٢).

ألم يجعل الله البنين زينة الحياة الدنيا فقال عزّ من قائل: ﴿ٱلْمَالُ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٩.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٨.

وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾(١).

فماذا ينفع السلطان أو الوجاهة أو المال من غير ولد يملأ عليه حياته بهجةً ومرحاً، ودون أن يسمع نداء الأبوة والأمومة؟

فماذا ينفع السلطان والمال أو ماذا تنفع الوجاهة من غير ولد؟ لكن أي ولد؟

هل هو مطلق الولد أم ذلك الذي يكون قرة عين لأبيه وأمه؟

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(٢).

نعم، لا شك أن الولد الصالح هو الذي يكون مصداقاً لقرة العين.

ألم يرسل الله رسولاً لكي يقتل ولداً خاف أن يرهق ويتعب والديه ليبدله بآخر صالح؟

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾(٣).

وفي معرض الجواب عن هذا الاستفسار يقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾(٤).

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٧٤.
(٤) سورة الكهف، الآيتان: ٨٠ - ٨١.

وهنا يقف الإنسان حائراً متخبّطاً يبحث عن سُبُل النجاة التي ترفع عن كاهله عناء التجربة أو عظم المصيبة في درب حياته، يريد أن يحصل على فلذة الكبد وبغية الفؤاد خالياً من الشوائب. يسعد به ويستند عليه أو يجعله عصاً لأيامه. ويزداد الإنسان تخبطاً وحيرة عندما يرى أُناساً في غاية الكمال الدنيوي وقد نكس رؤوسهم أبناؤهم، ويشاهد فقراء يسعون للحصول على لقمة العيش قد رفعت أعناقهم وشامخت الجبال طولاً لرفعة أبنائها.

فما سر هذه الظاهرة يا ترى؟

هل هي مجرد حظوظ أم هناك ضوابط يجب أن تراعى ويسار عليها؟

لذا حاولنا بكل ما أوتينا من قدرة وتوفيق أن نستلهم من بيت النبوة الإجابة على كل ما يدور في الخاطر، ويجول في الذهن من غرر حكمهم ودررهم المنثورة في أوساط أمّهات الكتب. وعقدنا بها مختصراً يحاول أن يساعد القارئ الكريم على فهم أسرار هذه المراحل وبشكل مبسط حتى لا يسأم قارئه منه، ولا يمل مراجعته.

فقسمنا هذا الكتاب إلى عدة أقسام:

القسم الأول: قبل الحمل.

القسم الثاني: أثناء الحمل.

القسم الثالث: بعد الحمل.

وبالله نبدأ وبه نستعين.

الباب الأول

مدخل

وقد لا تدوم تلك السعادة طويلاً حينما يجد المرء الحسرة في فؤاده، والألم في قلبه وهو يرى ابنه قد تخلّف عن ركب المتفوقين والمتميزين في عالم الطفولة. فأين ولده من طفل يحفظ القرآن بأجمعه عن ظهر قلب؟ أين طفله من ذلك الفتى الذي يقف في مجلس الخلفاء ليدلي لهم بالنصح؟ وأين ولده من المخترعين المتفوقين؟

فهل هنالك سر يجعل هذا أذكى من ذلك، أو ذاك أعقل من هذا؟

قد تقول: إنه موهبة أو رزق من الله لا شيء آخر، ولكن الحق هو أنه يوجد شيء آخر وهو يتوقف عليك آنفاً أكثر من ولدك. وذلك لأننا في عالم الأسباب والمسببات؛ فقد ذكر الله عن ذي القرنين كيف استطاع أن يحقق ما عجز عنه غيره أنه مُكّن في الأسباب وأنه اتبعها. قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾(١).

ولا شك أننا في عالم العلل والمعلولات وأن الأمور تجري وفق نظام متكامل لا يمكن تغييره، قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾(٢).

فمن عرف سنّة الله وكيف يدبر الله الأمور تمكن من تحقيق ما يرغب فيه وفق نظام سماوي، ولاسيما في كونه سنة لا تتغير ولا تتحول. ومما

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٨٤ - ٨٥.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

يؤيد ذلك ما جاء في البحار عن الحسين بن خالد عن إسحاق قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل آتيه أكلّمه بعض كلامي فيعرف كله، ومنهم من آتيه فأكلمه بالكلام فيستوفي كلامي كله ثم يرده عليَّ كما أعطيته، ومنهم من آتيه فأكلمه فيقول: أعد عليّ.

فقال: يا إسحاق أوَما تدري لِمَ هذا؟ قلت: لا.

قال: الذي تكلمه ببعض كلامك فيعرف كله فذاك من عجنت نطفته بعقل. وأما الذي تكلمه فيستوفي كلامك ثم يجيبك على كلامك فذاك الذي ركب عقله في بطن أمّه. وأما الذي تكلمه بالكلام فيقول أعد عليَّ فذاك الذي ركب عقله فيه بعدما كبر فهو يقول أعد عليَّ»(١).

أما كيف يتوقف الأمر عليك أكثر من ولدك؟

ففي معرض الجواب نقول:

أولاً: إن العقل هو وجود مجرد ونور خلقه الله ليتعقل الإنسان به الكمالات والخير، ويحذر الشرور والسيئات.

وقد ذهب بعض سلاطين العلم المعقول والمنقول في معنى العقل بأنه: «مخلوق من النور المنبسط، والفيض الإشراقي؛ ومع أن جميع دار التحقق ظهور للفيض المنبسط وتجلٍ للفيض الإشراقي، فاختصاص العقل الأول أو جميع العقول به لعله لإفادة هذا الطلب أن العالم العقلي هو التجلي التام، وأدلُّ تجلٍ لهذا الفيض ولسائر الموجودات وسائط ووسائل ومن هذه الجهة هي أنوار مختلطة بالظلمات على حسب القرب والبعد والقلة والكثرة..».

---

(١) البحار: ج ١، ص ٩٧، ح رقم ١٠.

وذكر مطالبَ كثيرة وعميقة ذكْرها يخرجنا عن موضوعنا فتركتها لمحلها.

ثانياً: إن الإنسان عندما يريد أن يغشى أهله ويقاربهم ينزل من الرتبة الإنسانية إلى الرتبة الحيوانية وهي حضيض المادة وتعلق بها، وهو بهذه الحالة قد ابتعد عن مصدر الفيوضات الكمالية إلا إذا لم يجعل من عملية الجماع عملية بهيمية بحتة، وجعلها مقترنة بذكر الله محققة لإرادته فلا تخرج من حيز استقبال الفيض حينئذٍ.

فقد قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1] فإذا شارك الشيطان - وهو الجهل والظلام - الرجل في نطفته فكيف يمكن الحصول على العقل والنور في النطفة؟

وقد ذكر فخر العلماء في كتابه (جنود العقل والجهل) ما هذا نصه: «إن حقيقة الجهل الكلي بالمقارنة مع العقل الكلي عبارة عن الوهم الذي هو العالم الكبير الذي يميل بالنفس إلى الشر والكذب والخطأ والفساد، والأوهام الجزئية في العوالم النازلة هي نازلة تلك الحقيقة الباطلة، ولعل الحديث المشهور للرسول الأكرم ﷺ: «إنّ الشيطان يجري مجرى الدم في ابن آدم» إنما هو إحاطة الوهم الكلي بالأوهام الجزئية، أو إشارة إلى الأوهام الجزئية إنما هي نتائج ومظاهر إبليس الكبير».

فإذا تقرّر هذا نقول: إنَّ العقل والجهل أو النور والظلام أمران متقابلان لا يجتمعان في وقت واحد، وحقيقة كل وجود منهما طاردة

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

للوجود الآخر مانعة من تحقق ثبوته، ووجود أحدهما راجع إلى وجود علته التابعة لإرادة الفاعل المختار في فعله، وحيث إن المعلول لا اختيار له في تحققه وإن وجوده قهري له بعد ثبوت المقدمات والعلل الواجبة لوجوبه، فيكون الطفل في بداية تكوينه مسلوبَ القدرة والاختيار، وإنَّ العلل المباشرة لوجوده هي والديه فيكون الأمر راجعاً لهما متوقفاً عليهما.

نقول: فهما اللذان بإمكانهما أن يعطيا ابنهما العقل، أو يؤخّرا عليه هذه النعمة. وهذا الذي نحاول أن نتناوله في البحث.

الفصل الأول
المرحلة الأولى

اقتضت الحكمة الإلهية أنّه لوجود مخلوقٍ جديد لا بدّ أن يكون عبر علاقة بين رجل وامرأة ينتج من خلالها مخلوق آخر لهما بإذن الله، ولمّا كانت الشرائع السماوية تسمو لخلق جيل صالح فقد وجهت جلّ اهتمامها لتهيئة هذا المخلوق الجديد الذي يهيئ للمجتمع المناخ والأسباب التي تدعوه إلى الصلاح.

وأول هذه الأسباب هو اختيار الأب والأم لهذا المولود، والذي يُعَدُّ النواة الأولى لتكوينه. لذا نجد أن كثيراً من الروايات تركز على هذه النقطة وتعطيها من الأهمية الشيء الكثير.

فأنت أيها الشاب، وأنت أيتها الفتاة.

قبل أن تقرّرا الارتباط عليكما أن لا تفكرا في نفسيكما فقط بل في أولادكما في المستقبل.

وأن تسأل أيها الشاب نفسك: هل هذه الفتاة تصلح لأن تكون أماً لأولادك مربية لهم أم لا؟

وأنت أيتها الفتاة لا بد أن تسألي نفسك هذا السؤال أيضاً: هل هذا يصلح لأن يكون أباً لأولادك أم لا؟

هناك ضوابط كثيرة تحدد المعايير التي يجب أن تطبق، والتعرض لها يخرجنا عن هذا المختصر.

المهم أن مدرسة أهل البيت قد أولت هذا الجانب الشيء الكثير؛ فعن النبي ﷺ أنه قال: «اختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين».

فإنه لا يكفي أن ينظر الشاب إلى الفتاة وحدها ويقصر الاهتمام على ذلك، بل إن الخال هو أحد الأشخاص البارزين المؤثرين في تكون شخصية الولد؛ لذا يجب السؤال عنه. ولماذا يجب السؤال عنه؟ يقول النبي ﷺ: «تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن».

وقصة الإمام علي بن أبي طالب مع أخيه عقيل العالم بالأنساب عندما أراد الإمام عليه السلام الزواج بعد وفاة السيدة فاطمة عليها السلام وطلب من أخيه أن يختار له زوجة ولدتها الفحول الأقوياء الشجعان؛ لكي تلد له أبناء لينصروا أخاهم الحسين.

فكان جلّ اهتمام الإمام إلى أصلها وفصلها؛ فإن العرق دسّاس؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس». ذلك أنّ القالب الذي يحمل الولد له مدخلية كبرى في النتيجة، فالفاسد يخرج الفاسدين ولا يؤمل منه خير.

لذلك يجب أن يكون نظرك إلى ولدك من خلال أمّه؛ لأنّها تورّث صفاتها إلى ولدك من حيث الصفات العقلية، والخلقية. يقول الدكتور عبد العزيز القوصي في كتابه (أسس الصحة النفسية): «والذي نعرفه إلى الآن أن الإنسان يرث الذكاء عن والديه، ويرث كذلك ما يمكن أن نسميه المزاج والطبع وقد أثبت العلم الحديث أن الذكاء يورّث، وأن أثر البيئة في تغيره قليل حتى أنَّ علماء النفس يقولون إن الجرائم التي يقوم بها الآباء فيها تشابه خصوصاً في السرقة إلى غير ذلك».

ولأن الأم لها أثر كبير من حيث الوراثة، لذا نجد أهل البيت عليهم السلام

يرفضون فكرة الزواج من المرأة المجنونة، أو التي بها تخلف عقلي كالحمقاء وغيرها.

فعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سأله بعض أصحابنا عن الرجل المسلم تعجبه المرأة الحسناء أيصلح له أن يتزوجها وهي مجنونة؟ قال: لا ولكن إن كانت عنده أمة مجنونة فلا بأس بأن يطأها ولا يطلب ولدها».

ونحن عندما نتأمل هذه الرواية نعرف أنَّ علة عدم الإنجاب من المجنون هي إنجاب أطفال مشوهين، أو معوقين عقلياً فتبقى هذه الحالة في المجتمع وهذا الذي يثبته العلم الحديث.

(يوجد جندي يدعى مارتن كاليك: كان قد أنجب طفلاً غير شرعي من فتاة ضعيفة العقل وأمكن تتبع ٤٨٠ فرداً من ذراري هذه البنت في أجيال متعاقبة، ووجد أن من بينهم ٦٣ شخصاً فقط يمكن اعتبارهم عاديين أما الباقون ففيهم حالات الصرع، والإجرام، والبغاء، والإدمان على الخمر، وضعف العقل، وغير ذلك. وبعد مدة من الزمان كان مارتن كاليك قد تزوج بفتاة عاديّة من أسرة طيبة. وأمكن تتبع ٤٩٦ فرداً من ذراري هذه السيدة في طبقات الأجيال المتعاقبة. فكان لدينا مجموعتان من الأفراد تختلفان اختلافاً واضحاً في الأصل الوراثي من ناحية الأم. وعلى ذلك يمكن موازنتها بعضها ببعض. وقد وجد بين أفراد المجموعة الثانية أن عدد العاديين ٤٩١ فرداً نجح كثير منهم في الحياة نجاحاً ظاهراً، أما الخمسة الباقون ففيهم حالة ضعف عقلي واحدة وحالة استهتار جنسي وحالتا إدمان للخمر، وحالة جنون)[١].

---

(١) Goddard the Kallikak.

المرحلة الثانية

بعد أن يقع الاختيار الذي على أساسه يكون الزوجان قد قرّرا أن يُنشئا أسرة تجمعهما تحت سقف واحد يظللهما الاتفاق والتفاهم، تنبثق الحاجة لديهما في أن يُشرِّف حياتهما شخص جديد يكون نتاج الحب المشترك بينهما. وفي هذه الفترة يقرر الزوجان الوقت المناسب لاستقبال الطفل الجديد. هل هو في السنة الأولى من الزواج أو الثانية أو الثالثة أو غير ذلك؟ وكيف سيكون استقباله؟

وفي هذه المرحلة يحلّق الزوجان في التصورات من رسم صورة الطفل، وشكله ومستقبله إلى غير ذلك، ونحن نقول للزوجين اللذين يريدان أن يحلّ عليهما مولودٌ جديد: إن الاستعداد له ليس عند ولادته بل قبل ولادته بمدة ليست بالقصيرة؛ وذلك لما تقرر سابقاً أن الطفل قد يرزق العقل في نطفته، وقلنا: إنه يتوقف على الوالدين. ونحن في هذه المرحلة نوضح ما يجب أن يسبق عملية اللقاء الجنسي بين الزوجين؛ فالحالة التي يجب أن يكون عليها الزوجان حالة التقرب إلى الله سبحانه وتعالى حتى لا يكون ذلك اللقاء محض لقاء شهواني ليس فيه لله من نصيب، ويكون الشيطان - والعياذ بالله - شريكاً في الولد.

أما كيف يمكن أن يكون هذا اللقاء عبارة عن تحقيق إرادة الله سبحانه وتعالى ويكون العمل لله فبعدة أمور:

١ - أن يقصد من اللقاء تكثير الأرض بأشخاص يعتقدون بأنه لا إله إلا الله، أو لإطفاء الشهوة بالحلال حتى لا تنصرف النفس إلى الرغبة إلى الحرام والعياذ بالله.

٢ - أن يكون الزوجان في حالة من الطهارة، والوضوء؛ لأنه ما دام على طهارة فهو في منزلة الماكث في المسجد.

٣ - أن يصلي الزوجان ركعتين لله سبحانه وتعالى قبل اللقاء. وإن ورد هذا الاستحباب في ليلة الزفاف. ولكن لا بأس به على كل حال من باب كونها عبادةً وتقرباً إلى الله.

٤ - أن يدعو الله قبل الشروع في أي شيء بالدعاء المأثور عن الصادق عليه السلام حيث قال لبعض أصحابه: «إذا دخلت عليك أهلك فخذ بناصيتها، واستقبل القبلة وقل: اللهم بأمانتك أخذتها وبكلماتك استحللتُ فرجها فإن قضيت لي منها ولداً فاجعله مباركاً سوياً، ولا تجعل للشيطان فيه شريكاً ولا نصيباً».

٥ - أن يدعو الله سبحانه وتعالى ويُسمي «بسم الله الرحمن الرحيم» حتى لا تقع الشركة مع الشيطان؛ فإن الذين لا يذكرون الله عند الجماع يكون الشيطان شريكاً لهم في النطفة فإذا شاركه فأي فلاح لهذا الولد؟!

فعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ولا تجعل فيه شركاً للشيطان قلت: وبأي شيء يعرف ذلك؟ قال: ما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾(١).

ثم قال: إن الشيطان ليجيء حتى يقعد من المرأة كما يقعد الرجل

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

منها، ويحدث كما يحدث الرجل، وينكح كما ينكح قلت: بأي شيء يعرف ذلك؟

قال: بحبنا وبغضنا فمن أحبنا كان نطفة العبد ومن أبغضنا كان نطفة الشيطان».

وفي رواية أخرى يقول الشيطان للإمام علي عليه السلام في مكاشفاته: «فوالله لا يبغضك أحد إلا سبقت نطفتي إلى رحم أمه قبل نطفة أبيه».

أقول: قد يكون الشيطان واقعاً هو القاذف بالنطفة في رحم المرأة من غير أن يرى، وقد يكون الشخص نفسه شيطانياً فتصير نطفته نطفة الشيطان وذلك إذا ابتعد عن حيز اللطف؛ فحاله كما أشارت بعض الروايات إلا أنه لا يزني المؤمن حين يزني وهو مؤمن، ولا يعصي الله حين يعصي وهو مؤمن.

فعليه لسان الرواية أن الرجل في حال عدم ذكر الله لا يكون إلا شيطانياً في فعله فأثره الظلام والجهل والعياذ بالله.

٦ - أن يسعيا قبل أي لقاء جنسي أن يكون صلباهما طاهرين من أكل الحرام فلا يأكلا ما فيه شبهة أو حراماً، فلعل النطفة تكون من الحرام فلا يكتب للولد الفلاح، أو النجاح والعياذ بالله. وليعلم أن الأصلاب لا تطهر من المحرمات إلا بعد أربعين يوماً. أي أنه ولمدة أربعين يوماً في حالة الخطر الذي يجب أن يتقي الجماع في أثنائها. ويكفيك أن تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أراد أن يقصد نطفة فاطمة صلوات الله عليها اعتزل السيدة خديجة الكبرى أربعين يوماً، يصوم نهارها، ويقوم ليلها كل ذلك رعاية ومبالغة في الطهارة. وإذا كان حال رسول الله هكذا فما حالنا نحن إذاً؟

٧ - أن يأكل الرجل قبل الوقت الذي يريد أن يقارب أهله السفرجل، وذلك حتى يتحول إلى نطفة؛ فإنه يحسن من شكل الولد الخارجي ويجعله جميلاً.

عن الصادق عليه السلام وقد نظر إلى غلام جميل فقال: «ينبغي أن يكون أبو هذا أكل سفرجلاً ليلة الجماع»(١).

٨ - أن ينظر الرجل إلى صورة شخص تعجبه من حيث الشكل وحسن المنظر، ويجعل صورته أمامه إن أمكن عندما يغشى أهله، وإن لم يمكن ذلك فليجعل همّه وتفكيره فيه أثناء اللقاء. فإن فعل ذلك يخرج الولد - إن شاء الله - شبيهاً لهذا الشخص. وهذا ما دلّت عليه أسرار آل محمد عليهم السلام.

إذ روى إسحاق بن إبراهيم عن الرضا عليه السلام قال: «إن الملك (بخت نصّر) قال لدانيال: أشتهي أن يكون لي ابن مثلك!

فقال: ما محلّي من قلبك!

قال: أجل محلٍّ وأعظمه.

قال دانيال: فإذا جامعت فاجعل همّتك فيّ.

قال الإمام الرضا عليه السلام: ففعل الملك ذلك فولد ابن أشبه خلق الله بدانيال»(٢).

وهنا فرق بين أن يجامع الرجل زوجته بشهوة امرأة أخرى أو العكس بشهوة رجل آخر، وبين ما نحن فيه؛ ففي الصورة الأولى يخرج الولد مخنثاً مخبلاً، وفي الصورة الثانية يخرج شبيهاً بالمراد.

---

(١) مكارم الأخلاق: ص ٣٧٤.

(٢) البحار: ج ١٤، ص ٣٧١.

فعن سعيد الخدري في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام أنه قال: «يا علي لا تجامع امرأتك بشهوة امرأة غيرك فإني أخشى إن قضي بينكما ولد يكون مخنثاً مخبلاً»(١).

(١) الوسائل: ج ٢، ص ٢٥٢.

تأثير الأكل على النطفة

لا شك أن للأكل أثره على النطفة أثراً واضحاً؛ إذ إنّ النطفة هي في حقيقتها خلاصة الغذاء الذي يأكله الإنسان، ومن الثابت أن لكل غذاء خاصية وأثراً خاصاً به؛ فتتشكل النطفة من تشكيل الغذاء وتأثيره عليها أشد من تأثير الطعام على الإنسان إذا بلغ إنساناً سوياً.

ولا يقتصر الأثر على الناحية الشكلية فقط أو المادية بل على الناحيتين على حد سواء؛ فالمادية والمعنوية تتأثران بالغذاء، ولقد لوحظ انتقال صفات الحيوانات المأكولة إلى آكليها. لذلك نجد الإسلام قد وضع قوائم من الأطعمة والحيوانات لا يجوز أكلها نظراً إلى ما تخلف من الآثار السلبية، بل حتى التي يحلّ أكلها إذا عرض لها شيء يؤثر فيها يحرم أكلها، مثل الدواجن أو الحيوانات التي تتغذى على العذرة لا يجوز أكلها حتى تطهر.

قال ابن خلدون: «أكلت الأعراب لحم الإبل فاكتسبوا الغلظة، وأكل الأتراك لحم الفرس فاكتسبوا الشراسة وأكل الإفرنج لحم الخنزير فاكتسبوا الدياثة».

لقد قام العلماء بإجراء تجارب كثيرة على الأطفال لمعرفة تأثير المغذيات على شخصيتهم وسلوكهم؛ فانعدام وجود الفيتامين أو النشويات أو الأحماض الأمينية في الأطعمة أثّر تأثيراً بالغاً على سلوك الأطفال.

هذا وقد وجد أيضاً أن الرضاعة الطبيعية كان لها أثر أفضل بكثير من الرضاعة الاصطناعية. أضف إلى ذلك أنه قد ثبت أن أكل لحوم العجل المحقون بمادة هرمونية (Diebhy istiberterog) كان له تأثير على سلوك وشخصية الناس حيث زاد بهم عملية اللواط أو المساحقة.

فإذا كان هذا حال من أعطي مادة هرمونية، فمن باب أولى من كان بالذات فإن تأثيره أشد نكالاً وأقوى فعالية.

فإذا تقرر ذلك لزم الوالدين من مراعاة نوعية الطعام الذي يأكلانه لسلامتهما ولسلامة أولادهما من الآثار الجانبية. ومن الضروري أن تعلم أن بقاء الغذاء يؤثّر في البدن لمدة أربعين يوماً.

عن الحسين بن خالد قال: «قلت لأبي الحسن عليه السلام إنّا روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من شرب الخمر لم تُحتسب صلاته أربعين يوماً.

قال: فقال: صدقوا.

قلت: كيف لا تحتسب صلاته أربعين صباحاً لا أقل من ذلك ولا أكثر؟

فقال: إن الله جلّ وعز قدّر خلق الإنسان فصيّره نطفة أربعين يوماً، ثم نقلها فصيرها علقة أربعين يوماً، ثم نقلها فصيرها مضغة أربعين يوماً؛ فهو إذا شرب الخمر بقي في مشاشته أربعين يوماً على قدر انتقال خلقته.

ثم قال عليه السلام: وكذلك جميع غذائه أكله وشربه يبقى في مشاشه أربعين يوماً»(١).

وبهذا يظهر أن جميع الأغذية والتأثير لها يدوم أربعين يوماً، ومنه لا

---

(١) الكافي، ج ٦، ص ٤٠٢.

يمكن أن يعرج المصلي بصلاته وهو في حالة نجاسة؛ لذا فهي لم تصل إلى ساحة القدس بل ليس لها قابلية العروج أصلاً فهو لم يصلِّ فعلاً حتى تقبل، وإن لهذا الحديث مقاماً آخر.

ولنعد إلى صلب الموضوع لننقل ما يقوله الدكتور سيد غياث الجزائري في كتابه: «إذا كانت نطفة الأب مسمومة حين الاتصال الجنسي فإن الجنين يوجد ناقصاً وعليلاً، وهذا التسمم ينشأ من تناول الأطعمة الفاسدة أو معاقرة الخمر. إذن يجب الاجتناب عن الاتصال الجنسي حين التسمم والسكر بالخصوص» ص ١٥٢.

وفي صفحة أخرى يقول: «لقد قام أحد الأطباء الحاذقين في أوروبا بجمع إحصائيات دقيقة للنطف التي تنعقد في ليلة رأس السنة المسيحية فوجد ٨٠٪ من الأطفال المتولدين من تلك النطفة ناقصي الخلقة، وذلك لأن المسيحيين في هذه الليلة يقيمون أفراحاً عظيمة وينصرفون إلى العيش الرغيد والإفراط في الأكل والشرب ويكثرون من تناول الخمر...» ص١٥٤.

يقول الدكتور كاريل في كتابه (طريق الحياة): «إن سكر الزوج أو الزوجة حين الاتصال الجنسي بينهما يعتبر جريمة عظيمة؛ لأن الأطفال الذين ينشأون في ظروف كهذه يشكون في الغالب من عوارض عصبية ونفسية غير قابلة للعلاج».

ومن الطبيعي أن يهتم الوالدان بالنطفة قبل انعقادها بأربعين يوماً ويولون لهذه المسألة أهمية كبيرة؛ وذلك لأن نطفتيهما بداية مخلوق جديد سيخرج إلى حيز الوجود وهو مسلوب الإرادة والقدرة والاختيار، وهو في مثل هذه الحال سيحدد سعادته من شقائه ورزقه وعمره وكل

الأمور المرتبطة به؛ فإذا كانت نطفته من الحرام - والعياذ بالله - كيف سيكتب له التوفيق؟!

لهذا فإن هذا المخلوق أحوج ما يكون للمساعدة من قبل والديه في مثل هذه الحالة، فإن بسط جناح الذلّ من الرحمة للوالدين وطلب الدعاء لهما لخصوصية التربية في الصغر حيث تنعدم القدرة عنده ويقع الاتكال الكلي على الوالدين، فهو في وضع التقلب العنايتي للوالدين ينقل من مرحلة إلى أخرى والتي تنشأ قبل إيجاد نطفته من كونه إنساناً سوياً، قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾(١).

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه حتى الرجل يجب أن يكون غذاؤه طاهراً من الحلال الخالص حتى بعد انعقاد النطفة في رحم امرأته. لاسيما إذا كان يريد أن يغشاها في فترة الحمل؛ لأنَّ المادة المنوية تتحول إلى غذاء يتغذى عليه الطفل، وأما بالنسبة للمرأة فهو واضح جداً حيث يكون غذاء الطفل وشرابه من غذاء أمه وشرابها لذلك يلزم الاعتناء بهذه الأمور بشكل أكبر.

ففي حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ثم يبعث الله ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى الله عزّ وجلّ فيقف منه ما شاء الله، فيقول: يا إلهي أذكر أم أنثى؟ فيوحي الله عزّ وجلّ إليه من ذلك ما يشاء ويكتب الملك، ثم يقول: إلهي أشقي أم سعيد؟ فيوحي الله عزّ وجلّ إليه ما يشاء من ذلك، ويكتب الملك فيقول: اللهم كم رزقه؟ وما أجله؟ ثم

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

يكتبه ويكتب كل شيء يصيبه بين عينيه ثم يرجع به فيرده في الرحم»، فذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[1] [2].

فيا أيها الزوجان إنَّ ولدكما أمانة في أعناقكما؛ فإذا كنتما تريدان حياة طيبة لأبنائكم عليكما أن تطيّبا طعامكما وشرابكما وتجعلاه من الحلال الذي لا شبهة فيه.

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

(٢) البحار: ج ٦٠، ص ٣٤٠.

كيفية حصول الشبه

وهذا البحث من أعقد الأبحاث إلى الآن في علم الوراثة، وهو كيفية تفسير اكتساب الولد الشكل الخارجي. فهو بين خمسة أمور: إما أنه يشبه أباه أو لا، أو يشبه أمه أو لا، أو أخواله أو لا، أو أعمامه أو لا، والأخير أن يشبه شخصاً لا يمتُّ له بصلة قريبة.

العلم الحديث توصل إلى أنه يوجد في كل من مني الرجل وبويضة المرأة كروموسومات فيها عناصر الشبه بين الوالدين إما من الأم وإمّا من الأب، وهو يأخذ صفاته الوراثية الشكلية منهما، وحتى الخلقية القابلة للتوريث مثل الذكاء، والشجاعة، والجبن إلى غير ذلك ولكن لم يعرف على أي أساس يكون الشبه إلى الأب، أو إلى الأم! أو كيف يحدث؟ وهل باستطاعتنا التحكم في عناصر الشبه؟ وذلك لأنَّ المادة المنوية هي عبارة عن مجموعة من الحيوانات المنوية، ولكل واحد منها حياته الخاصة والسيرة الخاصة، وهو عالم خاص تنطوي فيه مجموعة من الأسرار. وواحد منها أو اثنين أو ثلاثة يقع في عملية ناجحة في التلقيح من بين الملايين.

هذا هو الذي توصل إليه العلم الحديث.

أما أسرار آل محمد فقد أعطت تفسيراً متكاملاً عن كيفية حصول الشبه للوالدين، أو الأخوال، أو الأعمام أو غير ذلك.

فأنت تستطيع أن تحدد شَبَه ولدك لك أو لزوجتك أو أخواله أو أعمامه بمراعاة أمرين:

الأمر الأول: إذا أراد الرجل أن يكون الولد شبيهاً لأحد والديه فما عليه إلاّ أن يغشى أهله وهو في حالة من الاستقرار والهدوء.

الأمر الثاني: إذا أراد الرجل أن يكون الولد شبيهاً لأعمامه، أو أخواله فما عليه إلا أن يقارب أهله وهو في حالة الاضطراب أي مرهق ومتعب لا خائفاً ولا وجلاً.

سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام عن الولد ما باله تارة يشبه أباه وأمّه، وتارة يشبه خاله وعمّه؟ قال للحسن: «أجبه».

فقال الحسن عليه السلام: «أما الولد فإن الرجل إذا أتى أهله بنفس ساكنة وجوارح غير مضطربة اعتلجت النطفتان كاعتلاج المتنازعين؛ فإن علت نطفة الرجل نطفة المرأة جاء الولد يشبه أباه، وإن علت نطفة المرأة نطفة الرجل أشبه أمه؛ أمّا إذا أتاها بنفس مزعجة وجوارح مضطربة غير ساكنة اضطربت النطفتان فسقطتا عن يمين الرحم ويسرته، فإن سقطت على عروق الأعمام والعمات فيشبه أعمامه وعمّاته، وإن سقطت عن يسرة الرحم سقطت عن عروق الأخوال والخالات فيشبه أخواله وخالاته.

فقام الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته».

علّق صاحب البحار على هذه الرواية ما هذا نصه:

«أقول: يحتمل أن يكون المراد أنه إذا لم تضطرب النطفة تحصل المشابهة التامة، لأن المني يخرج من جميع البدن فيقع كل جزء موقعه، وإذا اضطربت حصلت المشابهة الناقصة فيشبه الأعمام إذا كان الأغلب

مني الرجل لأنهم يشبهون الأب مشابهة ناقصة، وإن غلب مني الأم أشبه الأخوال كذلك. . .

ومعنى العلو في الرواية كما عليه بعض المحققين أنه سبوق إلى الرحم سواء أكان مني الرجل أو بويضة المرأة؛ فإذا أراد الزوج أن يخرج الولد شبيهاً بأخواله، أو خالاته، أو أمه، عليه أن يُكثر المداعبات وخصوصاً غمز الثديين كما جاء عن الإمام الرضا عليه السلام: «الأمر قبل الجماع بالمداعبة والتقبيل وتغميز الثديين؛ لأن ماء المرأة يخرج من ثديها، وشهوتها في وجهها فالتقبيل طلباً للشهوة حتى تريد هي منك ما تريد أنت منها، وأما تغميز الثديين فطلباً لنزول مائها حتى يتخلق من المائين؛ لأن البنت إذا تخلقت من ماء الرجل وحده تكون سليطة تشبه الرجال بالأوصاف».

وكان العرب إذا أرادوا تشبه الأولاد بهم عمدوا إلى مواقعة النساء وقت الرحيل لكثرة مشاغل نسائهم فلا يردن ذلك الأمر، بخلاف الرجال فيكون الولد شبيهاً لأبيه ولذلك أنشدوا:

فَمَن حَملن به وهنّ عواقد ... حُبُ النطاق فشب غير هبل

○ اتصاف المولود بصفات مغايرة لذويه:

تقدم البحث عن كيفية اتصاف الولد بصفات أحد والديه، أو الأقرباء. ولكن قد يصادف أن يكون الولد مغايراً كلياً لصفات ذويه فما هو تفسير ذلك؟

يوجد اتجاهان:

الاتجاه الأول: وهو أن تكون المرأة - والعياذ بالله - قد مارست

الزنى، وجامعت رجلاً بصفات غريبة جداً عنهما (الزوجان) كأن تجامع المرأة البيضاء رجلاً أسود أو العكس. وهذا خارج عن محل بحثنا.

الاتجاه الثاني: والذي يسعى أن يعطي هذه الظاهرة صورة علمية ومنطقية. اختلفوا في التفسيرات، فهنا ثلاثة تفسيرات نحاول عرضها بشكل مختصر قد تعرض لها الشيخ محمد تقي فلسفي في كتابه (الطفل بين الوراثة والتربية) وقال:

«كثيراً ما نشاهد طفلاً أشهب العينين أشقر الشعر أبيض البشرة ذا هيكل غربي تماماً، في حين أن أبويه يملكان عيوناً سوداً وشعراً أسود وبشرة سمراء وهيكلاً شرقياً تماماً، إن هذه التغيرات التي تخالف السر الطبيعي لقانون الوراثة يمكن أن تستند إلى المتغيرات الأولية والفجائية للجينات.. ومنشأ هذا كله راجع إلى الطفرة، ولكن العلوم البشرية لم تتوصل بعد إلى العلل الواقعية لأفعال هذه الطفرات الحاصلة، اللهمّ إلا مجرد بعض النظريات والاحتمالات الفارغة...»(١).

النظرية الأولى: ترجع هذه الطفرة أو التغيير المفاجئ إلى بعض أشعة الطبيعة كإشعاعات الأرض المتصلة بالقوة الناقلة لأمواج الأديو في التربة، أو إشعاعات الهواء الناشئة من الشمس أو إلى غير ذلك من الإشعاعات.

النظرية الثانية: وجود الجينات الصانعة للصفات الجديدة في خلايا الأجيال السابقة بصورة مضمرة وظهورها عند حصول الشروط المساعدة لها.

---

(١) ج ١، ص ٦٢.

أقول: وإن كنا نتفق مع هذه النظرية من حيث النتيجة، لكن نختلف معهم من حيث الاستدلال عليها؛ فهم يقولون: بأن الإنسان فيه صفات مختفية من حيث الآباء اختفت في الأبناء ثم ظهرت في واحد منهم، فالمجرم يعرف من صورة الشكل فاندفاع الجبهة إلى الأعلى وحدة الأذن وعدم التصاقها تماماً إن هذه العلامات كانت في آبائه السابقين المجرمين.

النظرية الثالثة والمختارة: وهي عبارة عن تبني الرأي النبوي للموقف، وأن حدوث ذلك هو من الجينات أنفسها والتي عبرت عنها الرواية بالعرق، أي أن عامل الوراثة قد ظهر من أثر الأجيال السابقة التي لم يلحق عليها الوالدان فيعتقدان الغرابة من حيث الصفات للمولود.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أتى رجل من الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هذه ابنة عمي وامرأتي لا أعلم منها إلا خيراً، وقد أتتني بولد شديد السواد منتشر المنخرين جعد قطط أفطس الأنف، لا أعرف شبهه في أخوالي ولا أجدادي.

فقال لامرأته: ما تقولين؟

قالت: لا والذي بعثك بالحق نبياً ما قعدت مقعده منذ ملكني أحداً غيره.

قال: فنكس رسول الله رأسه ملياً ثم رفع بصره إلى السماء ثم أقبل على الرجل فقال: يا هذا إنه ليس من أحد إلا وبينه وبين آدم تسعة وتسعون عرقاً كلها تضرب في النسب. فإذا وقعت النطفة في الرحم اضطربت تلك العروق تسأل الله الشبه لها فهذا من تلك العروق التي لم يدركها أجدادك، خذي إليك ابنك. فقالت المرأة: فرّجت عني يا رسول الله».

وهنا يكتفي الفلسفي وغيره بهذه الرواية التي تشير إلى أن هذه الطفرة لم تنشأ من عنصر غريب عن الزوجين بل هو منهما. ولكن يبقى السؤال وهو ما هو المُفعّل لظهور هذه الطفرة وما منشؤها؟

علمنا أن العرق دساس وأنه قد يكتسب الصفات الوراثية البعيدة. ولكن ما هو تفسير هذه الظاهرة؟

في معرض الجواب نقول:

أولاً: لقد ثبت علمياً أنّ المادة المنوية تحتوي على ثلاثمائة مليون حيوان منوي، يعني لو كانت هناك قابلية تلقح كل هذه الحيوانات بأي طريقة كانت لكان عندنا ثلاثمائة مليون إنسان له صفات خاصة تخصه تختلف عن الآخر.

ثانياً: إن تلقيح حيوان واحد من ثلاثمائة مليون دون غيره له سرٌّ خاص منشؤه الإرادة الإلهية في المقام الأول، وفي المقام الثاني أن المفعل لهذا الحيوان هو الحالة النفسية التي يكون فيها الزوجان والتي عبرت عنها النظرية الثانية ظهورها عند حصول الشروط المساعدة لها. هذه الشروط هي الحالة النفسية وبالخصوص الحالة التخليلية للزوجين أثناء الجماع. فقد ذكرنا في بداية الكتاب أن النظر إلى صورة شخص، أو صبّ الاهتمام في شخصٍ معين يؤثّر في تشكيل الشخص على حسب المراد، ولا ننتظر الطفرة لتحدث. فقد ذكر صاحب (البحار) تعليقاً على الرواية السابقة التي جرت بين دانيال وبخت نصر ما هذا نصه: «أقول: ذكر الأطباء أيضاً أن للتخيل في وقت الجماع مدخلاً في كيفية تصوير الجنين. قال ابن سينا في القانون: قد قال قوم من العلماء ولم يعدوا عن حكم الجواز: إن من أسباب الشبه ما يمثل حال العلوق في وهم المرأة

والرجل من الصورة الإنسانية تمثلاً متمكناً» انتهى. وقال بعضهم: «تصور رجل عند الجماع صورة حية فتولد منه طفل كان رأسه رأس إنسان وبدنه بدن حية»[١].

ومما يعضد ذلك، أن إحضار الصورة وقت اللقاء الجنسي يؤثر في المشابهة، ما رواه المجلسي في بحاره عن أبي عبد الله عليه السلام وهو يتحدث عن قصة نبي الله شعيب وموسى.

قال: «فلما قضى موسى الأجل لشعيب: قال لا بدَّ لي أن أرجع إلى وطن أمّي، وأهل بيتي فما لي عندك؟

فقال شعيب: ما وضعت أغنامي في هذه السنة من غنم بلق (بلق فيها سواد وبياض) فهو لك.

فعمد موسى عندما أراد أن يرسل الفحل على الغنم إلى عصاه فقشر منه بعضه وترك بعضه وغرزه في وسط مربض الغنم وألقى عليه كساء أبلق ثم أرسل الفحل على الغنم فلم تضع الغنم تلك السنة إلاّ أبلقاً...»[٢].

وأيضاً مما يدعم هذا الاستنتاج وهذا الرأي ما نجده في حكم الإمام علي عليه السلام، وقوله عندما جيء بامرأة إليه قد ولدت ولداً أسود الوجه وكان والداه يتصفان بالبياض، وزوجها رفع عليها دعوى بأن هذا الولد ليس له، نظر الإمام علي إلى المرأة وإلى حديثها فوجد صدق اللهجة، وأنها امرأة عفيفة. بعد أن سمع حديثهما حكم بأن الولد للرجل. ثم قال الإمام للرجل: ألم يوجد في الغرفة التي انعقدت النطفة فيها صورة سواد؟ قال الرجل ولماذا؟

(١) البحار: ج ٦٠، ص ٣٦٧.
(٢) البحار: ج ١٣، ص ٢٧.

قال الإمام علي: إذا توجه الرجل والمرأة في أثناء انعقاد النطفة إلى صورة. هذا التوجه يؤثر على النطفة. وولدك أصبح أسود بسبب توجهكم إلى الصورة السوداء[1].

وليس الأثر للعرق الدسّاس فقط أو الوراثة البعيدة أو القريبة، بل قد يحصل تشابه حتى مع الغرباء الذين لا ربط لك بهم، وهذا نادر وإليه تشير الأمثال الشعبية (يخلق من الشبه أربعين).

والأصح في ذلك كله والمؤيد له قول أبي عبد الله عليه السلام حيث قال:

«تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صور بينه وبين أبيه آدم، ثم خلقه على صورة أحدهم فلا يقولنّ أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي»[2].

كما تجدر الإشارة إلى أن الفضاء والمكان الذي يقع فيه اللقاء الجنسي يجب أن يكون مكاناً خالياً من المعاصي بعيداً عن آثارها وظواهرها؛ لأن ذلك يؤثّر في الزوجين مما يلزم أن يقع ذلك الأثر على الجنين بصورة غير مباشرة، وهناك أحكام كثيرة في مثل هذا الأمر نتطرق لها حسب المقام - إن شاء الله - أو تفصيلاً في محله.

وهنا نكتفي بهذا القدر من الحديث عن هذه المسألة رعاية للاختصار الذي ألزمنا أنفسنا به.

---

(١) تربيت فرزند از إسلام ص ٦٥.
(٢) البحار: ج ٦٠، ص ٣٤٠.

تعجيل الولادة ورفع العقم

إن من غايات الزواج هي النسل وتكثير قول (لا إله إلا الله)، ولكن قد تشاء القدرة الإلهية جعل الرجل أو المرأة عقيمين لا يرزقان الخلف. وذلك لحكمة اقتضاها علم الله، أو قد تتأخر عنهما الذرية لا لشيء سوى لقدره وعلمه بحقائق الأمور قال تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(١).

ومع ذلك فتح الله الباب على مصراعيه فلم يجعله مسدوداً على العباد، بل حثّهم على طلبه والتوسل إليه؛ فإن أكرم الأكرمين لا يرد أحداً خائباً لاسيما إذا أكثر الطلب وألحَّ فيه، وإنه لا يوجد لديه سبحانه وتعالى مستحيل بل أمره إذا أراد أن يقول له كن فيكون.

فهذا زكريا عليه السلام قد دعا ربه بأن يهبه ذريةً طيبة مع ما بلغ من الكبر وكانت زوجته عاقراً لا تلد ومع ذلك لم ييأس من الاستجابة.

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾(٢).

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٠.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ٣٨، ٤٠.

ولذلك عندما استفهم زكريا من الله كيف يرزقه الذرية على ما به وبزوجته جاء الجواب الإلهي، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[(١)].

وفي قصّة نبيّ الله إبراهيم عليه السلام مع ضيوفه المكرمين عندما بشروه بغلام عليم قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾[(٢)].

فإذا تأمّلنا هذه الآيات جيداً نجد الجواب يأتي من قبل الله عزّ وجلّ بأن الله يفعل ما يشاء، وأن هذا الأمر عليه هين، وأنه حكيم عليم. فإذا عرفنا أن الله يفعل ما يشاء ولا يقف شيء حاجزاً لمشيئة الله عن حدوث ذلك الشيء إلا عدم المشيئة، فلنسع في الحثّ والطلب من الله أن يشاء لا سيما وأن هذه الإشاءة عليه سبحانه وتعالى هيّنة غير عسيرة، وما يؤخرها سوى حكمته، وعلمه بمصالح الأمور وأفضلها للعباد. فلندعه بأحسن حال ويتلطف علينا بالإجابة، وأن يرزقنا الذرية الصالحة الطيبة، ولا سلاح لذلك إلاّ الدعاء؛ فالدعاء يغير ما هو مثبت في اللوح المحفوظ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[(٣)].

لذلك نجد أهل البيت صلوات الله عليهم أرشدونا إلى السبيل ولم يُيْئسونا من الذرية، بل حثونا على السعي والطلب في الطريق الذي من خلاله يحصل الطالب على مبتغاه؛ فكما أن الدواء المادي طريق للعلاج

---

(١) سورة مريم، الآية: ٩.
(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

كذلك الدواء الروحي طريق آخر للعلاج الروحي والمادي أيضاً. ومن هذه الأمور ما يلي:

١ - أن يرفع صوته عالياً بالأذان في المنزل، ويكثر من ذلك.

روى محمد بن راشد عن هشام بن إبراهيم «أنه شكا إلى أبي الحسن عليه السلام سقمه وأنه لا يولد له فأمره أن يرفع صوته بالأذان في منزله. قال: ففعلتُ فأذهب الله عني سقمي وكثَّر ولدي»(١).

٢ - أن يكثر من الاستغفار ليلاً ونهاراً.

شكا الأبرش الكلبي إلى أبي جعفر عليه السلام أنه لا يُولد له وقال: «علمني شيئاً فقال: استغفر الله في كل يوم وفي كل ليلة مائة مرة فإن الله عز وجل يقول: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾(٢) (٣).

٣ - أن يقول كل يوم إذا أصبح أو أمسى: سبحان الله سبعين مرة ويستغفر الله عشر مرات، ويسبح تسع مرات، وتختم العاشرة بالاستغفار.

٤ - أن يصلي ركعتين بعد صلاة الجمعة ويطيل فيهما الركوع والسجود ويدعو بالأدعية المأثورة، منها:

١ - «اللهم إني أسألك بما سألك به زكريا يا ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين.

(١) الوسائل: ج ٢١، ص ٣٧٣.
(٢) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.
(٣) الوسائل: ج ٢١، ص ٣٦٨.

اللهم هب لي ذريةً طيبةً إنك سميع الدعاء. اللهم باسمك استحللتها وفي أمانتك أخذتها، فإن قضيت في رحمها ولداً فاجعله مباركاً ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً...».

٢ - ما رواه أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا أبطأ على أحدكم الولد فليقل: «اللهم لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين وحيداً وحشاً فيقصر شكري عن تفكيري، بل هب لي عاقبة صدق ذكوراً وإناثاً آنس بهم من الوحشة وأسكن إليهم من المودة، وأشكرك عند تمام النعمة يا وهاب يا عظيم يا معظم، ثم اعطني في كل عافية شكراً حتى تبلغني منها رضوانك في صدق الحديث وأداء الأمانة ووفاء العهد»[1].

٣ - أن يقرأ قبل الجماع قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] إلى ثلاث آيات.

وهناك كثير من الأدعية والصلوات المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فمن أرادها فليطلبها في محلها.

---

(١) الوسائل: ج ٢١، ص ٣٦٨.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

انتخاب نوعية الولد

إنّ عملية انتخاب الولد ذكراً كان أم أنثى حلم من أحلام الزوجين لاسيما أن لكل شخص ميوله الخاصة به، والرغبة التي تؤثر عليه في اختيار جنس الولد ذكراً أو أنثى. ويمكن القول: إن هذه المسألة كانت منذ القدم تشغل بال الكثيرين ونتاج هذه الحاجة الماسة خرجت بعض الآراء التي لا تقوم على أساس علمي وما هي إلاّ نوع من الدجل والخداع، ومنها قام على أساس البحث والتحقيق، وإن لم يطابق الواقع ١٠٠٪ بل قاربها. ولله الحكمة البالغة.

وقبل الخوض في الطرق نقدم مقدمات لا بدَّ منها.

المقدّمة الأولى: إنّ تحديد الجنس للمولود لا يخصّ الرجل وحده ولا المرأة وحدها، بل كلا الزوجين لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾(١).

فالآية تدل على كون خلقه تمَّ عبر الاثنين وأن الزوجين الذكر والأنثى لهما مدخلية في تكوين الجنس، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾(٢).

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢.

و(الأمشاج) هو الاختلاط بين الماءين ماء الرجل وماء المرأة.

المقدّمة الثانية: إن المادة المنوية والبويضة هما عبارة عن قابل وفاعل؛ فالمني فاعل والبويضة قابلة للتأثر، وكذلك البويضة، ولكن بصورة أضعف للفاعلية وحقيقتهما حيوانات لها وظائف خاصة تسير وفق نظام وضعه الخالق لتسير عليه.

المقدمة الثالثة: إن هذه الحيوانات يؤثر فيها بعض الأمور من حيث تكوينها الذاتي، أو يؤثر عليها من حيث العرض كالأشعة أو غير ذلك.

المقدمة الرابعة: في الرجل يتكون نوعان من الحيوانات الذكورية والتي يصطلح عليها بـ(Y) ومن ميزاتها صغر الحجم، والسرعة، وضعف البقاء، والنوع الثاني الحيوانات الأنثوية ويصطلح عليها (X)ومن مميزاتها كبر الحجم وطول البقاء.

بخلاف بويضة المرأة التي لا تحمل إلا الحيوانات الأنثوية فقط (XX)، ولكي ينتج ولد ذكر لا بد أن يلقح الحيوان المذكر (Y) الحيوان المؤنث (X)، وإن لقّح الحيوان المؤنث (X) بويضة المرأة فيخرج حتماً أنثى؛ لأنه يتكون من (X مذكر وX مؤنث).

المقدّمة الخامسة: يفرز المهبل مادتين على نوع الحيوان المنوي عند الرجل:

فالمادة الأولى: حامضية تقضي على الحيامين الذكورية مما تسبب القضاء عليه، وبقاء الحيوانات الأنثوية وهي تفرز ذلك قبل الإخصاب بثلاثة أيام تقريباً.

المادة الثانية: المحيط القلوي فهو يناسب من الحيامين الذكرية

والأنثوية إلى حد سواء، ولكنها موجبة النفاذ إلى البويضة مما يؤدي إلى ذكورية الجنين، وتفرز ذلك قبل الإخصاب بيوم واحد أو ست ساعات على أقل تقدير.

وإذا تقرر هذا نقول: يوجد لتحديد الجنس ذكر أو أنثى ثلاث طرق:

الطريق الأول: الاتكال على الله والتوسل إليه بالأمور الموجبة لتيسيره بقوله: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ...﴾(١) وهذه الأشياء متعلقة بمشيئته لأمور منها:

الأمر الأول: دخل رجل على الإمام الصادق عليه السلام فقال: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولد لي ثمان بنات رأس على رأس ولم أرَ قط ذكراً.

فقال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أردت المواقعة وقعدت مقعد الرجل من المرأة فضع يدك اليمنى على يمين سرة المرأة واقرأ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ سبع مرات ثم واقع أهلك فإنك ترى ما تحب. وإذا تبينت الحمل فمتى ما انقلبت من الليل فضع يدك يمنة سرتها واقرأ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾(٢) سبع مرات».

قال الرجل: ففعلت فولد لي سبعة ذكور رأس على رأس وقد فعله غير واحد فرزقوا ذكوراً.

أقول: وقول الإمام: تضع يدك اليمنى على يمين سرة المرأة» ربما يشير إلى أن البويضة الأنثوية والتي تخرج من الفالوب الأيمن تساعد

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٩.

(٢) سورة القدر، الآية: ١.

على الذكورية، وذهب إلى هذا الرأي كل من الفيلسوف (بارفيد) حيث أعلن «بأن جنس الذكر يتكون من الطرف الأيمن من الرحم بينما يتكون جنس الأنثى في الطرف الأيسر»(١).

وأيضاً الدكتور (داوسون) ونظريته تقول: «إذا خرجت البويضة من المبيض الأيمن فإن الجنين سيكون حتماً ذكراً والعكس يكون أنثى»(٢).

فقراءة هذه الآيات بهذه الطريقة يفعل دور الحيوان الذكوري بإذن الله ويعطيه الإذن بتلقيح البويضة. هذا والله العالم.

الأمر الثاني: عن أبي عبد الله قال لرجل يريد ولداً: «إذا رجعت إلى بلدك فأردت أن تأتي أهلك فاقرأ ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣) إلى ثلاث آيات فإنك سترزق ولداً شاء الله(٤).

الأمر الثالث: أن ينوي أن يسمي ما في بطن امرأته محمداً أو علياً.

قال رسول الله ﷺ: «من كان له حمل فنوى أن يسمي محمداً أو علياً ولد له غلام»(٥).

الأمر الرابع: وهو كثرة الاستغفار وقيل كل يوم سبعين مرة كلما كثر الاستغفار كان أفضل.

---

(١) ص ٢٦.
(٢) انتخب مولودك صبي أو بنت.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.
(٤) الوسائل: ج ٢١، ص ٣٧٣.
(٥) الوسائل: ج ٢١، ص ٣٧٧.

الطريق الثاني: ما ذكره ابن سينا في (القانون) للحصول على الذكورية عدة نقاط ملخصها ما يلي:

١ - يجب على الزوجين أن يأكلا الأكل الذي فيه سخونة.

٢ - أن يهجر زوجته من الجماع لكي تقوى الحيوانات المنوية عنده لا عن زهد فيها.

٣ - أن يقارب أهله في حالة سرور وانبساط.

٤ - أن يفكر في الذكور في أثناء اللقاء الجنسي ويتصور الأقوياء الأشداء منهم[(١)].

وتبعه على ذلك الدكتور شتلز بأنه يجب أن يتوقف عن الجماع حتى وقت الإخصاب لما تقدم في المقدمة الخامسة، وأضاف إلى أنه يلزم أن ينزل الرجل في أثناء رعشة زوجتِه (إنزالها)، أو بعده لا قبلها كما يلزم قبل المقاربة على المرأة أن تغسل مهبلها بمحلول بيكربونات الصوديوم الموجود في الأسواق بكثرة، وذلك بأن تضع ملعقتين من هذه المادة في لتر واحد من الماء.

ولكي يكون المولود أنثى يجب أن تغسل المرأة مهبلها بمحلول الماء والخل الأبيض، وذلك بوضع ملعقتين من الخَلّ في الماء وغسل الموضع بالمحلول[(٢)].

الطريق الثالث: وهو يعتمد على نوعية غذاء الزوجين؛ فقد تقرر في المقدمة الثالثة أن الأغذية تؤثر على الحيوانات المنوية والبويضة، فلذا

---

(١) القانون: ج ١، ص ٥٦٨.

(٢) انتخب مولودك صبي أو أنثى: ص ٥٦ - ٥٧.

يؤمر الزوجان بالإكثار من بعض الأغذية والابتعاد عن أخرى لمدة لا تقل عن شهرين ونصف قبل فترة الحمل.

فالزوجان اللذان يريدان الإناث عليهما أن يُكثرا من الأطعمة الغنية بالكالسيوم والمغنيزيوم، ويبتعدان عن الأطعمة التي يوجد فيها صوديوم وأملاح.

هذا الذي أحببنا أن نذكره باختصار شديد حتى لا يخرجنا عن المطلوب والمقصود الأساسي من الكتاب.

○ لا تأكلي هذا:

الغذاء له الأهمية الكبرى في بقاء الإنسان حياً معافى، بحيث إنّ لكل طعام خصوصية تختلف عن الآخر بما يوجب مراعاة سلامة الإنسان في نوعية تناوله الأطعمة؛ فنجد أنه في بعض الأمراض يُنهى المريض عن تناول بعض الأطعمة لأنها تؤثّر سلباً عليه، وهي لا تؤثر على غيره لخصوصيّة في المريض. هناك بعض الأطعمة نهى الرسول ﷺ المرأة في أسبوعها الأول من الزواج من تناولها لما لها من الآثار الوخيمة على المرأة نفسها وهي الألبان والخل والكزبرة والتفاح الحامض.

وأما سرُّ ذلك فما رواه سعيد الخدري قال: أوصى رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب لمّا زُفّت إليه فاطمة عليها السلام فقال: «وامنع العروس في أسبوعها الأول من الألبان والخل والكزبرة والتفاح الحامض، من هذه الأشياء الأربعة.

فقال عليٌّ عليه السلام: يا رسول الله ولأيِّ شيء أمنعها هذه الأشياء الأربعة؟ قال: لأنَّ الرحم تعقم وتبرد من هذه الأربعة أشياء.

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله ما بال الخل تمنع منه؟

قال: إذا حاضت على الخل لم تطهر أبداً بتمام، والكزبرة تثير الحيض في بطنها وتشدّ عليها الولادة، والتفاح الحامض يقطع حيضها فيصير داء عليها».

وبخلاصة نقول: كل غذاء أو شراب يؤثر سلباً على الوضع الطبيعي يجب الاجتناب عنه والاتقاء منه، وكل شيء من شأنه أن يفعل ويفيد من الأغذية كالبيض بالبصل أو أكل الهندباء فليداوم عليه.

الفصل الثاني
المرحلة الثالثة

لا شك أنّ اللقاء الجنسي من حيث هو حدث مادي لا بد أن يضمن الزمان الذي يقع فيه الحدث، والمكان الذي وقع فيه، والكيفية التي وقع بها. وكل هذه الأمور لها مدخلية على الزوجين وعلى الولد الذي يُراد أن يُؤتى به. ومن المسلم أن الحالة النفسية لها الأثر الأكبر في عملية الجماع؛ إذ من خلالها يتوقف نجاح العملية بمقدار يفوق النصف من تقسيم اللقاء الجنسي، وتبقى الوظيفة المادية التي تكمل الدور المطلوب لإتمام الجماع على الصورة المطلوبة. والجماع يراد منه أمران:

الأمر الأول: طلب النسل.

الأمر الثاني: طلب الشهوة واللذّة.

ومن المعلوم أنه ليس كل لقاء يراد منه الإنجاب، أما الذي يراد من خلاله الإنجاب فيجب أن يكون الزوجان في أقرب حال ترضي الله سبحانه وتعالى. فكلما كان الزوجان في صورة الإنسانية لا البهيمية جاءتهما الإشراقات الإلهية، وكان الولد في وضع يتلقى تلك الإشراقات بقدر قابليته الذاتية التي حصل عليها من والديه.

قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾[1].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

بخلاف الذي تتكون نطفته بنحو الظلمانية والجهل؛ فإن مثل هذا لا يحصل على السعادة بل يكون شقياً في بطن أمّه.

ونحن سنذكر كل الأمور التي تكون مقربة لله سبحانه وتعالى والأمور التي زجر عنها، ونهى عنها نهياً شديداً بإذن الله.

وقبل الخوض في صلب هذا الموضوع قد يطرق مخيلتك سؤال عندما تتعمق في هذا البحث والذي سيروي على مسامعك أن بعض الهيئات، أو الكيفيات تؤثر على نفس الجنين، وهو كيف نفسر ظاهرة كون أطفال أوروبا وغيرها في غاية الصحة والجمال في حين أنهم لم يلتفتوا إلى هذه المستحبات ويتجنبوا عن المنهيات؟

في الجواب يقال:

أولاً: إن الإرشادات التي جاءت بها الساحة المقدسة أمور إرشادية بمعنى تنبيهية وتعليمية سواء أكانت تحذيرية أو غيرها.

ثانياً: إن هذه الإرشادات جاءت توخياً من حدوث أمثال هذه الأمور، أي وقاية. والوقاية خير من العلاج، فقد يكون عند الأب أو الأم قابلية لحدوث أمر معين في وضع معين فتنشأ مثل هذه الحالة أو تلك.

ولتوضيح ذلك أكثر نقول: قد يأمرك الطبيب بأن لا تمشي تحت أشعة الشمس مدة طويلة، أو لا تقف خارج البيت عند حدة الشمس فتصيبك ضربة الشمس؛ فإن كثيراً من الناس يخالفون هذه الأوامر ولا يتعرضون لضربة الشمس بسرعة، ولكن قد يتعرض لذلك بعضهم من أبسط الأشياء. وحتى لا يقع ما لا يحمد عقباه ولا يحسن حدوثه، فيجب أن نتوخى ذلك.

ثالثاً: لو اطلعت على حالات الولادة في الدول الأوروبية لوجدت كثيراً من التشوهات الخلقية، أو الخُلقية وذلك لعدم الالتزام ببعض هذه الآداب.

رابعاً: إن هذه الأوامر لها آثار روحية ومعنوية تؤثر في نفسية الطفل، والله ورسوله وأهل بيته أعلم من غيرهم بما يؤثر وما لا يؤثر.

وقت الجماع

إن للوقت مدخلية كبرى في تأثيره إيجابياً أو سلبياً على الأعمال. لذا تجد أن هناك أوقاتاً حسنة لعمل ما. ونفس هذا العمل في زمن آخر يقابل بعدم القبول والرضى؛ فملاحظة الأوقات التي يقع فيها حدث اللقاء الجنسي أيضاً له هذه الصفة. والشارع الإسلامي اعتنى بهذه المسألة اعتناءً كبيراً فأخذ يحثُّ على أوقات معينة وينهى عن أخرى.

عن ضريس بن عبد الملك قال: بلغ أبا جعفر عليه السلام أن رجلاً تزوج في ساعة حارة عند نصف النهار، فقال أبو جعفر عليه السلام: ما أراهما يتفقان، فافترقا».

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام: «أنه أراد أن يتزوج امرأة فكره ذلك أبوه، قال: فمضيت فتزوجتها حتى إذا كان بعد ذلك زرتها فنظرت فلم أرَ ما يعجبني، فقمت أنصرف فبادرتني القيّمة الباب لتغلقه علي.

فقلت: لا تغلقيه، لك الذي تريدين.

فلما رجعت إلى أبي أخبرته بالأمر كيف كان. فقال: يا بني إنه ليس عليك إلاّ نصف المهر، وقال: أنت تزوجتها في ساعة حارة»(١).

---

(١) الوسائل: ج ٢٠، ص ٩٢.

فمن خلال هاتين الروايتين يظهر لنا أثر الزمان على الاستمرار في الحياة الزوجية وعدمه، وإن كانت الروايتان تشيران إلى أن إيقاع العقد في ساعة حارة موجباً للكراهية، فإنهما قد تدلان أيضاً بالدلالة الالتزامية على أن الرجل إذا واقع زوجته في ساعة حارة، وكان أول اللقاء بينهما يوجب عدم ركون النفس ونفورها من المقابل بسبب شوبه بالمنفرات الخارجية (الحر وما يسببه من ضيق وألم نفسي وتعب)، مما يؤدي إلى عدم الراحة والسعادة فيؤثر سلباً على الزوج بالنسبة لزوجته؛ فتكون مظهر تشاؤم بالنسبة له فتزهد نفسه فيها، فيقع الطلاق والعياذ بالله.

والالتزام بأوامر النبي محمد ﷺ وأهل بيته له من الأثر ما لا يخفى.

○ الأوقات المنهي عنها:

وهي كالتالي: (هي من وصية الرسول ﷺ لعلي):

أولاً: «يا علي لا تجامع امرأتك في أول الشهر ووسطه وآخره؛ فإن الجنون والجذام والخبل يسرع إليها وإلى ولدها».

وفي رواية أخرى عن الصادق عليه السلام قال: «فليسلّم لسقط الولد».

ثانياً: «يا علي لا تجامع امرأتك بعد الظهر؛ فإنه إن قضى بينكما ولد في ذلك الوقت يكون أحول».

ثالثاً: لا تجامع امرأتك في ليلة الفطر؛ فإنه إن قُضي بينكما ولد يكون له ستة أصابع أو أربعة».

رابعاً: «لا تجامع امرأتك بين الأذان والإقامة؛ فإنه إن قضي بينكما ولد يكون حريصاً على إهراق الدماء».

خامساً: «لا تجامع امرأتك في ليلة النصف من شعبان؛ فإن قضي بينكما ولد يكون مشؤوماً ذا شامة في وجهه».

سادساً: «لا تجامع أهلك في آخر درجة منه إذا بقي منه يومان؛ فإنه إن قضي بينكما ولد يكون عشّاراً أو عوناً للظالم فيكون هلاك فئام من الناس على يديه».

سابعاً: «إذا خرجت في سفر فلا تجامع أهلك تلك الليلة؛ فإنه إن قضي بينكما ولد ينفق ماله في غير حق».

ثامناً: «لا تجامع أهلك إذا خرجت إلى سفر مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن؛ فإنه إن قضي بينكما ولد يكون عوناً لكل ظالم».

تاسعاً: «لا تجامع أهلك في أول ساعة من الليل؛ فإنه إن قضي بينكما ولد لا يؤمن أن يكون ساحراً مؤثراً لدنياه على آخرته».

عاشراً: «لا تجامع ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس».

الحادي عشر: «وكل آية سماوية من زلازل وكسوف وخسوف ورياح شديدة. . . الخ».

والعلة في ذلك أنه في وقت الاضطراب الشديد تكون حالة الزوجين النفسية غير سوية، فيؤثر على حالتهما الجنسية مما تؤثر أيضاً على النطفة فتؤثر على الولد بالنتيجة.

الثاني عشر: «لا تجامع امرأتك بشهوة امرأة غيرك؛ فإني أخشى إن قضي بينكما ولد أن يكون مخنثاً مخبلاً».

○ الأوقات المستحبة للجماع:

أولاً: عليك بالجماع ليلة الإثنين، فإنه إن قضي بينكما ولد يكون حافظاً لكتاب الله راضياً بما قسم الله عَزَّوَجَلَّ له.

ثانياً: إن جامعت أهلك ليلة الثلاثاء فقضي بينكما ولد؛ فإنه يرزق الشهادة بعد شهادة: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولا يعذبه الله مع المشركين، ويكون طيب النكهة من الفم، رحيم القلب، سخي اليد، طاهر اللسان من الغيبة والكذب والبهتان.

ثالثاً: إن جامعت أهلك ليلة الخميس فقضي بينكما ولد يكون حاكماً من الحكام أو عالماً من العلماء.

رابعاً: وإن جامعتها يوم الخميس عند زوال الشمس عن كبد السماء فقضي بينكما ولد، فإن الشيطان لا يقربه حتى يشيب ويكون فهماً ويرزقه الله السلامة في الدين والدنيا.

خامساً: وإن جامعتها ليلة الجمعة وكان بينكما ولد؛ فإنه يكون خطيباً مفوهاً.

سادساً: وإن جامعتها في ليلة الجمعة بعد العشاء الآخر، فإنه يرتجى أن يكون من الأبدال إن شاء الله.

سابعاً: وإن جامعتها يوم الجمعة بعد العصر فقضي بينكما ولد يكون معروفاً مشهوراً عالماً.

ثامناً: أول ليلة من شهر رمضان لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

تاسعاً: إتيان الزوجة عند ميلها (الرواية طويلة في حادثة بين الرسول والحولاء).

عاشراً: إتيان الزوجة لمن نظر إلى أجنبية فأعجبته. عن علي عليه السلام قال: «إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليأت أهله؛ فإن عند أهله مثل ما رأى فلا يجعلنَّ للشيطان عليه سبيلاً يصرف بصره عنها. فإذا لم يكن له زوجة فليصل ركعتين ويحمد الله كثيراً وليصل على النبي صلى الله عليه وآله ثم يسأل الله من فضله فإنه له من رأفته ما يغنيه»[1].

(١) الوسائل: ج ٢٠، ص ١٠٦.

الكيفية الممنوع عنها في الجماع

أولاً: «لا تتكلم عند الجماع؛ فإنه إن قضي بينكما ولد لا يؤمن أن يكون أخرس».

ثانياً: «لا ينظرن أحد في فرج امرأته وليغض بصره عند الجماع؛ فإن النظر إلى الفرج يورث العمى في الولد».

ثالثاً: «من كان جنباً في الفراش مع امرأته فلا يقرأ القرآن؛ فإني أخشى عليهما أن تنزل نار من السماء فتحرقهما».

رابعاً: «لا تجامع امرأتك إلا ومعك خرقة ومع أهلك خرقة. ولا تمسحا بخرقة واحدة فتقع الشهوة على الشهوة؛ فإن ذلك يعقب العداوة بينكما مما يؤدي بكما إلى الفرقة والطلاق».

خامساً: «لا تجامع امرأتك من قيام فإن ذلك من فعل الحمير، وإن قُضي بينكما ولد كان بوالاً في الفراش كالحمير البوالة في كل مكان».

سادساً: «لا تجامع امرأتك تحت شجرة مثمرة فإنه إن قضي بينكما ولد يكون جلاداً، وقتّالاً، أو عريفاً».

سابعاً: «لا تجامع امرأتك في وجه الشمس وتلألؤها إلاّ أن يُرخى ستر فيستركما؛ فإن قضي بينكما ولد لا يزال في بؤس وفقر حتى يموت».

ثامناً: «إذا حملت امرأتك فلا تجامعها إلاّ وأنت على وضوء، فإنه إن قُضي بينكما ولد يكون أعمى القلب، بخيل اليد».

تاسعاً: «لا تجامع أهلك على سقوف البنيان؛ فإنه إن قضي بينكما ولد يكون منافقاً، مرائياً، مبتدعاً».

عاشراً: «لا تجامع في السفينة ولا مستقبل القبلة ولا مستدبرها».

الحادي عشر: «عدم الجماع في مكان لا يوجد فيه الماء للغسل إلا لضرورة»(١).

الثاني عشر: عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لرجل من أوليائه: «لا تجامع أهلك وأنت مختضب فإنك إن رزقت ولداً كان مخنثاً»(٢).

وفي رواية أخرى علّلها الإمام بقوله لأنه محتضر. (والمختضب الذي تلون بالحناء).

الثالث عشر: «لا تجامع المرأة وفي البيت صبي، أو صبية أو خادم يرون أو يسمعون».

عن ابن راشد أن أُسيد قال سمعت أبا عبد الله يقول: «لا يجامع الرجل امرأته ولا جاريته وفي البيت صبي؛ فإن ذلك مما يورث الزنى»(٣).

الرابع عشر: «لا تجامع المرأة وقد احتلمت؛ فإن ذلك يورث الجنون».

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢، ص ١٠٩.
(٢) وسائل الشيعة ج ٢، ص ١٢٥.
(٣) وسائل الشيعة ج ٢٠ ص ١٣٢.

قال رسول الله ﷺ: «يكره أن يغشى الرجل المرأة وقد احتلم حتى يغتسل من احتلامه الذي رأى؛ فإن فعل فخرج الولد مجنوناً فلا يلومنّ إلا نفسه»[١].

الخامس عشر: لا تجامع امرأتك ومعك خاتم فيه ذكر الله أو شيء من القرآن.

السادس عشر: لا تجامع امرأتك وفي المحضر امرأة أخرى ترى ذلك.

(١) وسائل الشيعة ج ٢٠ ص ١٣٩.

الكيفية المسموح بها في الجماع

أولاً: استحباب التسمية والاستعاذة وطلب الولد الصالح السوي عند الرغبة في الجماع.

فعن عبد الرحمن بن كثير قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فذكر شرك الشيطان فعظمه حتى أفزعني قلت: جعلت فداك فما المخرج من ذلك؟ فقال: إذا أردت الجماع فقل: بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو بديع السموات والأرض، اللهم إن قضيت عني في هذه الليلة خليفة فلا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً ولا حظاً واجعله مؤمناً مخلصاً من الشيطان ورجزه جلّ ثناؤك»[١].

ثانياً: استحباب إكثار المداعبات بين الزوجين قبل الجماع.

عن أبي عبد الله عن أسيد قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة من الجفاء: أن يصحب الرجلُ الرجلَ فلا يسأله عن اسمه وكنيته، وأن يدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب، وأن يجيب فلا يأكل، ومواقعة الرجل أهله قبل المداعبة»[٢].

ثالثاً: استحباب المكث واللبث وترك التعجيل عند الجماع، بل يتريث حتى ينتهي الطرف المقابل.

---

(١) س: ١٣٦.

(٢) س: ١١٩.

فعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «إذا أراد أحدكم أن يأتي زوجته فلا يعجلها فإن للنساء حوائج».

رابعاً: ارضِ الطرفَ المقابل بكل وجه ممكن ما لم يتعد حدود الجسد.

عن عبيد عن زرارة قال: «كان لنا جار شيخ له جارية فارهة قد أعطي بها ثلاثين ألف درهم، وكان لا يبلغ فيها ما يريد وكانت تقول: اجعل يدك كذا بين شفريّ، فإني أجد لذلك لذة وكان يكره أن يفعل ذلك فقال لزرارة: سل أبا عبد الله عليه السلام عن هذا؛ فسأله، فقال: لا بأس أن يستعين بكل شيء من جسده عليها، ولكن لا يستعين بغير جسده عليها»(١).

وذلك - والله العالم - حتى لا يكون عند المرأة أو الرجل حالة من الشذوذ والزهد في الطرف المقابل، لذا نبّه الإمام صلوات الله عليه بقوله: «من جسده عليها ولكن لا يستعين بغير جسده».

---

(١) س: ١١١.

المرحلة الرابعة

وإذا انعقدت النطفة أُذن بخلق مخلوق جديد. وهنا تجب أمور كثيرة على الأم بالخصوص؛ لأنها صارت مستودعاً لهذا المخلوق، ولأن الآثار التي ستظهر عليها ستنعكس سلباً أو إيجاباً على الطفل مما يلزم على الأم ما يلي:

أولاً: أن تضع نصب عينيها أنّ هذا المولود سيكتب له السعادة أو الشقاء في هذه الفترة؛ فعليها أن تبتعد عن المحرمات بل والمكروهات فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[1].

فالله عزوجل يقول للوالدين حتى لا تخافا على ذريتكما يجب أن تقيما حدود الله سبحانه وتعالى، وأن تقولا قولاً سديداً؛ فعملكما له انعكاسات على ذريتكما وتظهر هذه الانعكاسات منذ بداية النطفة؛ لأنه كان لها حظ من الموجود المرتبط بالوالدين. وهنا يوجد تعليق للسيد الطباطبائي في معرض تعليقه على هذه الآية الشريفة يقول: «من هذه الآيات أن هذا الانعكاس إنما هو من عمل الإنسان إلى نفسه، إلا أن

(١) سورة النساء، الآية: ٩.

هناك آيات دالة على أن الأمر أوسع من ذلك وأن عمل الإنسان خيراً أو شراً ربما عاد إليه في ذريته وأعقابه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[1].

فظاهر الآية أن لصلاح أبيهما دخلاً فيما أراده الله ورحمة بهما، وقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾[2]، وعلى هذا فأمر انعكاس العمل أوسع وأعم، والنعمة أو المصيبة ربما تحلان بالإنسان بما كسبت يدا شخصه أو أيدي آبائه»[3].

فكما أن تناول دواء من غير استشارة الطبيب قد يؤدي إلى تشوه الطفل ويكون عندها مشوهاً - لا سمح الله - فكذلك الإقدام على الأفعال القبيحة والمحرمة - والعياذ بالله - يؤثر على نفسية الطفل وتشوه روحه فيجعلها غير قابلة للكمالات والاستعدادات الروحية؛ لأن الأفعال لها تجسمات فإن أكل مال اليتيم هو حقيقة عن أكل النار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[4].

والغيبة حقيقة عن أكل لحم أخيه ميتاً؛ فإن هذا الطعام الذي يتغذى عليه الطفل مشوّه وله آثار جانبية حتماً ستنعكس هذه الآثار على الطفل.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩.

(٣) تفسير الميزان: ج ٤، ص ٢٠٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠.

ففي الرواية عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾[١] يعني منتصباً في بطن أمه مقاديمه إلى مقاديم أمه ومواخيره إلى مواخير أمه، غذاؤه مما تأكل أمه ويشرب مما تشرب تتنسمه تنسيماً... الخ»[٢].

نقل العلامة المظاهري في كتابه (تربيت فرزند در نظر إسلام) هذه القصة التي حصلت لولد العلامة المجلسي وهو ابن سبع سنوات.

«ذات ليلة وهو في صحن المسجد أخذ يلعب هنا وهناك، فوقع نظره على قربة ممتلئة في فناء المسجد، أخذ إبرة في يده ووضعها في القربة، فصبَّ الماء على الأرض... شيئاً فشيئاً وصلت الحادثة إلى مسامع العلامة فأغضبته كيف أن ولده تصرف هذا التصرف ذهب إلى بيته وأخذ يحاسب نفسه، وزوجتَه عن هذا الفعل فيقول: ما هو الشيء الذي لم أُراعه جيداً؟

ما هي الأمور التي قبل انعقاد النطفة عملتُها.. والأمور التي أثناء انعقاد نطفته عملتها.. من حيث الغذاء كان مواظباً. وأخذ يحاسب نفسه ويتذكر ما هو مورد التقصير ليرجع إليه سر فعل الطفل. فلم يجد حينئذٍ جواباً. وجّه حديثه إلى زوجته وقال لا بد أن يكون التقصير تقصيرك... فكري جيداً فيما فعلت؟ زوجته قالت: تذكرت... نعم، إنه تقصيري وقتما كنت حاملاً ذهبت إلى بيت جارتنا لأمر عندي وعندما رجعت كان في مزرعتهم توجد شجرة رمان ولما رأيتها جاء في مخيلتي أن الرّمان

---

(١) سورة البلد، الآية: ٤.

(٢) البحار: ج ٦٠، ص ٣٤٣.

حامض، ولأني كنت حاملاً لدي ميلان إلى الأشياء الحامضة، أخذت رمانة واحدة وفتحتها فوجدتها حلوة غير حامضة ولم أخبر صاحبة المنزل. هذا الذي فعلته».

فانظر يا عزيزي القارئ كيف أن لقمة واحدة وتذوقها ظهر أثرها بعد سبع سنوات!

ولولا أن العلامة المجلسي كان حريصاً على ذلك لربما زاد الأثر. فما عقوق الوالدين وضربهما والتجني على حقوقهما وحقوق الآخرين إلا نتيجة لمثل هذه الأمور.

لذا عليك أيتها الأم العزيزة أن تُراعي هذه الجوانب، وتعطيها من الأهمية ما يلزم، أن تكوني في حالة حذر وحرص من الأمور المحرمة والأكل المحرم. أمّا الأكل المشتبه به فيجب أن يسمى عليه باسم الله سبحانه وتعالى، وأن يُدعى الله أن يرفع عنه آثاره السلبية مع دفع الصدقة في ذلك حتى ترفع الآثار إن شاء الله.

الأمر الثاني: يجب أن تأخذ المرأة على عاتقها مضاعفة الأمور المستحبة، وعدم ترك الواجب لأي عذر من الأعذار، ولتقوي علاقتها بالله سبحانه وتعالى؛ فلتكن على طهارة دائماً لأن الله سبحانه وتعالى يحب المتطهرين. قال تعالى: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1] فإن البقاء على الطهارة ليس بالأمر الصعب ولا بشاق بل هو أمر سهل يسير. فإذا أحبك الله فإنه سيكافئك برحمته ونظره إليك؛ فإن نظر الله إليك ظهرت عليك الإشراقات الربانية مما تنعكس هذه الأنوار على الجنين فيكون سعيداً في بطن أمه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

ومن الأمور التي لها أثرٌ واضح هو قراءة القرآن، ويكفيك أن تعلم أن السيد محمد حسين الطباطبائي علم الهدى هذا الطفل المعجزة ما خرج بهذه الصورة إلا ببركة أن والديه كانا يومياً يقرءان جزءاً من القرآن؛ فكانت هكذا حالتهما منذ بداية زواجهما، فكافأهما الله بهذا الولد الذي يُعدُّ معجزة في قرننا هذا، زاده الله توفيقاً إلى توفيقاته.

فكما أن القرآن دافع إلى المزيد من التوفيقات والإفاضات كذلك رافع للأمور السيئة والآثار القبيحة في نفس الطفل ووالديه. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١].

حدثني أحد المشايخ اللبنانيين (حفظه الله) أن زوجته كانت حاملاً فذهب بصحبتها إلى طبيبة للكشف على وضع الجنين.. فلما كُشف عليها قالت لهما الطبيبة: إن الجنين سيولد مشوّهاً؛ بسبب وجود جرثومة من شأنها أن تخلف تشوهاً فيه.

فاصبحا بعد تلقيهما الخبر بحالة يرثى لها.. فما كان من المرأة إلا أن أخذت بقراءة القرآن وبالخصوص سورة يوسف؛ ليخرج الولد جميلاً معافى وسورة مريم؛ ليكون عفيفاً مع توسلاتها بأهل البيت رضوان الله عليهم. وبحمد الله بدل الله خوفها أمناً. فخرج الولد جميلاً معافى من كل سوء، ومن كل تشوه؛ فقد رأيته بأم عيني كذلك.

ومن لطيف ما يذكر أني تشرّفت بزيارة الإمام الرضا عليه السلام فرأيت مولاي الشيخ بهجت (روحي فداه) هناك وكنت بصحبته لما خرج من

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

الحرم المطهر، فالتفت إلي وقال: أُأْمر أهلك بأن تكثر من قراءة القرآن؛ فإنّه يؤثر في روحية الطفل وأمرها أيضاً أن تشرب ماء زمزم مع قليل من التربة الحسينية.

فسألته: هل قراءة سورة يوسف تؤثر في جمال الطفل وسورة مريم في عفافه؟

فأجاب بقوله: خذ من القرآن ما شئت لما شئت؛ فقراءة القرآن للعفاف والتقوى والجمال وما أشبه ذلك.

والخلاصة: فكل أمر من شأنه أن يقرب إلى الله يجب أن يعمل ويكون في نيته طلب التوفيق للجنين.

الأمر الثالث: كثرة الدعاء للولد وفي هذه الفترة يستحب أن يدعو الزوجان - وبالخصوص الزوج - أن يرزقه الله الولد الصالح، وأن يطلب من الله نوع الولد ذكراً كان أو أنثى، وليكن ذلك ما قبل الشهر الرابع من الحمل وفي أثنائه بالخصوص؛ فإنه يحدد كونه ذكراً أو أنثى في الشهر الرابع على بعض الروايات من قبل الله.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان بامرأة أحدكم حمل وأتى عليها أربعة أشهر فليستقبل بها القبلة وليقرأ (آية الكرسي) وليضرب على جنبها وليقل (اللهم إني قد سميته محمداً)، فإن الله عز وجل يجعله غلاماً. فإن وفى بالاسم بارك الله له فيه، وإن رجع عن الاسم كان لله فيه الخيار إن شاء أخذه وإن شاء تركه».

وهناك روايات أخرى تحث على الدعاء في أي وقت، ومن غير تحديد للشهور الأربعة الأولى بل حتى مع خروج الجنين من الرحم يستحب الدعاء أثناء ذلك.

عن محمد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: «كنت عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث دخل عليه داود الرقي، فقال: جعلت فداك إن الناس يقولون إذا مضى للحمل ستة أشهر فقد فرغ الله من خلقته. فقال أبو الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ : يا داود ادع ولو بشق الصفا.

فقلت: وأي شيء الصفا؟

قال: ما يخرج مع الولد فإن الله عَزَّوَجَلَّ يفعل ما يشاء».

الأمر الرابع

اختيار الغذاء الذي تتغذى به المرأة الحامل لأن الطعام يتحول بعد عملية الهضم إلى ذرات صغيرة تجري في الرحم بحيث يكون قوامه الغذاء، والغذاء بجميع أنواعه من البروتينات أو الدهنيات أو النشويات يصبُّ كله في خدمة الإنسان من حيث السلامة والضعف، فالجنين يتأثر بغذاء الأم باعتباره عضواً منها، له ما لها وعليه ما عليها، وذلك لأن الجنين يتغذى من مجرى الدم عبر جذور أو حبيبات مغذية تنمو في بطانة الرحم حتى تعرف هذه الجذور بالمشيمة التي من خلالها ينساب دم الجنين ومن هناك إلى دم الأم يمتص المواد من دم أمه.

وهكذا يكون تأثير الغذاء واضحاً على الجنين سواء أكان إيجابياً أو سلبياً؛ فهناك بعض الأطعمة إذا تناولتها المرأة الحامل كان أثرها واضحاً على جنينها، فكل ثمرة لها أثر خاص ينعكس على شكل الطفل. وقبل أن نستعرض هذه الأغذية يجب أن يفهم القارئ العزيز أن تناولها يلزم أن يكون بشكل مستمر، لا مرة واحدة فقط بل تلزم المداومة عليها ما دامت المرأة حاملاً، وهي كالتالي:

١ - إنّ أكل السفرجل يؤثر إيجابياً في إظهار الطفل بمظهر الجمال وأنه يصفي لونه ويطيب رائحته ويحسن أخلاقهم.

عن مسلم أنه قال في المرأة الحامل: «تأكل السفرجل فإن الولد يكون أطيب ريحاً وأصفى لوناً».

وفي رواية أخرى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أطعموا حبالاكم السفرجل فإنه يحسن أخلاق أولادكم».

قد ذكر علماء التغذية أن السفرجل يتركب منه الأملاح الكلسية وحامض التفاح والبسين أي الهضمين فهو يتألف من ٦٢,٢٪ من ماء و٧,٩٪ سكر و٩٪ بروتين و٢٪ مواد دهنية و٨,١٢٪ ألياف و١٤,٩٪ رماد. وأما مواده المعدنية فهي ٥٪ كبريت و١٩٪ فوسفور و١٤٪ كلس و٢٪ كلور و٢٪ صودا و١٢٪ بوتاس كما أنه غني بالفيتامينين (أ) و(ب).

٢ - إن أكل اللبان يجعل الطفل أشد ذكاء ويفيض عليه الشجاعة إن كان ولداً، وإن كان أنثى يحسن شكلها ويحسن أخلاقها.

عن الحسن بن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: أطعموا حبالاكم اللبان فإن الصبي إذا غذي في بطن أمه باللبان اشتد عقله فإن يكن ذكراً كان شجاعاً، وإن ولدت أنثى عظمت عجيزتها فتحظى عند زوجها بمكانة».

(اللبان): عبارة عن مواد صمغية تستخرج من الأشجار وهي في بادئ خروجها بيضاء اللون تميل إلى الاصفرار، من فوائدها أنها تنفع لكثير النسيان فالطب القديم يقول: إن أُنقع منه مثقال في ماء وشرب كل يوم نفع المبلغمين وزاد في الحفظ، وجدا في الذهن وذهب بكثرة النسيان.

وكذا قال أيضاً ابن سينا في القانون (الكندر): «إن اللبان مقوٍ للروح الذي في القلب والذي في الدماغ فهو لذلك نافع من البلادة والنسيان». انتهى كلامه.

كما يوجد في اللبان كثير من الفيتامينات.

٣ - أكل الهندباء يزيد في جمال الولد ويساعد أن يكون الولد ذكراً.

عن السياري يرفعه قال: «عليك بالهندباء فإنه يزيد في الماء ويحسن الولد وهو حارٌّ ليّنٌ يزيد في الولد الذكورة».

وأما بالنسبة للهندباء فقد ذكر علماء التغذية أنها غنية بالحديد والكلس والصوديوم والبوتاس، ولها خاصية منشطة للهضم وذات أثر في التشنجات الكبدية، ويقول الدكتور صبري القباني: «وقد اكتشف الطب الحديث أن فوائد الهندباء لا تقتصر على كل تلك الفوائد، بل تمتد إلى الجسم عامة فتقويه بسبب وجود الحديد فيها».

٤ - أكل التمر، وخاصة التمر البراني يزيد في كون الولد حليماً. وقد ورد استحبابه أيضاً بشكل مؤكد أن تأكله النفساء عند الولادة.

عن النبي ﷺ قال: «أطعموا المرأة في شهرها الذي تلد فيه التّمر؛ فإن ولدها يكون حليماً نقياً»(١).

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «ما تأكل الحامل من شيء ولا تتداوى به أفضل من الرطب». قال الله عزّ وجلّ لمريم عليها السلام: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾(٢).

---

(١) مكارم الأخلاق: ص ٢٦٥.
(٢) سورة مريم، الآيتان: ٢٥ و ٢٦.

٥ - إنّ أكل البطيخ يؤثر في إفاضة الجمال على الوجه ويحسن الخلق.

قال الرسول ﷺ: «ما من امرأة حاملة أكلت البطيخ لا يكون مولودها إلا حسن الوجه والخلق»[١].

أما بالنسبة للبطيخ فهو غني بالفيتامين (ث) وفيه نسبة ضئيلة جداً من حمض النيكوتنيك ويحتوي أيضاً على الكبريت والفسفور والكلور والسودا والبوتاس ويقول الدكتور (ينسلي) أن عصير البطيخ يقي من التيفوئيد كما يفيد المصابين بالروماتيزم.

٦ - شرب السويق يوجب أن يكون الولد قوياً.

عن بكير بن محمد قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له رجل: يا بن رسول الله يولد لي الولد فيكون فيه البَلَه والضعف. فقال ما يمنعك من السويق اشربه وأمر أهلك به، فإنه ينبت اللحم ويشدّ العظم ولا يولد لكم إلاّ القوي».

٧ - الرمان ثلاثة أنواع: حلو وحامض ومعتدل وتختلف ميزاته وخصائصه باختلاف نوعه ولاختلاف نسبة المواد السكرية الموجودة فيه، ويحتوي الرمان على فيتامين (ث) أيضاً ويحتوي الرمان على نسبة كبيرة من عنصر الحديد مما يساعد على تكوين الكريات الحمراء.

وقد ذكرت الروايات أن الرمان يساعد الأطفال على النطق بصورة أسرع ويؤدي إلى الشباب.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ٢، ص ٦٣٢.

ومن إملاء الشيخ أبي جعفر الطوسي عليه الرحمة: أطعموا صبيانكم الرمان فإنه أسرع لألسنتهم[١].

(١) مكارم الأخلاق: ٢٧١.

الأمر الخامس

يلزم على الأم أن تراعي حالة الهدوء، وبرودة الأعصاب؛ لأن حالتها تنعكس على وضع الجنين. فمن المطلوب أن لا تفكر في الأمور التي تجلب لها القلق، وتثير عندها الخوف، والاضطراب، فمثل هذا الظرف يؤثر على ضربات قلب الأم ومنه إلى جريان الدورة الدموية عندها؛ فيكون هذا إخلالاً بالمعدل الطبيعي للجنين من حيث الزيادة والنقيصة مما يسبب وضعاً خاطئاً له فيؤثر عليه سلباً.

فالإسلام عندما يراعي الجنبة الروحية للوالدين حتى يخرج ولداً متكاملاً، ومن هنا نلاحظ التحذير من الجماع أثناء حدوث الآيات السماوية من زلازل وخسوف وكسوف والريح الشديدة؛ لأنها لا تجعل الزوجين في حالة من الاستقرار، فتخرج النطفة في وضع الاضطراب والقلق، فيخرج ولد معقد، أو يخاف من كل شيء بسبب عدم استقرار نفسه التي منشؤها استقرار نفس الأم.

وهنا أذكر غلاماً صغيراً في العراق كان جميل المنظر لكنه متخلف عقلياً وفيه نوع من التشوه... وحينما سألت عائلته عن منشأ هذا التخلف والتشوه هل هو مرض وراثي أو ماذا؟

أجاب أحدُهم: إن أمّه كانت حاملاً به أثناء حرب الخليج حينما

كانت الطائرات تقصف مدنهم، وما أدراك ما هي الأحداث آنذاك من الخوف والهلع والاضطراب وعدم الاستقرار، مما أثر سلباً على نفسية الطفل ووضعه! فهكذا خرج الغلام مشوهاً ومتخلفاً ضحية الاضطراب النفسي للأم. وقد ثبت علمياً أنه إذا حدث للمرأة في أيام الحمل حادث مخيف، فإنه يتغير لونها ويقشعر بدنها لكن تظهر على جسم الجنين آثار افتتاح اللون تسمى بالخسوف.

لذا يجب على الأم أن لا تفكر إلا في نفسها، وفي طفلها. وكل الخلافات العائلية والزوجية يجب أن لا تحتل حيزاً من تفكيرها، وكذلك يجب على الزوج أيضاً أن يهيئ جواً مناسباً لزوجته، وأن يتغاضى عن تقصيراتها وأخطائها من أجل طفلها إن لم يكن من أجلها.

الأمر السادس

عند الولادة وعند ساعة الطلق والتي تطلق فيها المرأة إيذاناً بقرب الولادة تكون المرأة في حالة من الخوف بسبب تصورها لشدة ألم الطلق والولادة، والذي قد يساعد في هذه التصورات بعض النساء المحيطات بالمرأة الحامل حيث تأخذ كل امرأة - وللأسف - بإعطاء صورة مبالغة فيها، أو تصور لها واقعاً صعباً بحيث يؤثر سلباً على حالتها. لذا يجب على الزوج أن يكون عاملاً مهدئاً لزوجته ويبين لها أنها مجرد ساعة وينتهي فيها كل شيء، ويأتي المولود الذي دام انتظاره تسعة أشهر، ويحاول أن يخفف عنها الألم بإيحائه لها أن كثيراً من نساء العالم، يلدن في كل لحظة مولوداً جديداً ولو كان كما يصور لما شهدنا الإقدام على الإنجاب، وهكذا وليقدم لها الأمثال والصور الحية القريبة منها حتى تسكن نفسها ويطمئن قلبها؛ فتقبل على الولادة بروح عالية ومتفائلة لتسهل عليها الولادة.

كما ورد عن أهل بيت النبوة بعض الأدعية والأذكار التي تسهل على المرأة عند الولادة ومنها:

أولاً: صالح بن إبراهيم، عن ابن فضّال، عن محمّد بن الجهم، عن المنخل، عن جابر بن يزيد الجعفي، أنّ رجلاً أتى أبا جعفر محمد ابن علي الباقر عليه السلام فقال: يابن رسول الله أغثني. فقال: وما ذاك؟ قال:

امرأتي قد أشرفت على الموت من شدَّة الطّلق. قال: اذهب واقرأ عليها ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾[١]، ثمَّ ارفع صوتك بهذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢] «كذلك أخرج أيّها الطّلق اخرج بإذن الله» فإنها تبرأ من ساعتها بعون الله تعالى[٣].

ثانياً: عبد الوهاب بن مهدي، عن محمد بن عيسى، عن ابن همام، عن محمد بن سعيد، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال: إذا عسر على المرأة ولادتها تكتب لها هذه الآيات في إناء نظيف بمسك وزعفران ثمَّ يغسل بماء البئر، ويسقى منه المرأة وينضح بطنها وفرجها فإنها تلد من ساعتها، يكتب: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[٤] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٥] ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٦] [٧].

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٢٣، ٢٤، ٢٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ٧٨.
(٣) البحار: ج ١٠٤، ص ١١٧، ح ٤٥.
(٤) سورة النازعات، الآية: ٤٦.
(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.
(٦) سورة يوسف، الآية: ١١١.
(٧) البحار: ج ١٠٤، ص ١١٨، ح ٤٦.

ثالثاً: من كتاب المشيخة لابن محبوب، عن صالح بن رزين، عن شهاب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا عسر على المرأة ولدها فاكتب لها في رقّ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۚ﴾[1] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[2] ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[3] ثم اربطه بخيط وشدّه على فخذها الأيمن فإذا وضعت فانزعه[4].

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.
(٢) سورة النازعات، الآية: ٤٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.
(٤) البحار: ج ١٠٤، ص ١٢٠، ح ٤٩.

الفصل الثالث
عند الولادة

بعد أن يرزق الله الأم الولد سليماً ويخرج حياً يكون الطفل قد انتقل من دار إلى دار ومن حال إلى حال؛ فيكون اتصاله بعالم الدنيا بالمباشرة والواسطة أيضاً وإن اختلفت درجتها وأثرها عما قبل. ويكون دور الأب بشكل أكبر مما سبق ومن هذه الأمور التي يجب أن يلاحظها الأب ويقوم بعملها خصوصاً في اليوم الأول من الولادة ما يلي:

○ الأمر الأول: السؤال عن استواء الخلقة

عندما يسمع الأب صياح الطفل فأول ما يسأل عنه هو سلامته من التشوهات الخلقية سواء أكانت بزيادة أو نقيصة؛ فإن جاء الولد معافى صحيحاً من كل سوء حمد الله وشكره على فضله ومَنّه، وإن جاء مشوهاً بزيادة أو نقص ولم يمكن التدارك والمعالجة - لا سمح الله - صبر واحتسب ذلك عند الله عزّوجلّ ومع ذلك لا ييأس من رحمة الله، وليكثر التوسل بالله وليدعوه بأحب خلقه إليه محمد وآله الطيبين عليهم السلام أجمعين.

ومن الطريف ما ينقل أن رجلاً رزقه الله ولداً غير واضح المعالم أي ممسوح الخلقة، فجاءه الأطباء وقالوا: إن من مصلحة الطفل أن يموت الآن خيرٌ له من البقاء فيتعذب في هذه الدنيا. لذا نريد أن نعطيه حقنة تميته فماذا تقول؟

أجابهم بالنفي وقال: هذا عطاء الله وأنا راضٍ به.

أخذ طفله مصطحباً معه زوجته الباكية، وفي طريق عودته بقدرة قادر ظهرت على الطفل الملامح وأصبح ولداً جميلاً.

أقول: وليس هذا بغريب ولا مستبعد فلا محذور عقلياً ولا شرعياً ولا شيئاً آخر، ولكن هو امتحان امتحن الله عبده به، فوجده صابراً محتسباً فكافأه على صبره وثباته والله أعلم.

وكان علي بن الحسين عليه السلام إذا بُشّر بولد لم يسأل ذكراً أم أنثى حتى يقول: أسوي؟ فإن كان سوياً قال: الحمد لله الذي لم يخلق شيئاً مشوهاً.

○ الأمر الثاني: لا يفرق بين الذكر والأنثى

إذا بلغه أن المولود كان أنثى يجب عليه أن لا يغتم ولا يظل وجهه مسوداً وهو كظيم لما بُشّر به؛ فإن هذه عادة الكفار وأهل الجاهلية. بل ليفرح وليشكر الله على العطية والهبة، وليعلم أن الفتاة قد تكون خيراً له من ألف ولد ذكر. ويكفيك فخراً أنه من يُمن المرأة أن يكون أول مولود لها بنتاً. ورسول الله صلى الله عليه وآله يسمى (أبو البنات).

فلا موجب لأن يحزن الرجل عندما يجد أن زوجته ولدت بنتاً أو لا تلد إلاّ بناتاً. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خير أولادكم البنات».

عن الحسين بن سعيد اللخمي قال: «ولد لرجل من أصحابنا جارية فدخل على أبي عبد الله عليه السلام فرآه متسخطاً فقال له: أرأيت لو أن الله أوحى إليك أن أختار لك أو تختار لنفسك ما كنت تقول؟

قال: كنت أقول: يا رب تختار لي.

قال: فإن الله عزّوجلّ قد اختار لك.

ثم قال: إن الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى عليه السلام وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾(١) أبدلهما الله عزّوجلّ به جارية ولدت سبعين نبياً»(٢).

فالوالدان لا يريدان من أبنائهما إلا أن يبروهما. ومن غير المعلوم أن يكون الذكر هو الأقرب لذلك. بل عبر الله سبحانه وتعالى عن المبدل أنه خير من البدل وهي البنت.

وما يصوره البعض أن البنت لا تحمل اسمَ أباها فقد ثبت خلاف ذلك؛ فمن أصدق وأوضح الصور السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حيث كان منها الامتداد لنسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي ملأ الخافقين وهو من بنت واحدة رضوان الله عليها.

فلا ضير حينئذٍ من أن لا يكون عندك إلا البنات؛ لأنهن موجبات لدخول الجنة، والمغفرة كما جاءت به كثير من الروايات.

○ الأمر الثالث: أن يؤذّن في أذنه اليمنى ويقيم في اليسرى ويقرأ بعض السور:

من الأمور المؤكدة في الإسلام تأكيداً كبيراً عند ولادة الطفل أن يؤذن في أُذنه اليمنى، ويُقام في أذنه اليسرى وذلك لكي يُعصم من الشيطان الرجيم. فإذا كان أول ما يطرق مسامع الطفل نداء الحق، وذكر الله يكون أثرهما على الطفل أثراً واضحاً وجلياً.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨١.

(٢) الوسائل: ٢١، ص ٢٦٤.

عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من ولد له مولود فليؤذّن في أذنه اليمنى وليقِم في اليسرى، فإن ذلك عصمة من الشيطان، وإنه صلى الله عليه وآله أمر أن يفعل ذلك بالحسن والحسين وأن يقرأ مع الأذان في آذانهما فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآخر سورة الحشر وسورة الإخلاص والمعوذتان».

فقد ثبت علمياً أنّ الأصوات تؤثر على الجنين في بطن أمه فضلاً عن كونه خارج بطن أمه. ينقل التاريخ: أن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما كان يدخل على خديجة رضوان الله عليها وهي حامل بالسيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام يجدها تتحدث مع شخص. فيقول لها: مع من كنت تتحدثين؟ فتقول مع ابنتي.

وهناك قصة يتداولها الناس بينهم عن شخص مسيحي اعتنق الإسلام وكان سرُّ اعتناقه هو الأذان والإقامة والقصة هي كالتالي:

في وسط أوروبا تقطن عائلة ثرية محافظة على تعاليم الدين المسيحي رزقهم الله ولداً في ظروف كانت فيها أفراد العائلة في حالة من الاشتغال الشديد، مما أدى إلى أن يسلموا ولدهم إلى الخادم المسلم الذي يعمل في بيتهم من أجل أن يأخذه إلى الكنيسة ليقوم البابا بالصلوات والدعاء للطفل.

أخذ الخادم الطفل وخرج من البيت وما هي إلا سويعة حتى عاد به إلى أمه، وظلّ حتى أصبح شاباً، وهو ينفر من الطقوس الدينية ويحس بصدى في الداخل يناديه من غير أن يعرف ما هو هذا الصدى.. كان يشعر بشعور غريب اتجاه الحياة التي يحياها، وهكذا استمر به الحال حتى شاهد مصادفة أحد المسلمين وتعرف عليه وجرت بينهما الأحاديث

وتبادل الأفكار. . فتعمقت علاقتهما حتى اصطحبه إلى المسجد وهناك أحسَّ بشعور يجذبه إلى هذه التعاليم تشابه ذلك الإحساس الغريب الذي ينتابه بين الحين والآخر. . . اشتاق إلى هذا الدين فأسلم. . سبّبِ إسلامه ضجة كبيرة في أسرته مما حدا بوالديه للاستنجاد بالكنيسة علهم يردوا ولدهم عن هذا الدين. . .

سأل البابا أفراد العائلة: هل يحيط بكم مسلمون؟

أجابوا بالنفي.

هل يتردد عليكم مسلمون في البيت؟

كذلك كانت الإجابة بالسلب.

وكلما سألهم عن ارتباط بالمسلمين لا يجدون رابطة. . نعم، تذكرنا لدينا خادم مسلم يعمل في البيت ولكن لا خوف منه.

البابا: هل تركتم الولد بمفرده؟

الجواب كان: لا. .

وبعد التحقيق تبين أن ذلك الخادم الذي يعمل عندهم بدل أن يأخذ الولد إلى الكنيسة. . ذهب به بعيداً وأقام المراسيم الدينية للمسلمين من أذان في اليمنى وإقامة في اليسرى. وكان هذا السر في إسلام الشاب والله العالم.

وكيفما كان فلا شك أن الأذان والإقامة للطفل في ساعته الأولى من الولادة حرز من الشيطان، وأنه أمن من مرض يعتري الأطفال يعرف قديماً بأم الصبيان.

عن يحيى الرازي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا ولد لكم المولود أي شيء تصنعون به؟ قلت: لا أدري ما يصنع به. قال: خذ عدسة

جاوشير فديفه بماء، ثم قَطّر في أنفه في المنخر الأيمن قطرتين وفي الأيسر قطرة وأذّن في أذنه اليمنى، وأقم في اليسرى يفعل ذلك به قبل أن تقطع سرته؛ فإنه لا يفزع أبداً ولا تصيبه أم الصبيان».

قوله: (عدسة) أي مقدار عدسة واحدة فديفه أي بلّلها بالماء واستخدام الماء للقطر في أنف الطفل. نعم، في مثل هذه الأيام التي قد لا يستطيع أن يقام له هذه المراسيم في أول دقائق حياته لكون المرأة تلد في المستشفى، فلا يبعد في أقرب وقت بعد التمكن كأن يخرج الطفل إلى الحضانة، أو أن تقوم الأم بنفسها بإجراء هذا الأمر لأنها الوحيدة التي توجد مع الطفل في مكان الولادة. وأيضاً يمكن أن يستفاد من بعض الروايات أنه في الساعات الأولى.

○ الأمر الرابع: التحنيك

التحنيك بماء الفرات، أو بماء السماء مع تربة الحسين، أو بالتمر.

أصل التحنيك هو (الحَنَك) من الإنسان والدابة باطن أعلى الفم من الداخل وقيل الأسفل. والتحنيك بالتمر أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبي داخل فمه.

والتحنيك من الأمور المستحبة أيضاً والمؤكد عليها وكان الرسول يحنك بريقه وبالتمر.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: حنّكوا أولادكم بالتمر هكذا فعل النبي صلى الله عليه وآله بالحسن والحسين عليهما السلام».

وفي رواية أخرى: «حنكوا أولادكم بماء الفرات وبتربة قبر الحسين عليه السلام وإن لم يكن فبماء من السماء».

وأما التحنيك بماء الفرات أو غيره فيأخذ قليلاً من الماء ويسقى به الطفل.

وفي رواية أخرى عن الحسين بن أبي العلا، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: حنّكوا أولادكم بتربة الحسين عليه السلام فإنها أمان».

○ الأمر الخامس: لفُّ الطفل في خرقة بيضاء

ومن الثابت علمياً أن للألوان تأثيراً على سلوك ونفسية الإنسان حتى أنه وجدت مؤخراً معاهد ومدارس تسمى (Colour Therapy) تختص بتدريس تأثير اللون وقدرته على العلاج فقد استخدمت بعض الدراسات الألوان كوسيلة فعالة للعلاج، وبالخصوص على النساء اللواتي يعانينَ من الأرق، ومشاكل الدورة الشهرية، وما شابه ذلك، ولا تقتصر معرفة أن للألوان أثراً على نفسية الإنسان عند الباحثين فقط، بل حتى الناس العاديين فتراهم يرددون لك - مثلاً - ثلاثة يذهبن عنك الحزن الماء والخضراء والوجه الحسن. فتجدهم يشيرون عليك بالطرق التي تؤثر على نفسيتك فيعدون منها الخضرة التي تحمل اللون الأخضر.

وحقيقة اللون - كما عليه العلماء - أنه ينتج طاقات مختلفة؛ فاللون مكون من ترددات من الضوء وكل تردد يجعل الهواء يهتز عند سرعات معينة؛ فمثلاً اللون الأحمر يبعث ترددات بشكل سريع بحيث يولد في النفس الغضب والانفعال نحو هذا اللون. بخلاف اللون الأزرق الذي يرسل ترددات أقل مما يؤثر على هدوء الأعصاب إلى غير ذلك. ومن الثابت علمياً أنه يوجد تفاوت في التعامل مع اللون من مرحلة إلى أخرى ومن الطفولة إلى الكبر؛ فلكل مرحلة ألوان خاصة تؤثر فيها سلباً أو

إيجاباً، ومن المؤكد في الروايات ذلك أيضاً فالرسول الأعظم ﷺ حين يأمر بأن يلف الطفل بالخرقة البيضاء، وينهى عن اللون الأصفر، لا بد من خصوصية لهذا الأمر والنهي. أما اللون الأبيض فله أثر الصفاء على النفس البشرية، وهو أقرب الألوان له فيؤثر في نفسية الطفل ويفيض عليها هذا الإحساس مع الأثر الذي يولده من الترددات الصادرة منه على عيني الطفل الذي ستظل محاطة به ليلاً ونهاراً لمدة أشهر فضلاً عن أيام. بخلاف اللون الأصفر الذي قد يسبب الخوف في نفسية الطفل ويبعث فيها الرعب ويؤثر على العينين على ما جاءت به بعض الدراسات العلمية. ولذلك تجد أن روضات الأطفال والأماكن المخصصة لهم يُعتنى بها بشكل كبير، من حيث تلوين الجدران وصباغتها وملئها بالرسوم المختلفة التي تدعو الطفل إلى اكتشافها وفهمها والتعامل معها.

وليزداد القارئ اطلاعاً، ففي السجون والتي يراد منها التأثير على نفسية السجين يصبغ السجن باللون الأسود أو الرمادي ويوضع انفرادياً فيؤثر هذا الوضع على نفسية السجين.

عن زيد بن علي عليه السلام عن أبيه قال: «لما وَلَدت فاطمة الحسن عليه السلام أخرج إلى الرسول ﷺ في خرقة صفراء فقال: ألم أنهكم أن تلفوه في خرقة صفراء؟ ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها»(١).

○ الأمر السادس: إطعام المرأة في نفاسها التمر

ويستحب استحباباً مؤكّداً أن تتناول المرأة في شهرها الذي تلد فيه

(١) البحار: ج ١٠٤، ص ١٠٩.

وبعد الولادة التمر؛ لما فيه من الفوائد الجمّة التي تضاهي بقية الأطعمة من الفواكه والبقولات والخضروات. فكان التمر يُعدُّ أنه (منجم) أي غني بالمعادن والفيتامينات.

قال الرسول ﷺ: «إذا ولدت امرأة فليكن أول ما تأكل الرطب والتمر؛ فإنه لو كان شيء أفضل منه لأطعمه الله تعالى مريم حين ولدت عيسى».

فالتمر يشتمل على كثير من الفيتامين (أ) وهذا الفيتامين يساعد على زيادة وزن الأطفال، ولذلك يطلق عليه الأطباء (عامل النمو) كما أن التمر غني بالفوسفور بنسبة عالية. الفوسفور يدخل في تركيب العظام والأسنان.

ويقول الدكتور صبري القباني في كتابه (الغذاء لا الدواء) ص ١٢٥ في أن من يأكل بعض التمر فهو ك(أنه من شراب الحديد أو زرقة إبرة كالسيوم..).

لأن الغذاء الذي تتغذى منه الأم يتحول إلى غذاء الطفل من خلال الحليب الذي يشربه من ثدي أمه.

قال رسول الله ﷺ: «ليكن أول ما تأكله النفساء الرطب فإن الله قال لمريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾[1].

قيل: يا رسول الله وإن لم يكن أيام الرطب؟

قال: سبع تمرات من المدينة فإن لم يكن فسبع تمرات من تمر أمصاركم فإن الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني

(١) سورة مريم، الآية: ٢٥.

لا تأكل نفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاماً إلا كان حليماً (حكيماً) وإن كانت جارية كانت حليمة».

وهذا الذي يثبته العلم الحديث ويؤكد عليه أن من خصائص التمر أن يفيض عليه الحلم ويهدّئ أعصابه. يقول الدكتور صبري القباني: «هناك صفة نفسية هامة للتمر قلَّ من ينتبه إليها وهو أنه يضفي السكينة و الدعة على النفوس القلقة المضطربة.. ويرد الطب الحديث المزاج العصبي إلى نشاط الغدة الدرقية في مقدم العنق وإلى مفرزاتها.

وقد عرف أخيراً بأن بعض النباتات والثمار لها خاصية (ضد الدرقية) تحد نشاطها وتلجم مفرزاتها وفي طليعة هذه النباتات التمر... ويعلل الطب الحديث هذه الأغذية باحتوائها على الفيتامين (أ) الذي يلعب دوراً هاماً مضادّا للدرق».

فانظر عزيزي القارئ إلى أي مدى كانت الإرشادات النبوية وأهل البيت صلوات الله عليهم تطابق الواقع والحقيقة. وكيف لا تكون كذلك وهي من العلم الإلهي؟! رزقنا الله وإياكم من هذا العلم الصافي بصفاء نياتنا إن شاء الله.

الفصل الرابع
الرضاعة

إن تناول الطفل الحليب يُعدُّ من المراحل الأولية التي يقوم بها في بداية حياته. وهذه المرحلة لا تقل خطورة عما قبل الولادة؛ فالتأثر الذي يظهر على الطفل من أثر الحليب تأثّر واضحٌ جداً لذا أولى الإسلام أهمية كبرى لهذه المرحلة فنظر إليها من عدة زوايا.

○ الزاوية الأولى:

لا يوجد أفضل من حليب الأم لطفلها وذلك لأن الطفل قبل الولادة كان يعد جزءاً من أجزاء الأم فتركيبته قريبة من تركيبتها وعند استقلاله عنها سوف يبقى ذلك الأثر فيه؛ فإنه يلقف ثدي أمه ويحسُّ بالاطمئنان الذي لا يحصل عليه إلاّ عندها، فمن خلال لحظات الرضاعة يتغذى الطفل بأشياء كثيرة لا يجدها ذلك الطفل الذي تناول الحليب المجفف، وأهمها الحب والحنان والاطمئنان إلى غير ذلك.

يقول ابن سينا في (القانون): «أما كيفية إرضاعه وتغذيته فيجب أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فإنه يشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم، أعني طمث أمه فإنه هو بعينه هو المستحيل لبناً وهو أقبل لذلك وآلف له، حتى أنه صح بالتجربة أن إقامة حلمة أمه عظيمة النفع جداً في رفع ما يؤذيه»(١).

(١) ص ١٥١ - ١٢٠.

فعن النبي ﷺ أنه قال: «ليس للصبي لبن خير من لبن أمه».

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «ما من لبن رُضِع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمّه»(١).

وهذا الذي أثبته العلم مؤخراً حيث علت الصيحات من كل جانب تطالب الأم بعدم إهمال الطفل، أو الاتكال على الحليب المجفف؛ فقد جاء في (موسوعة صحة العائلة) ما هذا نصه: «علماً أن الأبحاث الطبية قد أظهرت أن للإرضاع مزايا عدة لا شك أن الحليب الاصطناعي يشبه في تركيبه حليب الأم، وإذا أعطي الطفل بالكميات الصحيحة فإنه يكفي لتغذيته ومع ذلك يفتقر الحليب الاصطناعي إلى مكونات معينة قصيرة لطفلك توجد في حليب الأم فعلى سبيل المثال: يستطيع حليب الأم وقاية طفلك من أية التهابات يملك جسمك مناعة ضدها، كما أن تركيب حليب الثدي يتغير مع تغير حاجات الطفل في حين يظل تركيب الحليب الاصطناعي ثابتاً لا يتغير... بالإضافة إلى ذلك يعزز الإرضاع الرباط العاطفي بين الأم والطفل»(٢).

وكيفما كان فقد ثبت أن إرضاع الطفل بالحليب من خلال الروايات ونظر الوجدان وحثّ العلماء والأطباء على إرضاع الطفل بواسطة أمه، لما له من ديمومة الإشراف الروحية والبدنية على الطفل ولا يترك هذا الأمر إلاّ لعارض يمنع عن إرضاعه من أمه لمرض، أو إخلال في مزاجها، أو اضطراب في فؤادها إلى غير ذلك من الأمور الموجبة لعدم إرضاع الطفل من أمه.

---

(١) الوسائل: ج ٢١.

(٢) ص ٦٦٤.

○ الزاوية الثانية: المرضعة

إن الحليب الذي يشبُّ عليه الطفل ويتغذى حتى ينمو فيه خصائص تفوق مسألة النمو الظاهري، ومسألة الشكل الخارجي؛ إذ إنّ أثره على الطفل ينساب إلى شخصيته، وتكوين سلوكه وهذه المسألة لم يدركها العلم الحديث بعد وذلك لقصور نظره على الجانب المادي، وإن تحدث عنها الاطباء والحكماء القدماء من المسلمين متبعين الأثر مشاهدين ذلك بالتجربة.

فإن اللبن الذي يتغذى عليه الطفل يساوي أثره تأثير الأم في حالة الحمل على جنينها وقت الحمل. لذلك يقول الإمام علي عليه السلام: «تخيروا للرضاع كما تتخيرون للنكاح؛ فإن الرضاع يغير الطباع».

ولا يخفى الأثر الذي يخلفه الرضاع للطفل حيث إنه قورن بالنكاح الذي فيه ديمومة البقاء، ونصف الدين بما يشعر أن له نفس الأهمية في خلق نسل طاهر متكامل. ومنه أوجب الله على العبد أن يشكر الله ثم والديه الصلبيين أو المستحدثين بعملية الرضاعة إذا وقع وجوب الشكر بعد الحمل والإرضاع.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾(١).

وقد جاء من الناحية المقدسة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكثير من الروايات التي تشير إلى هذه الحقبة الزمنية وإلى هذه المسألة بالخصوص فتعاملوا معها على نحوين:

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

النحو الأول: الحث على تخير المرضعة وأن تكون من الكريمات الأصل الحسان الوجوه الوضاءة المؤمنة.

عن الباقر عليه السلام قال: «استرضع لولدك بلبن الحسان وإياك القباح فإن اللبن يعدي».

ومنه نستفيد أنه تخير المرضعة يكون في أصل النكاح إذ لا بد أن تكون المرأة وضّاءة وحسنة الشكل مؤمنة من أصل كريم حتى يوافق أن تكون أمه هي التي تقوم بإرضاعه، وأما إذا كانت أمّه في غاية الجمال لكنها حمقاء أو قبيحة المنظر - لا سمح الله - يجب أن تكلّف غيرها في إرضاع ولدها وإن شق عليها ذلك؛ حتى لا يخرج الولد صفر اليدين من ناحية الحمل والرضاعة؛ فإن الثاني قد يخفف أثر الأول.

النحو الثاني: التحذير من بعض المُرضعات اللاتي يتّصفْنَ بالحماقة، أو الكفر، أو الزنى إلى غير ذلك والعلة واحدة في النحوين وهي التأثير على شخصية الطفل وسلوكه.

عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء؛ فإن اللبن يعدي».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «توقّوا على أولادكم لبن البغي من النساء والمجنونة؛ فإن اللبن يعدي».

عن الباقر عليه السلام: «لبن اليهودية و النصرانية والمجوسية أحب إليّ من لبن الزانية».

وذلك أن اليهودية والنصرانية والمجوسية وإن يضر إرضاعهنّ الطفل، لكن الحليب الذي سيتناوله الطفل هو من نتاج وطء شرعي

صحيح في دينهم ومذهبهم. بخلاف لبن الزنى؛ فإن منشأ هذا الحليب كان من نطفة قذرة تكونت من حرام. فكل ما كان أساسه حرام ولا يوجد به شبهة الحلال كان أثره أشد. لذا لو كانت المرضعة يهودية أو نصرانية أو مجوسية وكان حليبها ناشئ من الزنى - والعياذ بالله - تضاعف المنع، وإن انحصر فيهنَّ وفي المرأة المسلمة الزانية قدمت عليهن، وإن فُضّل إعطاء الطفل من حليب البقرة، أو المجفف على إعطائهن إياه لإرضاعه.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن تمنع الزانية من إرضاع ولدها من الزنى سواء أكان الولد منشأه الزنى - والعياذ بالله - أو الحلال ثم زنت وذلك حتى لا يجتمع عليه شقاءان.

فعن الإمام الكاظم عليه السلام لما سأله أخوه علي بن جعفر عن امرأة ولدت من الزنى هل يصلح أن يسترضع بلبنها؟ قال: «لا يصلح ولا لبن ابنتها التي ولدت من الزنى».

إجابة الإمام أشارت إلى أنَّ أثر الحرام باقٍ في صلب ابنتها التي تغذت على لبن الزنى، أو نشأت من رحم زنى. وفي رواية: «أن ملعقة من الخمر تؤثر في أربعين جيلاً». ومنه نرى في الزيارة الجامعة: «وأن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض خلقكم الله أنواراً»، وفي زيارة وارث: «وأشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تُلبسك من مدلهمّات ثيابها...».

فهذه إشارة إلى أن طهر الرحم لا ينحصر في الرحم المباشر بل ما قبله حتى آدم عليه السلام ونحن لسنا بصدد شرح مفاهيم ومعاني الزيارة.

وعن الصادق عليه السلام: «رضاع اليهودية والنصرانية خير من رضاع

الناصبية»[١]. وذلك لأن اليهودية و النصرانية لم يحصل لهم الإيمان بالإسلام إما لضعف الدليل القائم عندهم على صحة الإسلام، وإمّا لعدم قيامه أصلاً. بخلاف الناصبية - عليها لعنة الله - فقد قام عندها الدليل على صحة المعتقد والدين الإسلامي ولكنها كابرت وعاندت الرسول الأعظم ﷺ في الولاية؛ فأبغضت الإمام عليَّ بن أبي طالب عليه السلام بغض إبليس للسجود لآدم فاستحقت اللّعن والطرد، وإبليس يقول: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢]؛ فهو أقرَّ بالربوبية ولكنه عاند وكابر فلم ينفعه ذلك الإيمان غير التام، هذا أولاً.

وثانياً: إن الناصبية تحمل في طيّاتها وفي صميم فؤادها الأسود الحقدَ والكراهية لخيرة البشر بعد رسول الله ﷺ، وهذه الحالة - أعني الكراهية والحقد - لها الأثر الكبير والسلبي على نفسية الطفل؛ فإنها علاوة على كونها مرضاً يجب أن لا ترضع المرأة الطفل وهي في مثل هذه الحالة (الكراهية والحقد) لأي إنسان، فما بالك إذا كان ذلك البغض موجّها لخيرة الناس محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين. وما ينقل في ذلك أن آية الله الشيخ فضل الله نوري في زمان المشروطة في إيران حكم عليه بالإقامة الجبرية في بيته وسعت الدولة أن تعدمه، وفعلاً أخذته إلى السجن لهذا الغرض وابن الشيخ فضل الله كان من المساهمين بشكل جدي في أن يحكم على والده بالإعدام.. أحد العلماء الكبار لما رأى أن ابن الشيخ التقي يسعى لقتل والده تعجب واستحكمت عليه الحيرة والدهشة! فذهب هذا العالم إلى الشيخ في

(١) وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٦٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٨.

السجن وقال له: إن ولدك يجب أن يكون من حيث الوراثة في مرتبة عالية ويجب أن تكون لديه مقامات عالية... كيف صار ولدك لا يبالي بل يسعى من أجل إعدامك؟

أجاب الشيخ: نعم، الشيء الذي كنت أخافه وقع.. هذا الولد عندما ولد في النجف الأشرف كانت أمه مريضة، ولم تستطع إرضاعه لذا اضطررنا إلى البحث عن مرضعة له ووجدنا مرضعة، ولكن لم نكن نعرفها فأرضعت ولدي مدة من الزمان، ثم علمت إلى أن هذه المرأة غير متقية وأيضاً ناصبية ومن هنا دق جرس الخطر وهذا الذي كنت أخافه وقع.

وإذا تأملنا هذا الشيخ التقي الورع الذي لا شك في أن نطفته كانت طاهرة، ولكن كما قال الإمام علي عليه السلام «الرضاع يغير الطباع».

حتى لا يقع لك مثل هذا يا عزيزي عليك أن تراعي هذه الجوانب وأن لا تهملها فالسعيد من اتعظ بغيره.

○ الزاوية الثالثة: غذاء المرضعة

لا شك أنّ الغذاء الذي تتناوله المرضعة لا يقل أهمية عن المرحلتين السابقتين، وذلك لأن الطفل سيكون غذاؤه وشرابه من هذه المرضعة فالأكل الحلال الخالي من الشبهة هو المصدر الأساسي الذي يجب أن تتغذى عليه المرضعة، وإلا نشأ الولد على الحرام والعياذ بالله.

عن الحلبي قال: «سألته عن رجل دفع ولده إلى ظئر يهودية أو نصرانية أو مجوسية ترضعه في بيتها؟ قال: ترضعه لك اليهودية والنصرانية في بيتك وتمنعها من شرب الخمر وما لا يحل مثل لحم

الخنزير ولا يذهبن بولدك إلى بيوتهن. والزانية لا ترضع ولدك فإنه لا يحل لك. والمجوسية لا ترضع لك إلاّ أن تضطر إليها»[١].

لقد ذكرنا آثار الخمر وكيف أنه يولد إضعاف البنية وشرخ الخلايا في المخ إلى غير ذلك من الآثار. وأما لحم الخنزير فقد ثبت علمياً أنه يميت الغيرة عند الإنسان ومَنْ لا غيرة له لا يساوي روث البهائم أجلّكم الله. ونحن لسنا بصدد إثبات العلل لتحريم هذا أو ذاك. ولكن كل ما لا يحل يجب على المرضعة أن لا تتناول منه شيئاً، ولا توجد خصوصية لليهودية و النصرانية والمجوسية في ذلك بل كل امرأة مرضعة. وأما لماذا لم يذكر الإمام المسلمة أيضاً؛ لأنه من المفروض أنها قد انتهت عن هذه الأمور المحرّمة بإسلامها.

وأما اشتراطه أن يُرضِعْنَ في بيتك من أجل أن يكنّ تحت نظرك لا يُحدِثْنَ شيئاً للولد سواء في مأكلهن أو مشربهن، فلا يأمن منهن على الولد بل يجب أن يتوقفن عن شرب الخمر مدة الرضاعة، ومدة الرضاعة سنتان لا يتخللها شرب الخمر، أو أكل المحرم لأن ذلك يؤثر - كما أسلفنا - ومقدمة الواجب واجبة. أي قبل أن تسلمهن الرضيع من أجل الرضاعة يجب أن يمتنعن عن المحرمات حتى يطهرن من الدنس.

وذكره «ولا يذهبن بولدك إلى بيوتهنّ» خوفاً من أن يُطْعِمْنه، أو يسقينه الحرام أو غير ذلك من مكرهن. ولقد أخبرني ممن أثق به حينما كنت في كندا أنه قد تزوج امرأة كندية مسلمة وأبواها ما زالا على كفرهما، وكان عنده ولد وكانت جدته الكافرة تصطحب الولد إلى منزلها

(١) الوسائل: ٢١.

لتطعمه لحم الخنزير، أو كل ما هو محرم في الإسلام حتى وقع الزوجان على معرفة الأمر مصادفة. فلهذا وأمثاله يمنعن.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه يجب الحذر من الخادمات اللاتي يأتين إلى البيوتات لا تعرف ديانتهن، ولا يؤمن منهن، فلا يُسلّم الأطفال لهنّ، ولا يتركن بمفردهن مع الأطفال، وكذا المعاهد والروضات غير الموثوقة، وكل ما يخشى على الولد، أو في دور الحضانة؛ فإن ذلك لا يحل للوالدين أن يضعا ولدهما فيه. فالولد أمانة أخذت على الفطرة ويجب أن ترجع على الفطرة وإلا خانا الأمانة والعياذ بالله.

ولن يقبل الله عذر الوالدين إذا خرجا إلى العمل من أجل تحصيل الرزق وتركا فلذة كبدهما عند من لا دين له؛ فإن تربية الولد أوجب وأهم من السعي إلى تحسين المعاش؛ فالزوج هو الذي يجب أن يصرف على العائلة والمرأة تحفظ نفسها وعيالها فقط.

جاء في أحد الكتب هذه القصة: «أصيب طفل من مدينة (لوزا) باختلاجات في أحد الأيام وكان اليوم هو الخميس ثم زالت هذه الاختلاجات، وإذا بها تعود للظهور في يوم الإثنين التالي وزالت مساءً، ولكن لوحظ فيما بعد أن الطفل أصيب بهذه الاختلاجات نفسها فاتخذت الاجراءات اللازمة وبعد التفتيش عن الأسباب المؤدية لهذه الاختلاجات، تبيّن أن المُرضع تخرج يومي الأحد والأربعاء ساعتين تتناول خلالها كمية لا بأس بها من الكحول، فأمرت بالامتناع عن هذه المواد وإذا بالاضطرابات والاختلاجات تزول وتعود صحة الرضيع جيدة حسنة»[١].

---

(١) تربية الطفل العناية بالحامل والوليد.

○ الزاوية الرابعة: كيفية الرضاعة

قد يتصور البعض أن الله خلق الثديين لزينة المرأة ولكي يتناول الطفل الحليب من أيهما كان، ولكن الحق أن لكل ثدي وظيفته الخاصة التي تختلف عن الآخر، وإن اشتركا في غاية واحدة وهي تغذية الطفل؛ فإن أحد الثديين يكون غذاء والآخر شراباً لذا لا يكفي أن يُعطى من أحدهما دون الآخر، بل يجب أن يعطى من كليهما وينوع له في الرضاعة من هذا تارة ومن ذاك تارة أخرى.

عن محمد بن العباس بن الوليد عن أمه أم إسحاق بنت سليمان قالت: «نظر إليَّ أبو عبد الله وأنا أرضع أحد ابني محمد وإسحاق، فقال: يا أم إسحاق لا ترضعيه من واحد، وارضعيه من كليهما يكون أحدهما طعاماً والآخر شراباً»(١).

قال ابن سينا في صدد الرضاعة وكيفيتها ما هذا نصه: «ويجب في كل إرضاعة وخصوصاً في الإرضاع الأول أن يحلب شيء من اللبن ويسيل، وأن يعان بالغمز لئلا تضطره شدة المص إلى إيلام آلات به الحلق والمريء فيجن به، وإن لعق قبل الإرضاع كل مرة ملعقة عسل فهو نافع، وإن مزج بقليل شراب كان صواباً».

كما يلزم ملاحظة أمر مهم وهو الحالة النفسية للمرأة في أثناء الإرضاع؛ فإن كانت حادة المزاج عصبية أو داهمها الهم والغم، أو أصابها مرض يجب أن تترك إرضاع الطفل؛ وذلك لأن كل ما سبق هو عبارة عن تغير المزاج مما يؤثر على صحة البدن والنتيجة تنعكس على الولد.

(١) الوسائل: ج ٢١.

يقول الدكتور صبيح الجزار: «ثم إنّ تعرض المرضع للصدمات النفسية والأحزان والمتاعب الفكرية قد يفضي إلى توقف إفراز الحليب عندها، كما حدث عند كثيرات من اللواتي أصابتهن صدمة نفسية في رعب أو حزن أو بأس في طور الإرضاع..»(١).

وأما مدة الرضاعة، فإنها لا تتجاوز سنتين يتخللها إعطاء الطفل بعض الأغذية المقوية له.

العياشي في تفسيره عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نهي أن يضار بالصبي أو يضار بأمه في رضاعه، وليس لها أن تأخذ في إرضاعه حولين كاملين، فإن أراد الفصل قبل ذلك عن تراض بينهما كان حسناً والفصل الفطام»(٢).

○ الزاوية الخامسة: حالة المرضع الروحية

ما زال هذا الولد الجديد يتغذى من ثدي أمه الغذاء المادي والروحي أيضاً للاتصال بها، وعدم استقلاله عنها؛ فكل الآثار التي تظهر على الأم تتجلى في الولد. لذلك تقول في زيارتك للإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة: «غذتك يد الرحمة ورضعت من ثدي الإيمان وربيت في حجر الإسلام..».

حيث إن السيدة الزهراء عليها السلام تمثل الإيمان حقيقة فقد رضع الحسين عليه السلام هذا الإيمان من أمّه الزهراء عليها السلام ، وهكذا نكتشف أنَّ

---

(١) ص ١٦١.
(٢) تفسير العياشي ج ١، ص ١٢١.

الحالة الإيمانية التقوائية تؤثر في الرضيع، فالله تعالى يقول في كتابه العزيز:

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

فعندما يأمر الله في أثناء الإرضاع بالتقوى والتي هي عبارة عن الابتعاد عن كل محذور وحرام والإتيان بكل واجب إشارة قوية إلى المطلوب.

ينقل أن أحد العلماء الأبرار - رضوان الله عليه - ذهب إلى الخباز لكي يشتري خبزاً فرأى الخباز في حال استماع إلى الغناء، فتركه وانصرف، ولاحظ الخباز ذلك فأوقف العالم، وسأله عن سر إعراضه عنه.

فقال ذلك العالم: رأيت أن القوة التي تعطيك الطاقة في العمل هي استماعك للغناء. فهذه الحالة غير مرضية لله، وهذا الخبز يكون قد وصل إلينا في أثناء غضب الله فعندها لا نرى للطعام خيراً.

فكذلك حالة المولود إذا كان يتناول الغذاء، وأمّه في حالة الإشراق الإلهي سيكون لهذا الحليب لذة. بخلاف هذا لو كانت أمه في حالة معصية - والعياذ بالله - كأن ترضع ولدها وهي تغتاب، فإن الحليب سيكون منشأ من أكل لحم أخيه ميتاً أي محرماً فيؤثر على مزاج الطفل وروحيته المعنوية، وهكذا باقي حالات المعاصي حيث لها أثر على نفسية الإنسان.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

ومن اللطيف أنه لما وصلت زمام الأمور للشيخ الأنصاري ذهب بعض الناس ليبارك لأمّه على هذا المولود الذي أصبح من كبار العلماء. أُمُّ الشيخ أجابتهم قائلة: كنت أتوقع من هذا الولد أكبر من ذلك؛ لأني خلال سنتين كنت لا أرضعه إلا على وضوء. حتى في نصف الليل إذا أفاق وأخذ بالبكاء قمت - أولاً - بالوضوء ثم أرجع لكي أرضعه.

الشيخ مظاهري أحد الأساتذة الكبار رجل إلهي يوصي الأم في حالة رضاع ابنها بقوله: «إن حق الولد أن يشرب حليباً سليماً. لذا أثناء ما تعطي الأم الحليب للولد يجب عليها أن تكون في حالة ارتباط مع الله، ولا تكون في صلة مع الشيطان أصلاً، ولتقل: باسم الله أولاً، وأن لا تتخيل الأمور السيئة الوساوس الشيطانية، وإذا كانت الأم تستطيع أن تعطي ولدها الحليب في حالة الوضوء والطهارة فلتفعل، وقبلاً عليها التوبة من المعاصي بأن تقول: «استغفر الله» من كل قلبها بعد هذا كله تعطي الولد الحليب، ولك هذه الآداب التي لوحظ فيها الوضع والحال الإيمانية للوالدين حتى يخرج ولداً صالحاً طاهراً يكون قرة للعين، وكمثل شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾[١].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ - ٢٦.

البكاء وأثره الإيجابي

إن البكاء هو أول عمل يقوم به الطفل عند خروجه من رحم أمه، وبه يستدل على كونه حياً. وهو في مثل هذه المرحلة التي لم يحصل فيها على ملكة التحدث والتخاطب يعوضه الله عنها بطريقة البكاء؛ فهي وسيلته للتفاهم مع من حوله وبالخصوص أمه، فكل أمّ دققت في نغمات بكاء ابنها تعرف حاجته. ولقد رأيت أمّاً قد صرخ ابنها بالبكاء فقالت: إنه يريد أن أغير له (الحفاض) وكان كما قالت.

وللبكاء أثر كبير على صحّة الوليد؛ فمن خلاله يتخلص الطفل من الرطوبة التي في جسده والمتجمعة في رأسه والتي لها أثرٌ في منع الطفل من العمى. يقول الإمام الصادق عليه السلام في كلامه لتلميذه المفضل رضوان الله عليه: «اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة، واعلم أن في أدمغة الأطفال رطوبة، إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلة، وعللاً عظيمة من ذهاب البصر وغيره. فالبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم. أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك، فهما دائبان ليسكتانه ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان أن البكاء أصلح له وأجمل عاقبة؟!».

ويمكن أن يقال: إن هذه الرطوبة والتي يسبب بقاؤها في الأدمغة كثيراً من المرض هو ذلك المرض الذي يقال عنه (التهاب السحايا) وهو يحيط بالدماغ والحبل الشوكي سائل شوكي دماغي يوجد بين الغشاء العنكبوتي وغشاء الأم الحنون، اللذين يشكلان طبقتين من الطبقات الثلاث المسماة بالسحايا.

أما مخاطره فبعض من المرضى يصابون بعطل دائم في أجسامهم كالصمم والعيّ أو التدهور العقلي، ويتعرض صغار السن والكهول أكثر من غيرهم لخطر عدم الشفاء من هذا الداء.

وفي مورد آخر من الموسوعة نفسها تحت عنوان التهاب السحايا عند الرضع والأطفال - بعد ذكر أعراض المرض - ما هذا نصه: «ينتأ اليافوخ عند الأطفال الرضع الحديثي الولادة بدلاً من أن يكون غائراً قليلاً بفعل الالتهاب الذي يسببه الضغط المتزايد للسائل الدماغي الشوكي في داخله»[1].

وفي تقرير آخر نقول: حيث إنَّ الطفل في رحم أمه غارق في السائل الأمينوسي فهو عند خروجه يكون رطب الأعضاء ليّن الجوانب، وحيث إن الدماغ خلق جسماً سنجابياً رخواً رطباً فهو بالضرورة يكون مليئاً بالرطوبة، ويصعب تجفيف تلك الرطوبة لما للدماغ من تركيبة خاصة ومعقدة؛ فلا طريق لذلك إلا بترشح الرطوبة إلى الخارج ولا يكون ذلك إلاّ عبر البكاء بواسطة العينين عبر الغدد الدمعية الجاذبة لتلك الرطوبة إليها. فمع استمرار البكاء يحصل جفاف الدماغ، وأيضاً إذا كان الدماغ

(١) موسوعة صحة العائلة: ص ٢٧٥.

ملیئاً بالرطوبات سبب ارتخاؤه ارتخاء كل الأعضاء والأعصاب، ولاسيما أعصاب العين الرقيقات والقريبات من نفس جرم الدماغ، وإذا ارتخت هذه الأعضاء فمعناه أنها لا تبصر.

وجاء في كتاب (الموسوعة الشاملة) تحت عنوان (البكاء): «ويعتبر البعض أنه يقوي عضلات الرئتين إذا ما تراوحت مدته بين ١٥ - ٢٠ دقيقة»[١].

وما زال البعض يتصور أن البكاء محصور بحاجة معينة من لوازم الطفل، ولم يتوجه إلى هذه المعارف التي تفرّد بها الشيعة على سائر الأمم، لذلك تجدهم يقولون: يجب إسكات الطفل فما بكاؤه إلاّ من شيء ألم به.

فالكل يلاحظ وجود ظاهرة غريبة في الطفل فهو تارة يضحك وتارة يبكي مباشرة بعد ضحك! فما هو سر ذلك يا ترى؟

الروايات تجيب أن ذلك سرّ غياب الإمام عن الطفل أو لحضوره عنده.

عن المفضل بن عمر قال: سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن الطفل يضحك من غير عجب ويبكي من غير ألم؟ فقال: «يا مفضل ما من طفل إلا وهو يرى الإمام ويناجيه؛ فبكاؤه لغيبة الإمام عنه، وضحكه إذا أقبل إليه حتى إذا أطلق لسانه أغلق ذلك الباب عنه وضرب على قلبه بالنسيان»[٢].

(١) ج ١٢، ص ٣٠.
(٢) البحار: ج ٦٠، ص ٢٨١.

يقول صاحب البحار تعليقاً على هذه الرواية: يحتمل أن يكون المراد برؤية الإمام ومناجاته توجه وشموله شفاعته ولطفه ودعائه له، فإن لهم تصرفاً في العوالم يقصر العقل عن إدراكه.

أقول: ولا شك أن هذه العناية سواء أكانت بالرؤية المباشرة ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[١] أو كانت بالعناية الإلهية من اللطف أو شموله بالدعاء إلى غير ذلك تكون إذا كان الطفل في محيط إيماني، أو على أقل تقدير خلو المكان الذي فيه الطفل عن المعاصي، وغضب الرحمن، وكلما كان لطف الإمام بهذا الطفل أكثر كان حظه من التوفيق أوفر، وهو مسلوب الإرادة قصير القدر فيعود الأمر إلى الوالدين بأن يهيئا جوّاً ومكاناً تتنزل فيه الرحمات أن طبتم وطابت الأرض التي أنتم فيها.

وقد ثبت علمياً أنه لحالة الأم أثر في بكاء الطفل زيادة ونقصاً، ولذلك يلاحظ أن الولد البكر يكون بدرجة أكبر من البكاء بين إخوته وأخواته؛ وذلك لأن الأم تكون غير مجربة لتربية الأطفال فتقلق ولقلقها يبكي وليدها. بخلاف إذا كانت هادئة الأعصاب مرتاحة المزاج، فإنه يهدأ. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢].

نعم، إن البكاء - كما قلنا - حالة إيجابية، أما إن أخذت منحى آخر يجب أن يلاحظ الطفل ويسعى لكشف سر بكائه ورفعه، وقد تتحدث الأم عن سر بكاء ولدها فلا تعرف للبكاء سراً عندها فتلتجئ إلى الله

(١) سورة ق، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

وتطلب منه أن يسكت ابنها ويرتاح، ولذلك روي عن أمير المؤمنين أنه إذا كثر بكاء الطفل ولمن يفزع بالليل وللمرأة إذا سهرت من وجع حرارة الأنين أن تقرأ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾[1].

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١١ - ١٢.

أثر خروج الريق

هناك بعض المعارف والعلوم التي لم يطلع عليها أحد أو لم تلفت انتباه أحد وذلك لغفلة، أو لعدّ هذا الأمر عادياً وما تميزت العلماء عن غيرها إلاّ بما أدركته ولم يلتفت إليه الجاهلون؛ فهذا نيوتن الذي اكتشف الجاذبية بسقوط تفاحة. كم هم الملايين الذين شاهدوا سقوط جدران وصخور، فضلاً عن تفاحة ولم يلتفتوا إلى ذلك؟!

ومن هذه الأمور الريق الخارج من فم الطفل؛ فقد قال الإمام جعفر ابن محمد عليه السلام في حديثه مع تلميذه المفضل، ونحن نعرضه عليك لتعم الفائدة:

«فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريقة ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة، كما تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حد البَلَه والجنون، والتخليط إلى غير ذلك من الأمراض المتلفة كالفالج واللقوة وما أشبههما، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه...»(١).

و(الريق) هو عبارة عن سائل مائي تفرزه الغدد اللعابية التي في الفم،

---

(١) البحار: ج ٦٠، ص ٢٨٠.

لغاية ترطيب الفم واللسان ولتندية الكتلة الغذائية وتليين الطعام.

يقول محسن عقيل في كتابه (طب الإمام الصادق) معلقاً على هذه المسألة ما يلي: لنعرف أن الطفل لما كان رطب الأعضاء ليّن الأطراف عند ولادته لزم أن يكون غذاؤه مناسباً لأعضائه رقيقاً في قوامه بزيادة مائية، فإذا تغذى الطفل وجب فصل تلك المائية فتذهب إلى الغدد لتخرج إلى الخارج فتراه يبول كثيراً ويسيل من فمه الريق كثيراً، وإذا لم تسل هذه المائية التي سماها الإمام (رطوبة) وبقيت في البدن رجع إلى نفس الدم واختلطت معه، أو أنها تبقى في العضو مختلطة مع غذائه. وإذا استمر ذلك استرخى العضو وهذا بلا ريب يحدث في البدن أمراضاً عظيمة، وأحداثاً جسيمة لا يستهان بها مثل البله والجنون والتخلي، ومثل الفالج الذي يبطل فيه الحس والحركة، ومثل اللقوة التي يعوج منها الشق إلى أحد جانبي العنق وأمثالها، لكنها إذا سالت جفت الأعضاء وأخذ البدن بالنمو المطرد واكتسب القوة والنشاط[١].

(١) ص ٥١١.

الرضاعة في عصورنا الحاضرة

في عصورنا الحاضرة قد استغني بشكل واضح عن المرضعات في حالة عجز الأم عن إرضاع ابنها، واستبدل هذا بالحليب المجفف أو غيره سواء أكان لبن غنم أو بقر أو غيره، ولا شك أن فقد الوليد الحليب الطبيعي له من الأثر الواضح الذي لا يخفى على أحد من الناحية الصحية والمعنوية؛ إذ من خلال الحليب المجفف لن يحصل إلا على الغذاء المادي فقط، وأما الكمالات الروحية فإنه سيفقدها.

وهنا خطر في روعي أن أسأل الأستاذ آية الحق والعرفان آية الله العظمى الشيخ بهجت حفظه الله تعالى عن هذه القضية. فسألته: هل يوجد أثر على الطفل في مثل الحليب المجفف إذا لوحظت فيه الشرائط الروحية من ذكر الله وغيرها؟

فأجاب بقوله: ولماذا لا يعطى الحليب الطازج من (البقر)؟

فقلت له: إن مثل هذا الحليب لا يصح للطفل.

قال: إذا أكثر فيه الماء يصح. ثم أردف إن الحليب المجفف غير معلوم المنشأ. انتهى الحوار الذي جرى بيني وبينه.

أقول: إن منشأ تردد الشيخ (أدام الله وجوده) هو كون هذا الحليب غير معلوم المنشأ فلا يترتب عليه الأثر الروحي؛ فيكون حاله حال الغذاء المطروح في سوق المسلمين. وإن كان التردد هو أن المصنع الفلاني لا يدفع حقوق الله من الخمس، فيكون فيه غصب يمكن للوالدين إخراج

خمس ما يشترون من الغذاء لأبنائهم وإن لم يجب شرعاً. فيعطى الولد الحليب بعد أن يخرج خمسه ويضاف إليه ذكر الله والتوسل إليه والدعاء، إلى غير ذلك فيكون غذاء حلال المأكل طيب المشرب وإن قلت الآثار الروحية التي يكسبها الطفل والله العالم.

○ ملاحظات ابن سينا:

ذكر ابن سينا في (القانون) ملاحظات لا بأس بذكرها في المرحلة الأولى من ولادة الطفل.

الملاحظة الأولى: وإذا أردنا أن نقمطه فيجب أن تبدأ القابلة وتمسّ أعضاءه برفق فتعرض ما يستعرض، وتدق ما يستدق، وتشكل كل عضو على أحسن شكله كل ذلك بغمز لطيف بأطراف الأصابع ويتوالى في ذلك معاودة متوالية... تفرش يديه تلصق ذراعيه بركبته وتعميمه بقلنسوة.

أقول: قد يولد المولود وفيه أثر التغير من الولادة، فقد يضغط عنق الرحم على رأس الوليد فيخرج مستطيلاً أو عريضاً إلى غير ذلك؛ فمن هنا يجب التدارك لإصلاح هذا الأمر لاسيما أن أعضاء الولد ما زالت طرية قابلة للتشكيل والتغير.

وعملية التمهيد التي تمهد الطفل بشد أعضائه إلى البعض قد ثبتت فائدتها وإن حاول البعض التشكيك فيها وفي إيجابيتها. إن الطفل الرضيع قد يجلس من النوم فيرى يديه وهو لم يتعرف عليها بعد فيفزع، كما يساعد على عدم تخميش وجهه وما شابه ذلك.

الملاحظة الثانية: ويدغدغ دبره بالخنصر لينفتح.

الملاحظة الثالثة: يجب أن يكون البيت (الذي فيه الطفل) اقرب إلى

الظل والظلمة، وأن لا يسطع فيه شعاع غالب، وأن يكون رأسه في مرقده أعلى من سائر جسده.

الملاحظة الرابعة: فإنه من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين أيضاً لتقوية مزاجه (الطفل) أحدهما التحريك اللطيف، والآخر الموسيقى أو التلحين الذي جرت العادة باتباعه لتنويم الأطفال ومقدار قبوله لذلك يتوقف على تهيئته للرياضة والموسيقى أحدهما بدنه والآخر بنفسه.

أقول: لا شك أن تحريك الطفل بشكل بسيط هو عبارة عن التدليك، وهنا التدليك يُعدُّ من العوامل المحركة للدورة الدموية والمنشطة لها ويعطي حيوية للجسد والروح.

أما الموسيقى الكلاسيكية الخالية من الغناء على رأي كثير من الفقهاء جائزة لا إشكال فيها والموسيقى لها انعكاسات على النفس، إذ بها تغير الأمزجة من حال إلى حال، وأبرز آثارها تهدئة الأعصاب. ويجب أن يلاحظ في حال استماعها أن تكون خالية من ضجّة عالية، ويستحب تلحين القرآن أي تحسين القراءة بصوت حزين يؤثر في المستمع.

وقد التفتت أمهاتنا - رضوان الله عليهن - إلى هذا الفن فأخذن بالأناشيد والأراجيز عند إرضاع الطفل أو عند إرادة تنويمه بخلاف الضوضاء؛ فإنها تولد في نفسيته أثراً سلبياً.

آداب اليوم السابع

امتاز الإسلام عن غيره بأن جعل لكل شيء آداباً وضوابط، ولهذه الأمور فوائد قد يعرفها الإنسان وقد يجهلها، ولكن لكل شيء مصلحة وأثر على الفاعل؛ حيث إن الله لا يأمر أمراً عبثياً وهوائياً - والعياذ بالله - فهو الحكيم الذي لا يصدر منه إلا الحكمة، والعالم الذي لا يصدر منه إلا العلم. فقد تطرقنا سابقاً إلى الآداب التي تخص اليوم الأول بل الساعة الأولى للطفل والآن نتعلم مراسيم خاصة باليوم السابع وهي كالآتي:

الحسن الطبرسي في (مكارم الأخلاق) قال: قال عليه السلام: «سبع خصال في الصبي إذا ولد من السُّنة: أولاهن يسمى؛ والثانية يحلق رأسه؛ الثالثة يتصدق بوزن شعره ورقاً أو ذهباً إن قدر عليه؛ الرابعة يُعقُّ عنه؛ الخامسة يلطخ رأسه بالزعفران؛ السادسة يطهر بالختان؛ السابعة يطعم الجيران من عقيقته»(١).

ولكل أمر من هذه الأمور آداب خاصة به نتحدث عنها بشكل مختصر وعلى الله الاتكال.

❀ ❀ ❀

(١) الوسائل: ج ٢١، ص ٤١١.

الأول: التسمية

وهي عبارة عن إطلاق لفظة خاصة لمعنى خاص يراد به المسمى، وهي من الأمور الملازمة للإنسان في جميع العوالم التي يذهب إليها من الدنيا إلى القيامة، والاسم يؤثر تكوينياً على المسمى وله دخل في حياته من حيث السعادة والشقاء. فالأبراج من إحدى طرقها عبارة عن معرفة اسم الشخص واسم أمّه وتجمع بطريقة خاصة تحدد بها كثير من التصرفات التي يريد أن يعملها كل ذلك بهذه النقطة أو العلامة التي يطلق عليها اسم الشخص، فإذا كانت لها هذه الأهمية يجب أن تلاحظ وتراعى بهذا المستوى. نعم، قد تطور الزمان وتفتحت العقول إلى الأمور الجمالية؛ فنشدت للبحث عن أسماء جميلة لأبنائها، وتشعر بسعادة في أثناء البحث، إلاّ أنه وللأسف ما زالت شريحة من الناس حتى على مشارف ظهور القرن الحادي والعشرين تسمي أبناءها بأسماء قبيحة المعاني وأعرف شخصاً رزق ابنة أسماها (مصيبة)!!

أتعرف كم هي الكارثة على هذه البنت؟ أو مقدار العذاب النفسي الذي ولّده لها أبوها بسبب هذا الاسم؟ لذا تعال معنا لنطرق باب بيت النبوة وننظر كيف ينظرون إلى هذه المسألة:

○ الجانب الأول: وقت التسمية

يوجد لوقت التسمية اتجاهان:

الاتجاه الأول: يسمّى الولد قبل ولادته، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«سمّوا أولادكم قبل أن يولدوا فإن لم تدروا أذكر أم أنثى سموهم بالأسماء التي تكون للذكر والأنثى؛ فإن أسقاطكم إذا لقوكم في القيامة ولم تسموهم يقول السقط لأبيه: ألا سميتني وقد سمّى رسول الله ﷺ محسناً قبل أن يولد».

الاتجاه الثاني: وتميل إليه كثير من الروايات: وهو أن يسمّى الولد في اليوم السابع بعد الميلاد.

عن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «وسألته عن العقيقة عن المولود كيف هي؟ قال: إذا أتى للمولود سبعة أيام سُمّي بالاسم الذي سماه الله عزّ وجلّ به»[١].

أما وجه الجمع بين الخبرين فإنه عند الولادة أو قبل الولادة يسمى الولد بمحمد والبنت بفاطمة سبعة أيام فإن شاء غَيّرها وإن شاء أثبتها، وأما العلّة من التسمية حتى يطرح الله فيه البركة ويتشرف بهذا الاسم المعظم أو تتشرف بهذا الإسم العظيم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يولد لنا ولد إلاّ سميناه محمداً فإذا مضى سبعة أيام فإن شئنا غيّرنا وإلا تركنا».

○ الجانب الثاني: اختيار أحسن الأسماء

يسعى كل إنسان أن لا يوصف بأي وصف قبيح يدل على الاشمئزاز، أو النقيصة لذا يطمح إلى الكمال في كل ما ينسب إلى ذاته. ومن الأمور التي تنسب إلى ذات الشخص اسمه واسم أبنائه. فمن

(١) الوسائل: ج ٢١، ص ٤٢١.

الضروري حينئذٍ أن تكون جميلة في غاية الجمال؛ لأنها تعطي صاحبها السعادة والاطمئنان، إن كانت تبعث إلى البهجة وتعطي الشؤم إذا كانت منفرة. فما أحسن أن يكون الشخص اسمه حسناً! فيقول له الغير أحسن الله أيامك أو أخلاقك، وما أقبح أن يكون اسم الشخص كلباً أو حماراً ويشتم بمجرد ذكر اسمه!

لذا نجد الإسلام يركّز على هذه المسألة فيأمر الأب أن يختار الاسم الحسن. بل يراه من حقوق الابن على الأب اختيار الاسم الجميل.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله استحسنوا أسماءكم فإنكم تدعون بها يوم القيامة يا فلان ابن فلان قم إلى نورك وقم يا فلان ابن فلان لا نور لك».

وفي حديث آخر يقول الرسول صلى الله عليه وآله: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأدبه».

○ الجانب الثالث: تغيير الأسماء القبيحة

قد يصاب الشخص بأب لم ينل الوعي الكافي، أو الإدراك المطلوب فتنعكس هذه الثقافة والوعي على حياته؛ فيختار ما لا يناسب، أو لا يحسن الانتقاء، يجعل لابنه اسماً غير لائق فهنا يلزم على الولد أن يغيّر اسمه الذي سمّاه أبوه به، ويحسن هو الاختيار وليس عليه حرج ولا ضرر. بل حتى عائلته إن كان لقبها مقززاً كما حال بعض العوائل.

بل كانت عادة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته صلوات الله عليهم يغيرون الأسماء القبيحة بأخرى حسنة.

جاء رجل نصراني إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: «ما اسمك؟ فقال: اسمي عبد الشمس؛ فقال له رسول الله ﷺ: بدّل اسمك فإني أسميك عبد الوهاب».

وفي قصة أخرى: «أن رجلاً قال له رسول الله ﷺ ما اسمك؟ قال: حزن؛ قال له الرسول: بل سهل. أجاب ذلك الرجل بقوله: بل اسمي حزن ولا حاجة لتغير اسمي.

فما زالت الحزون والشدائد في عقبه حتى لعنوه لأنه لم يسمع كلام الرسول ﷺ».

وعندما ينهى الإسلام أن يسمي الإنسان نفسه باسم غير جيد ينهى أيضاً أن يطلق الإنسان على نفسه بعض المسميات المضحكة أو الجالبة للاستهزاء به أو الاستهتار من قبل الآخرين؛ فإن الإسلام يحرم على الإنسان أن يجعل نفسه سخرية للآخرين فهو أول مراتب الحقارة الذاتية التي تؤثر على نفس الشخص.

○ الجانب الرابع: أثر التسمية

قلنا سابقاً: إن التسمية الحسنة لها أثر إيجابي؛ فهل يقتصر هذا الأثر على عدم الاستهزاء أو الاحترام فقط أو هناك آثار أخرى؟ لا يمكن لأحد أن يجيب على هذا السؤال غير مدرسة واحدة هي مدرسة أهل البيت عليهم السلام وذلك لأنَّ علمها مستفاد من علم الله، والله العالم بحقائق الأمور.

عن ربعي بن عبد الله قال: «قيل لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك إنّا نسمّي بأسمائكم وأسماء آبائكم فينفعنا ذلك؟ فقال: إي والله وهل

الدين إلّا الحب! قال الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(١).

وإن من أول آثار المنفعة معرفة الموالي من خلال اسمه؛ فإذا كان اسمه علي بن حسين بن محمد بن مهدي فإن هذا أول الاستدلال على كونه من أهل الولاية؛ فيسكن الفؤاد عند سماع هذا النسب المشمول بأسماء الأنوار الإلهية. كما سكن فؤاد القاسم ابن الكاظم عليه السلام عندما سمع تلك الجارية تقسم بحق صاحب بيعة الغدير على صاحبها آلاف التحية والسلام.

وأما ما يسعى إليه بعض الآباء من تسمية أبنائهم بأسماء أعداء أهل البيت - وللأسف - حتى لا تكون العين على أبنائهم، وحتى ينالوا الوظائف هنا أو هناك، وغيرها فهذا من ضعف الإيمان وقلة البصيرة وتلبس الأمر عليهم بالمتشابهات هداهم الله إلى حقائق الأمور.

ونحن سنتحدث باختصار شديد عن آثار بعض الأسماء وما لها من الأحكام.

○ أولاً: محمد

١ - من المستحب الأكيد تسمية أحد الأبناء بمحمد. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من ولد له أربعة فلم يسم بعضهم باسمي فقد جفاني».

٢ - يجلب الخير لأهله ويقدّس من قبل الملائكة.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من مائدة وضعت فقعد عليها من اسمه محمد أو أحمد إلا قدس ذلك المنزل في كل يوم مرتين».

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

٣ - يكون حاجباً عن النار موجباً لدخول الجنة.

عن أبي جعفر بن محمد عن آبائه عن ابن عباس قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: «ألا ليقم كل من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة سميّه محمد ﷺ».

وفي رواية أخرى للقطب الراوندي: أن رجلاً يؤتى في القيامة اسمه محمد فيقول الله له: «ما استحييت أن عصيتني وأنت سمي حبيبي وأنا أستحيي أن أعذبك وأنت سميّ حبيبي».

٤ - ما من قوم كانت لهم مشورة حضر معهم اسم أحمد أو محمد فأدخلوه في مشورتهم إلا خير لهم.

٥ - إذا نذر أن يسمّى الجنين الذي في بطن المرأة محمداً كان ذكراً.

قال الرسول ﷺ: «من كان له حمل فنوى أن يسميه محمداً أو علياً ولد له غلام».

أما الأحكام التي يجب أن تراعى عندما يسمّى الشخص ولده باسم محمد، أو عندما يتعامل مع شخص اسمه محمد، أو أحمد يجب أن يكرمه بجميع أنواع الإكرام ويحترمه ويوقره ويوسع له في المجالس إلى غير ذلك.

عن النبي ﷺ قال: «إذا سميتم الولد محمداً فأكرموه وأوسعوا له في المجالس ولا تقبّحوا له وجهاً». وفي رواية أخرى: «ولا تضربوه ولا تسمّوا أبناءكم محمداً ثم تلعنوهم».

○ ثانياً: أثر اسم علي على الشخص

١ - من الآثار التكوينية لاسم علي أنه يطيل العمر لصاحبه:

ففي حديث طويل عن الرضا عليه السلام أنه قال: «سمّه علياً فإنه أطول لعمره».

٢ - إذا نذر أن يسمى الجنين علياً يكون غلاماً ولداً.

○ ثالثاً: آثار من تسمّى بأسماء أهل البيت

١ - إذا وجد شخص في بيت بأسمائهم المطهرة ينتفي عن هذا البيت الفقر.

عن سليمان الجعفري قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء».

أقول: والمراد منه الفقر الحقيقي لا الظاهري إذ الظاهري ربما قد يحصل في بعض الأحيان وفي بعض الروايات: «أن الرجل ما دام عنده ولاية أهل البيت وهو متمسك بها ليس بفقير»، وإن كان ظاهره الفقر المادي. هذا والله العالم.

○ الجانب الخامس: الأسماء المنهي عنها

هناك بعض الأسماء التي نهى النبي صلى الله عليه وآله عن التسمي، أو التكني بها ونحن نوردها من غير سرد الروايات حتى لا يطول المقام إذا اقتضت الحاجة. هي كالآتي: همام والحارث ومبارك وبشير وميمون؛ لئلا يقال: ثم مبارك ثم بشير ثم ميمون. وقال: لا تسموا شهاباً فإن شهاب اسم من أسماء النار وفي رواية أبغض الأسماء إلى الله حارث ومالك وخالد. وأيضاً الحكم وحكيم وضرار ومرّة وحرب وظالم. وفي الكنى

قال النبي ﷺ: ولا يكنيه بعيسى ولا بالحكم ولا بالحارث ولا بأبي القاسم إذا كان الاسم محمداً.

هذا كله في الرجال أما النساء فلا تسمى بالحميراء.

❁ ❁ ❁

الثاني: الحلق

الحلق من الأمور التي أكدت عليها الشريعة الإسلامية حتى وردت أكثر من سبعٍ وثلاثين رواية تؤكد على حلق الذكر والأنثى على حد سواء، والبعض يتصور أن بشرة الطفل ما زالت رقيقة لا تتحمل، أو يخاف من حلق رأس الطفل فتتغير نعومته، ولكن الحق والإنصاف هو خلاف ذلك. فالمتأمل لبعض الأطفال يجد أن شعره يتساقط ثم ينمو من جديد. فعند الحلق يوفر الوقت للطفل ويستعمل الاستحباب المؤكد فلم يأمر المولى إلاّ بما هو صلاح للطفل ولوالديه.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في المولود قال: «يسمى في اليوم السابع ويعقُّ عنه ويُحلق رأسه ويتصدق بوزن شعره فضة». وفي رواية أخرى «أو ذهب».

وقد يخطر على بال الشخص تساؤل عن العلة الموجبة للحلق؟

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سئل ما العلة في حلق شعر رأس المولود؟ قال تطهيره من شعر الرحم».

كما يلزم عند حلق الطفل أن لا يلعب برأسه فيحلق من جهة ويترك من أخرى.

قال أمير المؤمنين: «لا تحلقوا للصبيان القزع، والقزع أن يحلق موضعاً ويترك موضعاً».

وهناك نكتة - الله ورسوله أعلم بها - وهي أنه إذا تجاوز المولود

أكثر من سبعة أيام لا يحلق له. أما ما هي أسرار القضية؟ يحتاج إلى بحث أكثر.

سأل علي بن جعفر أخاه موسى بن جعفر عليه السلام عن مولود لم يحلق رأسه يوم السابع فقال: «إن مضي سبعة أيام فليس عليه حلق»[١].

❀ ❀ ❀

(١) البحار ١٠٤، ص ١٣٣.

الثالث: الختان

وهو من الأمور اللازمة والواجبة شرعاً على الصبي وقد ثبت علمياً أنه يفيد الولد من إزالة الجراثيم والبكتيريا عن المنطقة المخصوصة كما يفيد نبات اللحم وسرعته في جسد الصبي.

عن النبي ﷺ أنه قال: «اختنوا أولادكم يوم السابع فإنه أطهر وأسرع لنبات اللحم». وقال: «الأرض تنجس ببول الأغلف أربعين صباحاً».

ومن الأمور التي تجب أثناء الختان قراءة دعاء خاص وهو ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في الصبي إذا ختن قال: يقول: «اللهم هذه سنتك وسنة نبيك ﷺ، واتباع منا لك ولدينك بمشيئتك وبإرادتك لأمر أردته وقضاء حتمته وأمر أنفذته، فأذقته حر الحديد في ختانه وحجامته لأمر أنت أعرف به مني. اللهم فطهّره من الذنوب وزد في عمره وادفع الآفات عن بدنه والأوجاع عن جسمه وزده من الغنى وادفع عنه الفقر؛ فإنك تعلم ولا نعلم».

قال أبو عبد الله عليه السلام: «من لم يقلها عند ختان ولده فليقلها عليه من قبل أن يحتلم فإن قالها كفى حر الحديد من قتل وغيره»[(١)].

ومن الطريف ما نقل أنه جرت محاورة بين الإمام أبي عبد الله وزنديق وذلك عن الختان.

---

(١) الوسائل: ج ٢١.

قال الزنديق: أخبرني هل يعاب شيء من خلق الله؟

قال أبو عبد الله: لا.

الزنديق: فإن الله خلق خلقه غرلاً، فلم غيرتم خلق الله، وجعلتم فعلكم في قطع الغلفة أصوب مما خلق الله، وعبتم الأغلف والله خلقه، ومدحتم الختان وهو فعلكم أم تقولون: إن ذلك كان من الله خطأ غير حكمة؟

فقال أبو عبد الله: ذلك من الله حكمة وصواب غير أنّه سنَّ ذلك وأوجبه على خلقه. كما أن المولود إذا خرج من بطن أمّه وجدتم سرّته متصلة بسرة أمه، كذلك أمر الله الحكيم فأمر العباد بقطعها وفي تركها فساد بين المولود والأم، وكذلك أظفار الإنسان أمر إذا طالت أن تقلّم وكان قادراً يوم دبّر خلقة الإنسان أن يخلقه خلقة لا تطول، وكذلك الشعر في الشارب والرأس تطول ويجز، وكذلك الثيران خلقها فحولة وإخصاؤها أوفق وليس في ذلك عين في تقدير الله عزّ وجلّ».

هذا الحديث كله في ختان الصبي.

أمّا ختان الفتاة فإن الإسلام جعل ذلك مكرمة أي هبة إن فعلت كانت حسنة وإن لم تفعل لا ضير فيها. وفي زماننا هذا قلَّ ختان الفتيات. نعم في أفريقيا ما زال هذا العمل قائماً وإن كان بطريقة خاطئة؛ إذ المعمول به هناك هو استئصال البظر كاملاً، وهذا الذي نهى عنه الإسلام، وحث على المرأة التي تريد ختان ابنتها أن تبقي منه شيئاً حتى تحس مما يجب عند الزواج. وفي قصة طويلة خلاصتها: إنه كانت هناك امرأة تسمى أم حبيبة وكانت خافضة هاجرت إلى المدينة رآها رسول الله فسألها عن بقائها في عملها؟ فأجابت بالإيجاب. فقال لها رسول الله: «إذا أنت

فعلت فلا تنهكي أي لا تستأصلي وأشمي؛ فإنه أشرق للوجه وأحظى عند الزوج».

وفي رواية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «يا معشر النساء إذا خفضتُنَّ بناتكن فبقِّين من ذلك شيئاً، فإنه أنقى لألوانهن وأحظى لهنّ عند أزواجهن»[١].

❁ ❁ ❁

(١) مستدرك الوسائل ج ١٣، ص ٩٤.

الرابع: العقيقة

العقيقة من الأمور الضرورية التي يجب عملها عن الطفل ويستحب تماثل الذكر بالذكر والأنثى بالأنثى من الشاة. ويفضل أن تكون سمينة وهي لازمة على الأغنياء والفقراء إذا تيسروا. فإذا لم يعق عن الولد يعق عن نفسه حتى مع الكبر، والعقيقة لا تعطى إلاّ لأهل الولاية؛ فإن أراد أن يوزعها فليوزعها على الفقراء وعلى الأغنياء على السواء لا فرق، وإن أراد يقيم عليها وليمة.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كل امرئ مرتهن يوم القيامة بعقيقة والعقيقة أوجب من الأضحية».

وكما يلزم من ذبح العقيقة ولا يكفي التصرف بثمنها. كما جاءت الرواية عن أبي جعفر لما عسرت أن يجد العقيقة لا يذبحها فسأله زيد بن علي بقوله: قسرت عليَّ الأخرى فأتصدق بثمنها؟ قال: لا أطلبها فإن الله عزّ وجلّ يحب إهراق الدماء وإطعام الطعام.

أقول: والظاهر أن لزوم العقيقة، وأن الله يحب الدماء أنها لأمرين: أولها لسلامة المولود عن المخاطر؛ فهو عند الذبح يقول: «لحمها بلحمه ودمها بدمه وعظمها بعظمه اللهم اجعله وقاء لفلان ابن فلان».

ويمكن أن يقال في الأمر الثاني: إن الروح قبل أن تلج في المولود كانت في عالم الأرواح تعيش معها، وتأنس بها، كما جاءت الرواية: «إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف».

فهي تعيش في ذلك العالم وعند ولوجها في بدن الإنسان فارقت ذلك العالم مما أوجدت مكاناً خالياً فاستوحشت الأرواح لفقدانها، وعند ذبح العقيقة. روح العقيقة تكون هي مكانها في ذلك العالم حتى تعود إليه. والله العالم.

كما يلزم عند ذبح العقيقة أن يدعو بما هو المأثور ومنها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يقال عند العقيقة: «اللهم منك ولك ما وهبت وأنت أعطيت اللهم فتقبله منا على سنة نبيك صلى الله عليه وآله».

وتستعين بالله من الشيطان الرجيم وتسمّي وتذبح وتقول: «لك سفكت الدماء لا شريك لك، والحمد لله رب العالمين اللهم اخسئ الشيطان الرجيم».

ويعطي من الذبيحة القابلة ربعها، أو الرجل والورك كما يكره للأب، أو أحد عياله - وخصوصاً الأم - أن يأكل من العقيقة. فإن أكلت الأم من العقيقة لا ترضع ولدها؛ لأنّه يؤثر سلباً على الطفل. وقد تكلّمنا بما فيه الكفاية عن أثر الأكل على المرأة الحامل ووليدها فلا نعيد.

وعن الصدوق في المقنع وفي فقه الرضا عليه السلام يقول: «وإذا أردت أن تعقّ عنه فليكن عن الذكر ذكراً وعن الأنثى أنثى، وتعطي القابلة الورك ولا يأكل منه الأبوان. فإن أكلت منه الأم فلا ترضعه، وتفرق لحمها على قوم مؤمنين محتاجين، وإن أعددته طعاماً ودعوت عليه قوماً من إخوانك فهو أحب إلي، وكلما أكثرت فهو أفضل، وحدّه عشرة أنفس وما زاد. وأفضل ما يطبخ به ماء وملح»(١).

---

(١) البحار: ج ١٠٤، ص ١١٦.

الخامس: أن يلطخ رأسه بالزعفران

وهو أن يؤتى بماء يوضع فيه زعفران ويأخذ هذا الماء ويغسل رأس الطفل بهذا الماء. وأما ثمرة هذا الفعل وأثره فالله ورسوله أعلم.

* * *

ملحق

○ يوم الولادة:

هذا اليوم والذي يعد أول يوم لمخلوق جديد على بسيطة الأرض والذي يترقب الوالدان، بل الأهل أجمعون يترقبون اليوم الذي يولد فيه بل الساعة بفارغ الصبر. هل خطر على بال أحد من الوالدين، أو الأهل أن اليوم الذي يولد فيه يكون له أثر على المولود من حيث السعادة أو الشقاء فتكتب له السعادة.

نعم، فقد يولد في يوم سعيد وطالع سعيد حسن، وقد يولد في يوم شؤم فيكتب له الشقاء إلا أن يشاء الله ويمحو وعنده أمُّ الكتاب.

في رواية طويلة جداً تتحدث عن الأيام من حيث سعادتها وشقاوتها، وما يصلح فيها، ذكرها العلامة المجلسي في البحار وكذلك النوري في مستدركه للوسائل ونحن نوردها لتعمَّ الفائدة أكثر.

عن الصادق عليه السلام أنه قال في اليوم الأول من الشهر: هو يوم مبارك محمود فيه خلق الله آدم، ومن يولد فيه كان محبوباً مقبولاً مرزوقاً مباركاً.

الثاني: يوم محمود خلق الله تبارك وتعالى فيه حواء، ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً.

الثالث: يوم نحس فيه قُتِل هابيل قَتَلَه أخوه قابيل (عليه اللعنة والعذاب السرمد)، ومن ولد فيه كان منحوساً. وفي رواية أخرى: «ومن ولد فيه كان مرزوقاً طويل العمر».

الرابع: يوم متوسط صالح لقضاء الحوائج فيه ولد هبة الله شيث ابن آدم... ومن ولد فيه كان مباركاً.

الخامس: يوم نحس فيه لعن إبليس وهاروت وماروت... ومن ولد فيه كان مشؤوماً ثقيلاً عسير الرزق.

السادس: يوم صالح ولد فيه نوح عليه السلام، ومن ولد فيه كان مباركاً موسعاً عليه في حياته.

السابع: يوم سعيد مبارك فيه ركب نوح عليه السلام السفينة... ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً على نفسه وأبوه خفيف النجم موسعاً عيشه.

الثامن: ومن ولد فيه كان متوسط الحال طويل العمر. (إنه يوم مبارك).

التاسع: يوم صالح محمود فيه ولد سام بن نوح عليه السلام ، ومن ولد فيه يكون محبوباً مقبولاً عند الناس يطلب العلم ويعمل عمل الصالحين.

العاشر: يوم محمود رفع الله فيه إدريس مكاناً علياً... ومن ولد فيه كان مباركاً حليماً صالحاً عفيفاً.

الحادي عشر: ومن ولد فيه كان مباركاً صالح التربية (يكون مباركاً مرزوقاً في حياته طويل العمر ولا يفتقر أبداً).

الثاني عشر: يوم مبارك.. ومن ولد فيه كان عفيفاً ناسكاً صالحاً.

الثالث عشر: يوم نحس... ومن ولد فيه كان مشؤوماً عسير الرزق كثير الحقد نكر الخلق.

الرابع عشر: يوم صالح... ومن ولد فيه عاش سليماً سعيداً وكان في أموره مسدداً محموداً مرزوقاً.

وفي رواية أخرى: «من ولد فيه يكون في آخر عمره كثير المال ويكون حسن الكمال مشغوفاً (شدة الحب) بطلب العلم ويعمر طويلاً ويكثر ماله في آخر عمره ويكون غشوماً ظلوماً».

الخامس عشر: ومن ولد فيه يكون ألتغ اللسان أو أخرس. (يوم مبارك).

وفي رواية أخرى: «يوم محذور».

السادس عشر: يوم نحس رديء مذموم لا خير فيه... ومن ولد فيه يكون مشؤوماً عسر التربية منحوساً في عيشه. وفي رواية أخرى: «ومن ولد فيه في صبيحته إلى الزوال كان مجنوناً ومن ولد فيه بعد الزوال تكون أعماله صالحة (يكون مخبلاً)».

السابع عشر: من ولد فيه كان مباركاً سعيداً في كل أمره.

الثامن عشر: من ولد فيه كان حسن التربية محمود العيش.

التاسع عشر: يوم مختار مبارك... ومن ولد فيه كان كاتباً مباركاً مرزوقاً.

العشرون: يوم جيد محمود صالح مسعود مبارك.. ومن ولد فيه كان طويل العمر ملكاً يملك بلداً أو ناحية منه.

وفي رواية أخرى: «يوم متوسط.. ومن ولد فيه عاش في صعوبة».

الحادي والعشرون: يوم نحس مذموم... ومن ولد فيه كان ضيق العيش نكد الحياة (ومن يولد فيه يكن محتاجاً فقيراً في أكثر أمره ودهره).

الثاني والعشرون: يوم سعيد مبارك... من ولد فيه كان مباركاً ميموناً سعيداً.

الثالث والعشرون: يوم سعيد... ومن ولد فيه كان سعيداً وعاش عيشاً طيباً (يكون مباركاً صالحاً).

الرابع والعشرون: يوم نحس مستمر... ومن ولد فيه كان منحوساً. وفي رواية أخرى: «ولد فيه فرعون والمولود فيه يقتل في آخر عمره إذا حرص على طلب الرزق أو يغرق».

الخامس والعشرون: يوم نحس مكروه ثقيل نكد... ومن ولد فيه يكون ثقيل التربية نكد الحياة.

السادس والعشرون: يوم صالح... ومن ولد فيه كان متوسط الحال. وفي رواية أخرى: «المولود يطول عمره».

السابع والعشرون: يوم صاف مبارك من النحوس، ومن ولد فيه كان مباركاً خفيف التربية. (إنه يكون طويل العمر كثير الخير).

الثامن والعشرون: يوم مبارك... ومن ولد فيه يكون مباركاً خفيف التربية. (إنه يكون طويل العمر كثير الخير).

وفي رواية أخرى إنه يوم مبارك... ومن ولد فيه يكون مباركاً مقيداً (إن يعقوب ولد فيه ومن ولد فيه، يكون محزوناً طويلاً عمره ويصيبه الغم ويبتلى في بدنه).

(ومن يولد فيه يكون مرزوقاً محبباً إلى الناس وإلى أهله، محسناً إليهم، إلاّ أنه تصيبه الهموم والغموم ويبتلى في آخر عمره ولا يؤمن عليه من ذهاب بصره).

التاسع والعشرون: يوم مبارك... ومن ولد فيه كان مباركاً (الذي يولد فيه يكون حليماً).

الثلاثون: يوم مبارك مسعود... ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً مقبلاً حسن التربية موسعاً عليه[(١)].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خصوص من يولد في يوم الثلاثين: «ومن ولد فيه يكون حكيماً حليماً صادقاً مباركاً مرتفعاً ويعلو شأنه، ويكون صادق اللسان صاحب وفاء»[(٢)].

أقول أولاً: إن معنى السعادة والنحوسة بلحاظ الآثار الواقع فيها لا بخصوص نفس الأيام. فاليوم بما هو أربع وعشرون ساعة لا نحس فيه ولا سعادة. وكما قال الإمام علي عليه السلام: «كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد». وعلى هذا لقي الخير في أيامه والحوادث الحسنة ويتخلص من الشؤم والنحوسة، كما قال آية الله مظاهري بالتوكل على الله وبواسطة الدعاء وقراءة القرآن والصدقة حتماً سيزول الحزن، وانتهى كلامه على فرض وجودها.

ويقسم العلماء سعادة الأيام ونحوستها إلى قسمين:

القسم الأول: يقول بوجود سعادة وشقاوة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾[(٣)].

هذا في النحس.

القسم الثاني: لا سعادة ولا شقاوة في الأيام.

وذلك أولاً: لأن لحاظها بالآثار الواقعة فيها وهو ما ذهبنا إليه.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ٨، ص ١٤٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٨، ص ١٦٩.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١٦.

ثانياً: قد يحصل في أيام النحوسة ولادة إمامٍ طاهر مثل ميلاد الإمام علي بن أبي طالب في الثالث عشر، والحسين في الثالث من شعبان، وزين العابدين في الخامس منه إلى غير ذلك. وهذا لا يدل على نحوستهم - والعياذ بالله - بل قد يظهر في واقع المصاب فرحة عظيمة تغطي نحوسة ذلك اليوم؛ فمثلاً: قد يحدث أن شخصاً يركب سيارته ثم يحدث له حدث عظيم فهو عليه نحس وفي نفس الوقت يكون سعيداً لخروجه حياً من الموت المحقق فخروجه أنساه النحوسة.

ثالثاً: مع تسليم وجود أيام سعادة وأيام نحوسة فإنه إرشاد الإمام، وإن من يولد فيها يكون كذا أو كذا ما هو إلا إشارة إلى قابليته واستعداده لذلك. وقد تقدم إيضاح ذلك في مقدمة النكاح فراجع.

الباب الثاني

تمهيد

قبل بلوغ الإنسان مرحلة الكمال والاعتماد على النفس والاستقلال عن الآخرين والتي تسمى بسن الرشد أي رشده وفقهه للحياة، وكونه قادراً على مواجهة الحياة بما اكتسب من خبرة منها، نجده قد مرّ بمراحل حتى وصل إلى هذه المرحلة (الرشد). وعند النظر في هذه المرحلة نلاحظ لها خصوصيات، ومقومات تقوم كل مرحلة على حدة، بحيث إن كل فترة من الفترات لها آثار تختلف كلياً عمّا قبلها.

فمثلاً نرى أن الحديث مع طفل لم يتجاوز الرابعة والخامسة من عمره يختلف عن الحديث مع من تجاوز ثلاث عشرة سنة. وهكذا مع الشاب أو الرجل الكبير.

منشأ هذه الاختلافات وجود الفوارق في المستويات والقابليات التي يحملها كل فرد من هذه الأنواع بحيث تؤثر على تصرفاته الخارجية.

فنلاحظ مثلاً أن الطفل الصغير يروق له أن يستمع إلى القصص الخيالية، والطفل الذي يتجاوز اثنتي عشرة سنة يرغب في قصص المغامرات، والبالغ تشدّه القصص الغرامية، والرجل الكبير يركن إلى التاريخية والواقعية.

ووجود هذه التفاوتات راجع إلى التفاوت لكل فرد كل حسب مستوى عمره. ولكي يكتب للتربية النجاح لا بد أن نراعي هذه

الاختلافات، والتفاوت حتى نستطيع أن نتعامل مع كل مرحلة بما يوافقها من الاستعدادات، وعند التأمل نجد الإنسان قد مرّ بثلاث مراحل حتى وصل إلى النضج والرشد، وهذه المراحل هي:

١ - مرحلة الطفولة الساذجة.

٢ - مرحلة الطفولة المميزة.

٣ - مرحلة النضج الفكري.

وهذا الذي أشارت إليه الروايات حيث قسمت التربية ثلاثة أقسام، لكل قسم طريقة خاصة يجب أن نسلكها، تخالف التي قبلها وتكون مقدمة لما بعدها.

قال الرسول ﷺ: «الولد سيد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن رضيت خلائقه لإحدى وعشرين، وإلاّ فاضرب على جنبه فقد أعذرت إلى الله».

وفي رواية أخرى عن الصادق عليه السلام قال: «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبعاً، والزمه نفسك سبع سنين؛ فإن أفلح وإلاّ فإنه من لا خير فيه».

فالسبع الأولى من حياة الإنسان والتي تُعَدُّ مرحلة الطفولة الساذجة، والسبع الثانية والتي تعد مرحلة التميز في حياة الطفل لها أحكام خاصة يلزم فيها الطفل، والمرحلة الثالثة هي بلوغه النضج والإدراك ودخول حيّز التكليف والخطاب الإلهي من إقامة الصلوات والصيام وكل الواجبات الشرعية تلزمه كما تلزم الرجل البالغ من العمر تسعين سنة، لا فرق بينها إلاّ بالتجارب والخبرة وإلاّ من حيث القابليات فواحدة.

ونحن سنحاول تناول هذه المراحل الثلاث، وما يجب فيها حتى تكوّن الولد رجلاً كاملاً والبنت امرأة كاملة ناضجة.

الفصل الأول
مصادر الثقافة لدى الطفل

عندما يخرج الطفل إلى الحياة الدنيا ويقبل على عالم مغاير لعالمه الذي كان فيه قبل مجيئه، جاء إلى هذا العالم وهو لا يحمل من الإدراك، أو الوعي شيئاً. يخرج وهو جاهل بأبسط الأشياء غير أن غريزة الجوع تحثه على طلب الغذاء من ثدي أمه فقط وهذه غريزة لا معرفة؛ فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾(١).

يأتي السؤال هل توجد طريقة مُثلى لكي يتعلم الطفل المعارف والعلوم في مثل هذه السن؟

للجواب عن هذا السؤال نقول: هناك طرق، من أبرزها طريقان:

○ الطريق الأول: التقليد

والتقليد حقيقة في محاكاة فعل الغير وتصرفاته سواء أكان عن وعي لهذا التقليد أو لا، صادر عن تعظيم المقلد وإجلاله أو غير ذلك.

وفي هذه المرحلة والتي يكون الطفل فيها في مرحلة السذاجة يقوم بتقليد والديه بشكل خاص، والمحيطين به بصورة عامة في تصرفاتهم

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.

التي يراها منهم؛ بحيث يصبُّ الطفل في هذه الفترة جلَّ اهتمامه على مراقبة حركات وسلوك المحيطين به بشكل دقيق.

اختلف العلماء في تحديد مقدار بداية تقليد الطفل لوالديه؛ فمنهم من يقول: بعد ثلاثة أشهر من الولادة؛ ومنهم من يقول: بعد أشهر أو سنة.

ولكن هناك نظرية تقول: إن الطفل يبدأ تقليده بعد ست وثلاثين ساعة بعد الولادة. حيث قام الأطباء بجامعة ميامي الأمريكية بإجراء تجربة على مجموعة كبيرة من الأطفال حديثي الولادة أثبتت أن الطفل لديه قدرة كلية على التحكم في عضلات وجهه، والتقليد في سنٍّ مبكرة تبدأ بعد ستٍ وثلاثين ساعة من ولادته. كما أنَّ ضحك الطفل ليس لأنه يشعر بالسعادة، وإنما يقلّد التعبيرات المرسومة على وجه أمه. والدليل على ذلك أنه يرسم التكشيرة على وجهه لو كان التعبير على وجه الأم غير سعيد.

وقد قام الأطباء بمواجهة مجموعة من الأطفال بممثلات قمن بعمل تعبيرات مختلفة بعضلات الوجه قلدها الأطفال، وانتقلوا من تعبير السعادة للحزن والاندهاش بسرعة، وأكد الأطباء أن هذه التعبيرات يتعلمها الطفل في سن مبكرة، وتكون بدون معنى على أنها تأخذ المعنى فيما بعد[١].

وكيفما كان سواء بدأ التقليد بعد ست وثلاثين ساعة، أو بعد ولادته أو بعد أشهر قلائل، فإن أثر هذه الأفعال الخارجية تنطبع في ذهن

(١) أطفالنا ومشاكلهم الصحّية: ص ٢٢١.

الطفل، وفي مركز اللاوعي. وحتى إذا بدأ يشعر ويفهم معاني الأمور تظهر عليه ثقافته وتأثره بالأمور بلا شعور.

ومن الطريف الذي نقله الشيخ مظاهري في أحد كتبه هذه القصة يقول:

«في حكاية جرت إبّان الحرب العالمية الثانية في أثناء الاحتلال الألماني لفرنسا، إن امرأة احتاجت إلى جراحة في رأسها، وفي أثناء العملية الجراحية أصاب مبضع الجراح شرياناً في دماغها، وإذ سيطر عليها المخدر أخذت تقرأ النشيد الألماني. فلما أصاب المبضع ذلك الشريان من دماغها سكتت عن قراءة النشيد.

وللمرة الثانية ضرب الجراح هذا الشريان بمبضعه فعادت لقراءة النشيد الألماني، فتحيّر الأطباء من هذا الأمر. وبعد ذهاب تأثير المخدر منها ازداد تعجب الأطباء من عدم معرفتها باللغة الألمانية، وعدم قدرتها على ذلك أبداً.

وللتحقق من هذه الظاهرة ودوافعها اجتمع عدد من الأطباء، وعلماء النفس للتحقيق في هذا الأمر، وبعد المطالعات الكثيرة، والمضنية توصلوا إلى أن هذه المرأة وعندما كانت طفلة وحين هجوم الجيش الألماني على المنزل الذي كانت تعيش فيه كان الجنود أثناء الهجوم يرددون النشيد الألماني فأثر على دماغها، وترك أثره على شريان الذهن ليبقى ذكرى خالدة».

ومما يعضد ذلك ويقويه (أنّ الطفل يتأثر بما يراه ويشاهده ويبقى ذلك إلى فترة طويلة من عمره) ما روي عن علي عليه السلام قال: «نهى الرسول من أن يجامع الرجل امرأته والصبي في المهد ينظر إليهما».

وفي رواية قال الرسول ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أن رجلاً غشى امرأته وفي البيت صبي مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونفسهما ما أفلح أبداً إن كان غلاماً كان زانياً أو جارية كانت زانية»[١].

إلى غير ذلك من الروايات التي تشير إلى أن الطفل سواء أكان في المهد، أو تعدى عن طوره، فإن الأحداث تؤثر على الطفل وتبقى تشكل أثراً في مسيرة حياته.

لذا يستطيع أن يستفيد المربون، أو الوالدان من هذه الصفة في الوليد بأن يعلّموه ما يريدون أن يعرفه من خلال تصرفاتهما أمامه، فهو يحاكي تصرفاتهما ويقلدهم؛ فأنت إذا أردت أن يتعلم ولدك القراءة ويحبها مثلاً يجب عليك أن تمسك أمامه كتاباً وتقرأ، وهو سيحاول أن يقلدك ويأخذ كتاباً يعبث به لأنه يريد أن يستكشف الشيء الذي جذب اهتمامك وتفكيرك، وأنت بهذه الطريقة لا تحتاج أن تلقي عليه محاضرات في أهمية القراءة والكتابة، وهكذا كل فكرة تحب أن تغرسها في ذهن أطفالك؛ فما عليك إلا أن تظهرها لهم بشكل تجذبهم إلى أن يقلدوك ويتعلقوا بهذا الشيء الذي تعلقت أنت به.

ومن الطريف أن والد السيد محمد حسين الطباطبائي علم الهدى لاحظ أن ولده يردد الآيات التي كانت أمه تقرأها يومياً، وعندها سعى والده أن ينمي في ولده هذه الصفة (حفظ القرآن) حتى بلغ ست سنوات وهو يحفظ كل القرآن.

فإن الطريقة التي اتبعها السيد في تعليم ولده على صغره ليس الجبر،

---

(١) وسائل الشيعة ج ٢٠، ص ١٣٣.

بل إشباع رغبته وفضوله في التعلم، وترديد ما تقوله الأم من كلمات. توجد مقالة تقول (أولاد العلماء نصف علماء) وذلك لأنهم يقلدون آباءهم في تصرفاتهم، والجو العلمي مهيّأ أمامهم، بخلاف الكثيرين الذين يريدون من أبنائهم أن يتعلموا أشياء، أو يبدعوا في أشياء وهم فاقدون هذه الصفة، أو الصفات، فبيت يخلو من الكتاب كيف يتعلق أبناؤه بالكتاب؟

لذا أول طريق تعليم الطفل هو إظهارك الأمور التي يجب أن يعملها أو يتعلمها الطفل أمامه وبشكل مستمر حتى ترسخ هذه الأمور في ذهنه.

ومن أروع الصور التي يحفظها التاريخ هي تلك الحادثة التي كانت فيها بنت الإمام الحسين عليه السلام بطلة القضية حينما حانَ وقت الصلاة أخذت سجادة الصلاة، وفرشتها أمام القبلة وجلست تنتظر أباها الحسين عليه السلام لكي يصلي ولمّا تأخر الحسين عن المجيء إلى مصلاه، تساءلت بنت الحسين عن سر تأخر أبيها عن الصلاة، فليست هذه عادته فإن الحسين عودها أن يصلي أول الوقت، وأن تهيئ له سجادة وهذه المرة خلاف المعتاد. نعم، كانت هذه الحادثة في خربة الشام بعد مقتل الحسين على يد عدو الله يزيد بن معاوية عليه لعنة الله ورسوله وملائكته والناس أجمعين إلى قيام يوم الدين. وعلماء النفس يقولون: إن تقليد الطفل يشتد عند بلوغه الثالثة حتى السابعة من عمره ثم يقل تقليده شيئاً فشيئاً.

ولهذا يجب أن يبعد الطفل عن كل مظهر سيء أو كل الأفراد السيئين حتى لا يتأثر بهم ولتراعَ هذه المسألة بما تستحق من الأهمية.

❀ ❀ ❀

○ الطريق الثاني: الاستكشاف للعالم الخارجي

أ - ما يكون الاستكشاف لكل الأطفال على حد سواء

إن مصادر الثقافة عند البشر تعتمد على أساسيات الحواس الخمس؛ فهي المحرك الأول للثقافة عنده؛ فالعلم بالمبصرات ومعرفة حقيقة الألوان تتوقف على النظر إليها ومشاهدتها و هكذا باقي المعارف، لذلك قيل: «من فقد حساً فقد علماً».

والطفل الحديث الولادة يتعامل مع الأمور الخارجية من خلال تفاعله مع هذه الحواس، وما يؤثر فيها سلباً أو إيجاباً.

في بداية تعرفه على العالم يبدأ الطفل من خلال حاستين السمع والبصر، فهو يحتاج إلى تقوية هاتين الحاستين من خلال عدة أمور، وقد ذكرنا منها الموسيقى على رأي ابن سينا، وكل صوت ناعم يشكل أراجيز وأشعاراً مصغرة بشكل جميل تطرق مسامع الطفل فترهف نفسه، وتحسن روحه لهذه النغمات الهادئة، وكذلك حاسة الإبصار حيث ينظر إلى الوجود، وإلى الصور وإلى الأشياء المختلفة؛ فيحاول التعرف عليها لذلك يبتسم لها ويفرح لفرحها ويحزن لحزنها سواء أكان تقليداً لما يراه كما قلنا، أو تقمصه حقيقة ما يقلد وهذا في حد ذاته قدرة على التعامل مع الظواهر الخارجية له.

وهكذا يبقى حاله حتى ثلاثة أشهر حيث يكتشف عضواً آخر من جسده، وهي يده فيقوم بمصها كأسلوب لمعرفتها جيداً.

ويحدق فيها في الفترة التي يكون فيها في حالة اليقظة، ويلاحظ حركتها ويلفت انتباه هذا الحدث عنده، ومن خلال يده يحاول التوصل

إلى الأشياء القريبة منه، وهذه الخطوة تعدّ أول خطوات نمو القدرة والذكاء حيث تنمي عنده حاسة البصر، وقوة التركيز على الأمور القريبة منها، فهو ينظر لها بشيء من الإرادة.

ويمكننا القول إنه يتعرف على كل الأمور بالشكل المتاح له، والذي يستطيع أن يفعله. وهذه الملاحظة تعد المحور الأساسي في عملية متابعة حركة النمو عند الطفل؛ فبلحاظ كل فترة زمنية له خصوصية تؤثر فيها بعض الأمور. وتقيم على حساب حاله، تختلف عنها في الفترة الأخرى؛ فقد يكون في المرحلة المتقدمة يعد متطوراً ولكن بلحاظ المرحلة الثانية يعد متخلفاً؛ فمثلاً عندما يعزم طفل بلغ من العمر ستة شهور على أخذ شيء ملقى على وجه الأرض هذا الفعل بالنسبة للإنسان الذي يفوق هذا العمر يجد هذا الفعل لا يدل على شيء من الذكاء أو المقدرة؛ فهذا أمر عادي جداً، ولكن بالنسبة لهذا الطفل يعد شيئاً رائعاً ويدلُّ على ذكاء وقدرة عالية عند الطفل؛ لأنه يظهر قدراً كافياً من التنسيق في سلوكه فعليه اتباع عدة أمور حتى يحصل على الشيء الذي يريده وهي:

أولاً: عليه أن يحدد مكان الشيء من خلال عملية الإبصار قبل أن يصل إليه ويتناوله.

ثانياً: يقوم بمدِّ يده بسرعة وبدقة إلى مكان تواجد هذا الشيء.

ثالثاً: ويقوم بطريق تدل على قدرة من النضج، وقبل أن يصل إلى ذلك الشيء يقوم إمّا بفتح أصابع يده وإمّا يطبقها للمسك بهذا الشيء.

رابعاً: وعندما يمسك ذلك الشيء يقوم بأكثر من عمل، كأن يحدق فيه ويقوم بتحريكه إلى الأمام، أو إلى الخلف ويقلبه لكي يحصل على

أكبر من لقطة له، وليتعرف عليه من خلال زوايا متعددة.

إلى غير ذلك من الأدلة التي أثبتتها تجارب العالم السويسري (جين بياجه). وهكذا يستمر نمو الطفل حتى يصل إلى مرحلة من خلالها يتفاعل ببعض الأمور المحاط بها.

وهذه المعارف تحصل لكل الأطفال بشكل قهري ما لم يكن هناك عيب خلقي كالتشوه، أو تخلف لا سمح الله. والأطفال في ذلك كلهم متساوون في هذه المعارف والعلوم.

ب - ما يكون الاستكشاف فيه متفاوتاً (اللعب):

ما يقال عنه لعباً في هذه الفترة هو في الحقيقة ليس باللعب. بل هو ضرب من ضروب التعارف ونوع من أنواع الاستكشافات التي تعد اللبنة الأولى لكل إنسان في فترة طفولته، وتتفاوت المقدرة والذكاء من شخص إلى آخر بلحاظ هذه الفترة ومقدار الاستفادة التي استفاد منها في طفولته.

فبعد أن يعي الطفل ويؤتى من القدرة ما يجعله يتعامل مع الواقع الخارجي ينبثق بروح عالية، ونفس متطلعة نحو كشف المجهول الذي يراه أمامه؛ فيقدم عليه بكل ثقة واطمئنان لكي يلمس هذا، أو يتذوق ذاك. يحدق في هذه، أو يرفع تلك، جاهلاً بالأخطار التي تجلبها هذه الأمور.

فهو في حركة للمعرفة والتي تتشكل بأشكال مختلفة سمّاها الآخرون لعباً، أو تخريباً أو مشاغبة ونحوه. ونحن سنحاول التعرض إلى هذه المسائل بعدة نقاط:

❀ ❀ ❀

○ النقطة الأولى: اللعب حاجة روحية للطفل

إن اللعب يشكل جزءاً كبيراً من حياة الطفل إذا لم نقل إنه يشكلها كلها؛ فباللعب يعقل شخصيته ويبلورها، فلا تتحقق الطفولة إلاّ به كما لا يتحقق العرس إلا بالفرح. ولو فرضنا أن عرساً أقيم من غير فرح فإنه عرس ناقص، وكذلك الطفولة إذا لم يكن فيها لعب ومرح فهي طفولة ناقصة محكوم عليها بالبتر والتشوه. لذلك نجد الإسلام يركز على هذا الجانب، ويأمر الوالدين أن يدعا أبناءهما في اللعب لمدة سبع سنوات أو ست سنوات كما جاءت به بعض الروايات.

وكثيراً ما يخطئ بعض المربين والآباء في تقليل مدة اللعب (سبع سنوات) وملئها بالحياة الجدية، والسعي لأن يكون الطفل في حالة التقدم العلمي والرقي؛ فينقص التكامل الروحي للطفل على حساب التفوق العلمي. يقول بيرتون وايت: «وما نريد أن نوضّحه هو تحذير المربين من التركيز على النبوغ دون الاهتمام بالنمو الجيد لأننا غالباً ما نحصل على التفوق العقلي على حساب كثير من المظاهر التي تساوي النبوغ في الأهمية»[١].

وهذا الذي تؤكده التجارب التي اجريت على بعض الأطفال المتفوقين في الجوانب المعلوماتية فتبين أنهم غير سعداء وغير راضين عن أنفسهم وعن تعامل الآخرين معهم؛ فهم كالشخص الذي يعاني من شدة الجوع ويكابده وأنت تريد أن تلقي عليه محاضرة ما، أو عن التضحية فمثل هذا الشخص لن يعي منك كلمة واحدة لأن ما هو فيه، وما

(١) الطفل من ثلاث سنوات: ص ٢٠١.

حرم منه يجعله لا يفكر إلاّ في الشيء الذي حرم منه، وهذا حال الطفل الذي منع عن اللعب؛ فيبقى هذا الحرمان حسرة في قلبه مما يؤدي ذلك إلى توقف عقله عن التفكير المطلوب.

لذلك دع ابنك يلعب سبعاً، أو خلِّ عنه سبعاً حتى يشبع من اللعب ويعود إليك يكتسب المعارف بطريقة أخرى.

○ النقطة الثانية: اللعب ميدان الاستكشاف

عندما نضع طفلاً في مكان فماذا يا ترى سيفعل؟

إن الطفل الذي قد يشكل لك إحراجاً عندما تكون مدعوّاً في منزل صديق لك، أو في مكتب أو أي مكان فهو في حقيقة تصرفه لا يعمل إلا ما هو مطلوب منه؛ وذلك لأن من خلال حركته نحو التليفون، أو التلفاز، أو الطاولة، أو نحو الباب أو غير ذلك فهو يتّجه نحو اكتشاف هذه الأشياء الجديدة في عالمه. وقد ذكرنا سابقاً كيف يكون مقدار الذكاء عند وصل الطفل إلى الشيء الذي يقع تحت نظره من تركيز وإرادة للحصول عليه، وأما الطفل في هذه الفترة فإنه في عملية الاستكشاف قد يقف شيء حاجزاً له عن الوصول إلى فضوله. فهو عند ذلك يتحرك ليتخلص من هذا العائق بطريقة التفكير في عدة بدائل واختيار أحسن الطرق التي توصله إلى الشيء الذي يريده؛ فهو الذي أطلق عليه (بياجه) الذكاء (الحس الحركي).

فهو في هذه المرحلة أصبح مفكراً؛ لأنه تحول من حلِّ المشكلات من خلال العمل أي المحاولات المتكررة إلى محاولة حلها من خلال التفكير. وهو بهذا ساعد على تطور ذكائه ومقدرته الفكرية.

فهو في حركته الطويلة لانتقاله من هذا المكان إلى ذلك المكان يشبع رغبته وفضوله نحو الاستكشاف؛ فيقوم برفع الأشياء ووضعها وغلق الأبواب وفتحها فيسمع الأصوات التي تصدر منها ويلتذّ بمشاهدة هذه الأشياء الغريبة عنه.

فهو عندما يطلق له العنان أو يراقب عن كثب يتولد لديه من هذا العمل الذي يزاوله تعميق دافع حبِّ الاستطلاع، وتنمية ذكائه بشكل كبير مما يساعد في صقل شخصيته، وتزويدها بالخبرات اللازمة له عن المحيط الذي يعيشه ويتعامل معه؛ فالطفل الذي تلسعه المدفأة بحرارتها فإنه يتعلّم من هذه اللسعة أن هذا الجهاز مؤذٍ بالنسبة له، وهذه أفضل طريقة لتعليمه. وإنك لو ألقيت عليه آلاف المحاضرات عن ضرر الاقتراب من المدفأة، فإنه لا يفهم ذلك ولسعة واحدة تكفيه. فهو عندما يتقدم بالقرب منها تجده ينظر إليك ويقول: آح! مثلاً.

لذلك ينصح علماء التربية بعدم وضع الأطفال في الحابسة التي يوضع فيها مع بعض الألعاب؛ فإن ذلك يؤثر سلباً على نفسيته وعلى حبِّ الاستطلاع، مما يؤدي إلى إعاقة الأسلوب التربوي له في هذه الفترة وهي الاكتشاف للبيئة والمحيط الخارجي.

○ النقطة الثالثة: القدرة على التحليل والتوقع

الطفل الذي يجعل البيت والبيئة ساحة لعب له، ويقوم بالاستكشاف يتطور ذكاؤه؛ وذلك عبر حركته الدؤوبة في فتح الأشياء وغلقها ورميها وإحداثها للأصوات إلى غير ذلك من الآثار. يقوم الطفل في أثناء لعبه بملاحظة تلك الآثار التي تنشأ من لعبه فيقوم بالربط بينها؛ فهو عندما يلعب بمفتاح النور؛ (المصباح الكهربائي) فعندما يرفعه تضاء الغرفة

وعندما ينزل الزر يطفأ النور. فيقوم ويكرر العملية مرات بحيث يرسخ في ذهنه أن سبب الإضاءة هو رفع مفتاح النور، وسبب الظلام هو إنزال مفتاح النور.

فهو من خلال لعبه يتعرّف على نتائج فعله ويسعد بهذا الإنجاز والاكتشاف. لذا نجده يكرر الأفعال كثيراً حتى تستقر نفسه إلى التعليل الذي توصل إليه، بل يرقى إلى مدارك أن يتوقع ماذا سيحدث لو فعل شيئاً معيناً. وذلك بعد قدرته على التعليل؛ فإننا نلاحظ أن الطفل عندما يتصرف بتصرف معين كالبكاء للحصول على شيء معين من قبل والديه، ويجد أن والديه قد استجابا لهذا الفعل بهذه الطريقة، فإنه يتوقع حدوث الشيء الذي يريده بالبكاء؛ لأنه جرّبه أكثر من مرة فنفع عنده. لذلك لا يبكي عندما لا يجد استجابة من والديه بل يفكر في طريقة أخرى لجلب انتباههما.

○ النقطة الرابعة: الثقة بالنفس

إن الطفل الذي صارت عنده القدرة على تحليل فعله، وتوقعاته التي ستحدث بفعله، مثل هذا الطفل تجده يلتذ بالفعل الذي يفعله وبالخصوص إذا صار يحاكي أفعال الآخرين ويحاول أن يقلدها، فترى ابنك مثلاً يقلّد أخاه في الرسم الذي يرسمه ويحاول أن يفعل مثله بالضبط، وبعد أن ينتهي من رسمه المتواضع يأخذ هذه الورقة ليريها أباه أو أمه ليريهما القدرة التي حصل عليها. فإذا كان الوالدان ذكيين تشاهدهما يفيضان على طفلهما بالمديح والتقدير، أو بقبلة صادقة مع كلمة خفيفة تضفي على الولد السعادة والثقة بالنفس. فعندما يشجع على شيء فعله سواء برسم بيت أو بناء بيت من المكعبات، أو الطين، ويحس

بالثقة وأن أفعاله تنال إعجاب الكبار وتقديرهم، وعندها يمضي قدماً أكثر؛ فالطفل الذي يبدأ خطواته الأولى من المشي ويكون والداه بالقرب منه يضحكان له ويشجعانه كلما يخطو خطوة نحوهما، مثل هذا الطفل يجد أن محاولة المشي أمر يجلب له السعادة واللذة وأيضاً الثقة بأفعاله.

○ النقطة الخامسة: تعليم القيادة وحسن التخطيط

إن من أهم المميّزات التي يفيضها اللعب على الطفل هو تعليم القيادة وحسن التخطيط، وذلك أن الطفل أول ما يبدأ بالألعاب يحاول أن يقسم بينها، أو يجعل فريقاً للعب فيقود أنشطته، ويحاول أن يوزع الأدوار بين اللعب فيعطي هذا دور الأب وهذا دور الإبن أو هذا شرطي، ذاك حرامي أو حارس أو لاعب إلى غير ذلك، ويحاول أن يربط بين هذه اللعب ببعض الحوارات مما يقوي الثروة اللغوية عنده، وينمي حس الإبداع والخيال لديه أيضاً.

ويمكن أن يحصل الطفل على حسن التخطيط بمساعدة الوالدين، فهما يقومان بعمل معين ليشرح لابنهما كيف جرى هذا الشيء، أو حدث ذلك الشيء، وما هي الخطوات المتبعة في ذلك؛ فيقوم هو بعمل ذلك بينه وبين ألعابه أو الآخرين فيتعلم شيئاً فشيئاً كيف يجب أن تسير الأمور وتنظم.

أما القيادة والتي تعني تنظيم الآخرين وقيادتهم حسب أفكار القائد، هذه الصفة لا تحدث إلا بعد أن يدرك الطفل حسن التخطيط؛ فيقوم في اللعب الجماعي الذي بينه وبين الأطفال الآخرين بترتيب أدوارهم كما رتّب أدوار ألعابه، يقوم بإصدار بعض الأوامر البسيطة التي تناسب

شأنهم، ولا يمكن أن يحصل الطفل على هذه القدرة ما لم يشارك الآخرين في اللعب، ويشير بعض علماء التربية إلى أنّ هذه القدرة من تعلم القيادة تبدأ في السنة الثانية للطفل. لذا يجب أن تنمّى هذه المهارة بإعطاء فرصة للطفل بأن يقوم ببعض السلوك القيادي عند تعامله مع الوالدين، أو الأشخاص الذين يتناولون تربيته، كأن يجعلوا الطفل يقرر بعض الأمور مثل ذهابه إلى الحديقة أو بيت الجدة؛ فعندما يختار ينفذ اختياره وهكذا. ثم ينطلق بعدها إلى الواقع الخارجي في أثناء لعبه مع الأطفال حتى يستطيع بعد ذلك إدارة أموره والاعتماد على نفسه.

○ النقطة السادسة: تقوية الروابط الاجتماعية

إن الطفل الذي يشارك غيره في اللعب يتعلم من خلاله أشياء كثيرة يكتسبها أثناء لعبه. منها معرفة الحاجة إلى التعاون مع الآخرين، وكيف أن التعاون يؤدي إلى نجاح اللعب وعدم التعاون يؤدي إلى فشله. كما سيصطدم مع بعض الأطفال الذين لا يرغبون في تحقيق رغباته وطموحاته؛ فيعي أنه لا يمكن أن يحصل على كل شيء كما كان يحصل عليه من والديه، وأن هناك أموراً يشترك فيها مع الآخرين، وأموراً يختلف فيها معهم، فيتعلم ما هي نقاط المميزات التي حصل عليها، وما هي نقاط ضعفه إلى آخره.

وبعبارة مختصرة نقول: إنَّ اللعب حياة قائمة بنفسها يتعلم الطفل من خلالها أخلاق وسلوك الناس حتى يستطيع في كبره التعامل مع هذا المجتمع أو ذاك؛ فاللعب مع الأطفال كالغرفة التي يتعلم فيها الطيار الطيران فهو في غرفته كأنه في الفضاء يطير.

مشاركة الطفل في لعبه

إن ضرورة مشاركة المربّي الطفل في لعبه أصبحت غير قابلة للجدال، أو المناقشة فإن تنازل المربي ونزوله إلى عالم الطفل له معانٍ كبيرة عند الطفل. من المربين ممن لم يلتفتوا إليها بعد؛ فيحسبها البعض إضاعة للوقت، ويظنها آخرون ترفاً لا يلزم الالتفات إليه. في حين أن الإسلام أعطى هذه المسألة الأهمية الكبرى، بحيث إن أعظم رسول على وجه الأرض النبي محمد ﷺ على جلالة قدره وشأنه يلاعب الحسنين في زمن صباهما حيث كان يحملهما على كتفه ويقول لهما: «نعم المطي مطيكما ونعم الراكبان أنتما».

إنَّ هذا السلوك من النبي الأكرم ﷺ له دلالة كبيرة تدل على أهمية الأمر، ولم يكتف النبي ﷺ بفعله هذا بل أمر كل من عنده صبي أن يتصابى له، ويلعب معه ويشاركه في لعبه قال النبي ﷺ: «من كان عنده صبي فليتصابى له».

ويمكننا على نحو الاختصار أن نذكر بعض الفوائد التي ترجع على الطرفين سواء أكانت للمربي أو الطفل وهي كالتالي:

١ - تقوية الروابط بين المربي والطفل:

إن الأمور المشتركة من شأنها تقوية الروابط بصورة عامة خصوصاً

ما كان فيه إثارة البهجة والمرح؛ فإنها تطبع في ذهن الطفل الصورة الجميلة عن الأب أو الأم لاسيما أنهما يشاركانه في استكشافاته وتطلعاته، ويجدهما قريبين منه لذا تغمر الطفل السعادة والإحساس بالحنان، وتعيشه في جو عاطفي أسري وأنه مقبول من قبل والديه، أو المسؤولين عنه لاسيما أن تعلقه بهما كبيرٌ جداً مما يعطيه استقراراً روحياً وثابتاً عاطفياً فيكون شخصية ناضجة. ولقد أثبتت التجارب أن التلاميذ الكسولين دراسياً غير متأخرين ذهنياً ولكن يعوزهم الدفء العاطفي.

والكل منا يحمل ذكريات جميلة في أيام صباه كيف أن والديه أو أحد أجداده كان يلاعبه ويحاول أن يكون قريباً منه سواء بالقصص والحكايات أو غيرها. وما أروعها من صورة تلك التي ينقلها التاريخ عن النبي ﷺ وتعامله مع أطفال المسلمين! حيث كان صلوات الله عليه وعلى آله إذا قدم من سفر يتلقاه الصبيان، فيقف لهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع بعضاً منهم بين يديه وخلفه، ويأمر أصحابه أن يجمعوا بعضهم فربما يتفاخر الصبيان بعد ذلك، فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله بين يديه وحملك أنت وراءه، ويقول بعضهم: أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم.

نعم، إنها صورة حية تبقى في مخيلة الأطفال ويستمتعون بذلك مما يغمرهم بالعطف والحنان الأبوي من شخصية عظيمة مثل رسول الله ﷺ، ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الطفل بحاجة ماسة إلى قرب والديه منه، وهذا الأمر منذ الساعات الأولى لولادة الطفل فضلاً عن تجاوزه الرضاعة؛ فقد دلت الدراسة على أن حمل الطفل واحتضانه ومداعبته والتحدث إليه واللعب معه بطريقة حنونة أمور مهمة للنمو

العاطفي للطفل، وأظهرت الاختبارات التي أجريت على الحيوانات أنه إذا لم يتلق الطفل تدليلاً ومداعبة وحضناً من والدته خلال سنته الأولى، فلن يتمكن من التصرف بصورة مناسبة عندما يكبر. كما أكّدت هذه التجارب أن الطفل الذي ينمو في محيط تنقصه اللمسة الدافئة والمحبة العاطفية من والدته أو حاضنته قد يفشل صحياً ومن المحتمل أن يموت.

٢ - تنمية قدرات الطفل الذهنية:

سبق أن ذكرنا أن اللعب بحدِّ ذاته ينمّي الذكاء ويطور الذهنية، ولكن الطفل الذي يشاركه أحد والديه في اللعب يرتقي إلى الذكاء بشكل سريع وواضح، وذلك لأن والديه سيقومان بتذليل الصعوبات التي يواجهها الطفل ويحاول أن يرقى بعقله وتفكيره.

فعندما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام : «من كان له ولد صبا» أي يتظاهر بنزوله إلى عالم الطفل وتفكيره حتى يأخذه إلى عالمه هو. لا مجرد اللعب المحض بل يحاول أن يغذّي ذهن الصبي بالمعارف والعلوم.

الأب أو الأم التي تلعب مع ابنها بسيارة صغيرة وتحاول أن تدفعها إلى الأمام أو إلى الخلف وتشير إلى الطفل أن السيارة تسير بأربع عجلات، وأن العجلات شكلها دائري، حتى يسهل حركة السيارة كل ذلك في أثناء اللعب. كم سيرتقي ذهن الصبي إلى الكمال. وهذا الأسلوب الذي اعتمدت عليه المدارس الحديثة من تخصيص المعلم كي يجيب على أسئلة الأطفال أثناء اللعب ويشبع فضولهم العلمي.

كما أن اللعب مع الطفل يكشف لك المقدرة التي يتعامل بها مع الحوادث التي تقع له، والمشاكل التي تواجهه، وأيضاً من خلال ذلك

يلاحظ المربّي الأمور عن كثب ويرى التطور الذي بلغه الطفل في هذه المرحلة أو تلك ويعرف مقدار موفقيته.

٣ - تقوية القدرة اللغوية:

إن اللغة هي الوسيلة التي يتم التخاطب بها بين البشر، ومن خلالها يعبر الإنسان عمّا يختلج في فؤاده ويدور في خلده، فكلما تمكن الإنسان من اللغة أصبح التعامل مع الغير أسهل.

يقول بيرتون وايت: «إن اللغة هي المكوّن الأساسي لذكاء الأطفال والطفل المتمكن لغوياً يمتلك كل الأسباب ليكون كائناً بشرياً كاملاً».

وحيث إن اللغة أمر اكتسابي، وإنَّ الطفل في طور التعلم والاكتساب فهو بحاجة ماسة إلى من يحصل منه هذه اللغة، ولا يوجد أقرب من الوالدين له ليحصّل منهما اللغة، ولا يكون ذلك إلاّ من خلال مشاركة الطفل في حياته التي مدارها اللعب، ففي مشاركة الطفل اللعب يتعلم المخططات والمفردات اللغوية.. خذ السيارة.. أحضر المسدس.. هاك اللعبة.. ارفعها... الخ.

فهو من خلال حديثك معه، والتحدث بلغة يتعامل معها، ويشاهده يرسخ في ذهنه المفاهيم، لذلك يرى علماء التربية أن على الوالدين أن لا يتحدثا مع الطفل عن الماضي ولا عن المستقبل، بل يكثران من الحديث الحاضر المشاهد أمام الطفل، فأنت عندما ترى طفلك يلعب بشيء معين يمكنك أن تتحدث عن الشيء الذي يشغل فضول طفلك بلغة مبسطة يفهمها، أو قريبة من فهمه. وشيئاً فشيئاً حتى يتمكن الطفل من فهم الماضي والمستقبل، ولا يمكن أن يفهم الطفل المغيبات أو المجردات ما لم توضع في قالب محسوس وملموس حتى يمكن تصوره وتعقله.

وهذا لا يخص الطفل فحسب بل كل العقول المتعلقة بالمادة والتي تقصر النظر عليها.

هذه بعض الأمور التي ترجع إلى المربّي والطفل من مشاركته في اللعب معه ونكتفي بهذه الأمور للاختصار.

الفصل الثاني
التعليم في سنٍّ مبكر

يطمح بعض الآباء أن يتصف أبناؤهم بالنبوغ. لذا يعكفون على تعليمهم وتحفيظهم كماً هائلاً من المعلومات، ويفرحون إذا وجدوا أبناءهم قد استجابوا إلى هذه الطريقة، ولكي يطبقوا هذه النظرية على أبنائهم فهم يأخذون من أوقات لعبهم ومرحهم حتى يتعلموا.

ولكن علماء التربية يرفضون ذلك رفضاً باتاً وقاطعاً، فقد أثبتت التجارب أن هؤلاء الأطفال الذين يجبرون على التعلم في سنٍّ مبكرة وإن أبدوا تفوقاً على أقرانهم إلا أنهم يعانون من نقص في كمال شخصيتهم واستوائها. يقول بيرتون وايت:

«إذا أردنا أن نعلّم الطفل كيف يتعرف على الأرقام والحروف قبل الأطفال الآخرين بسنتين فلا بأس من ذلك شريطة أن لا نعرّض نواحي النمو الأخرى إلى الخطر، أما إذا كانت عملية تعليم الطفل ستؤدي إلى الإخلال بتوازنه، كأن يكون هناك تركيز أكثر على المهارات اللفظية والعقلية مما يؤدي إلى حرمان الطفل من الوقت اللازم لعلاقاته الاجتماعية فهذا النوع من التعليم لن يخدم الطفل».

إن التعليم الإجباري الذي يلزم الطفل بالبقاء لكي يحافظ أو يردد أشياء وهو يرى الآخرين يلعبون يجلب له الملل ويفقده حبّ الاستطلاع.

ونحن عندما نحاول أن نعرف ما هو العلم؟

نقول: إنَّ العلم ليس جمع معلومات وتكديسها في الذهن، بل هو الطريق المثلى من القدرة على الاستنباط من هذه المعلومات إلى حلِّ المشاكل التي تواجهه في حياته، وأثره على الواقع الخارجي بمقدار تفاعله مع الأمور.

وحقيقة التعلم تقوم على ثلاثة أركان:

١ - الاستعداد النفسي والجسدي.

٢ - القدرة على التعلم.

٣ - الرغبة في التعلم.

ونحن عندما نحاول أن نطبق هذه الأركان على طفلٍ صغير لم يتجاوز سن اللعب، ونريد أن نشحن ذهنه بالمعلومات والمعارف فهو يفقد كل هذه الأركان؛ لأن الركن الأول وهو الاستعداد النفسي والجسدي يفقده، فهو ما زال غضّاً طرياً تسمو نفسه أن تأخذ كفايتها من اللعب والمرح، وزيادة الخبرة من خلال اللّعب لا من خلال قاعات الدرس، أو التدريس.

أمّا عن الركن الثاني وهو القدرة على التعلم إذا أردنا من التعلم قدرة الاستنباط لكي يتعامل مع المعلومات التي تعلمها في حياته ولتصحيح أموره فهو يفقد هذه القدرة. نعم، قد يحفظ وتكون عنده قدرة على الحفظ، ولكن ليس المراد من التعلم الحفظ فقط.

وقد ذكرنا سابقاً أن الطفل يتعلم المقدرة على الربط والتحليل في أثناء اللعب وفي الميدان التجريبي. لذا يقول علماء التربية: إن أفضل طريق لتعلم الثروة اللغوية هو استخدام المحسوسات في أثناء اللعب.

وأما الحديث عن الأمور المجردة أو الغيبيات فإن الطفل لم يصل إلى تعقلها وهو في قاعة الدرس لن يجد سوى المصطلحات الغريبة عنه والبعيدة عن عالمه لذا لا يوفق في إدراكها حق الإدراك.

أما الركن الثالث وهو الرغبة في التعلم فهو غير موجود عند الأطفال لأن رغبتهم الحقيقية منصبة على اللعب والحركة والقفز والتنقل من مكان إلى آخر. فتلخّص من ذلك أن جميع أركان التعلم وأساسياته يفقدها هذا الطفل الصغير، ولا يوجد حينها من فائدة في إرغامه على التعلم. نعم، إذا أردنا أن نعلمه وبشكل مدروس ومقنن فلنجعل من البيئة له مادة دراسية يتعلمها ويكتشفها وبشكل غير مباشر. وذلك عن طريق اللعب وقد أجمع على ذلك كثير من علماء التربية كشو مسكي، وهجمسلان، وهو مبولدت جاكوبسون، ولوكاكس وبياجيه وغيرهم كثيرون، بأن الثقافة العفوية التي يتشربها الولد من محيطه تساهم في إعطاء شخصيته طابعاً معيناً أكثر مما يفعل كل ما ينقل إلى الولد بالطريقة التعليمية الصرف.

فالبيت هو المدرسة الحقيقية التي يتعلم فيها الطفل، فبإمكان الأم أن تعلّم ولدها في المطبخ كأن تعطيه درساً في العلوم من غير اسم الدرس، كأن تقول له: أعطني الماء السائل، أو الماء المتجمد، وهي بهذه الطريقة علمته أن المادة قد تكون سائلة وقد تكون متجمدة. ثمّ تحاول أن تضيف إلى معارفه معارفاً بعد أن يعي المطلب، أو تعطيه درساً في الحساب والرياضيات كأن تقول له: ناولني الصحن الأول والصحن الثاني والملعقة الثالثة. فإذا أخذت منه صحناً أو ملعقة تطرح عليه سؤالاً كم بقي من الصحون أو الملاعق.

ثم تضيف إليه عدة صحون وتسأله عن عددها وهذه أوليات الرياضيات والحساب، وكذلك بإمكانها أن تعلّمه الألوان كأن تطلب منه إحضار حذائه الأسود وجَوْربه الأبيض والحذاء الآخر الأخضر أو الأحمر. وهكذا أو علم كيفية سقوط المطر بسبب التبخر معتمدة على تبخر الماء في الإبريق. وبهذه الوسيلة تجعل البيت مدرسة، والمطبخ فصلاً من فصول الدراسة. وهذه الطريقة أفضل من امتحان الولد وإلزامه بطريقة معينة تحدُّ من حريته ونشاطه.

الطرق الحديثة للتعليم

نشأت في العصور الحديثة بعض المدارس التي تستخدم أسلوباً مغايراً عن الأساليب التقليدية في التعليم، وذلك لفشلها أو عدم إثبات جدارتها عند مؤسسي المدارس الحديثة، وجميع هذه المدارس تعاملت بطريقة توحي أن اليوم الدراسي ما هو إلا عبارة عن اللعب والاكتشاف بدلاً عن الوسيلة التي تعتمد التلقين كالطريق الوحيد للمعرفة والتعليم.

وسنذكر هذه المدارس والطرق التي تعتمد عليها حتى نعرف أن المدارس الحقيقية للطفل (دع ابنك يلعب سبعاً أو خلِّي عنه سبعاً) كما جاءت به الروايات.

١ - قام المربّي الألماني (فروبل) في رياض الأطفال باستخدام طريقته في تعليم الأطفال والتي تعتمد على عدة نقاط:

أ - الدائرة أو الكرة: وفيها يجد الأطفال السكون والحركة والسطح الواحد والسطح الكثير الجوانب وعنصري الظهور والخفاء.

ب - المكعب: وهو يشبه الكرة في أشياء ويختلف عنها في أشياء أخرى، وفائدته أن يعلم الأطفال بعض الحقائق الأولية عن الشكل، الحجم، المساحة، والعدد، بواسطة التجربة الحسية المباشرة.

ج - الأسطوانة: وهي حلقة وسطى بين الكرة والمكعب أي بين

الحركة والسكون إلى غير ذلك من الوسائل، والتي أساسها المباشرة واللعب بهذه الأمور وملاحظة الفوارق بينها.

٢ - قام نفر من رجال التربية بوضع أساسيات التعليم والعمل بها وهم (كلباتريك، وكولنجز، وستفنسون، والفيلسوف جون ديوي)، وتقوم فكرتهم على أساس إنشاء وحدة نشاط فيوضع المتعلم في محيط يشبه محيطه الاجتماعي وظروف شبيهة تماماً بظروف الحياة. وله غرض محدد وهدف يجب تحقيقه من وراء هذا النشاط.

والغاية من ذلك إثارة فضول الطفل نحو أشياء معينة من محيطه فيتم تعريفه بهذه الأشياء، كما يعتمد هذا الأسلوب على كون المتعلم له كامل الحرية.

والخلاصة: هذه المدرسة تريد أن تجعل المدرسة عبارة عن الحياة نفسها وليس إعداداً لها.

وهذه المدرسة تعتمد على الإجابة على فضول الطفل عن البيئة الخارجية، والشيء الذي قامت به فقط هو التوجيه الصحيح لإشباع فضول الطفل فقط، أما فضوله وحب الاستطلاع فناتج عن البيئة الخارجية التي يلعب فيها الطفل؛ فبلعبه يحتكُّ مع الأشياء ويتعرف عليها، وقد تقدم أن التصابي مع الولد يعطيه التوجيه الصحيح للمعرفة وإشباع فضوله.

٣ - قامت مربية إيطالية بإنشاء مدرسة أسمتها (بيوت الأطفال) واعتمدت في تعليمها على عدة نقاط:

أ - توفير الجو المدرسي الفني بالوسائل الشيقة القادرة على إثارة اهتمام الطفل (وهذا الذي يخلقه اللعب في نفسية الطفل).

ب - يتمتع الطفل بقدر كبير من الحرية إذ لا يفرض عليه أي عمل لا يرغب فيه.

(حتى لا يصاب بالإحباط أو الملل مما يؤدي إلى عدم تعلمه الشيء الذي يراد تعليمه).

ج - أهمية اللعب ليس لمجرد تمضية الوقت بل للتعليم عن طريق اللعب.

د - التركيز على الفروقات الفردية القائمة بين الأطفال.

هـ - ليس النظام مشكلة بحد ذاته في المدرسة فرغبة الأطفال هي المهمة.

و - تربية الحواس هي في أساسيات اهتمام مدرستها.

ونحن عندما نتأمل نجد أن هذه النقاط المراد منها خلق جو مرح ليس فيه تقييد لحرية الأطفال مما يساعدهم على التعليم، وهذا الذي نجده في اللعب تماماً. والفارق الوحيد هو التوجيه أي الحاجة إلى الموجّه للإجابة على أسئلة الأطفال.

٤ - استفاد دالتون من تجربة مدرِّسة ريفية في الولايات المتحدة، حيث كانت تدرس أربعين طالباً موزعين على ثمانية صفوف وكانت هي المعلمة الوحيدة؛ فكانت تشرح الدرس وتراقب باقي الفصول فكان عليها أن تجد عملاً يشغل بقية الطلاب عن الفوضى، فحولت المدرسة إلى مختبر، أو معامل تربوية يشتغل فيها الطلاب بدلاً من الروتين.

فاستفاد دالتون من ذلك وجعل طريقة التعليم عنده تعتمد على الحرية والتعاون وتحمل المسؤولية.

أقول: وهذا الشيء يولده اللعب الجماعي مع بقية الأطفال، حيث يلعبون بكامل حريّتهم مع التعاون القائم بينهم لنجاح اللعب، وهو في حد ذاته تحمل المسؤولية.

ومهما يكن من أمر سواء اعتمد النظام المدرسي نظام الفروقات بين الأطفال، كما أوصى به المربي (أكوزينبيه) من الاتجاه الفرنسي، أو تركز على الاهتمام على موضوع مشترك بين التلاميذ كما اقترح دوكرولي، أو استهدف القيام بعمل جماعي كالمطبعة في بعض المدارس الفرنسية، أو كان العمل المدرسي جزءاً من بنية اجتماعية كما في المدارس التعاونية اليوغوسلافية، أو حتى المدرسة والأسرة التي ينتمي إليها التلاميذ، والوسط الاجتماعي الذي يكتنفهم على المساهمة في العمل التربوي كما يحصل في مدارس الصين الشعبية الجماعية، فإن الهدف التربوي يبقى هو الوصول إلى أفضل حالات اندماج الفرد بالجماعة. وهذا ما يحققه اللعب الجماعي بين الأطفال كما تقدم علاوة على الفوائد التي يقدمها اللعب، والتي لا يحتاج إلى إعدادها. ومن خلال هذا البحث نقول أخيراً للآباء الذين يريدون أن يقحموا أبناءهم في المدارس والتعليم الإجباري أن يقوموا هم بتعليمهم، وملاحظتهم وتشجيعهم من خلال مراقبة لعب الأطفال سواء أكانت على شكل فردي أو جماعي.

ومن هنا نعرف السرَّ الذي أولاه الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته للعب الذي يمارسه الأطفال.

الفصل الثالث
طريقة توجيه الخطاب إلى الطفل

إن الأوامر التي يراد توجيهها إلى الطفل لا بد أن تحمل في داخلها مصالح يراد من خلالها إفادة المأمور به، أو مفاسد يراد تجنبها إلى المنهي عنه، فعليه لا بد أن تكون الأوامر الموجهة إلى الطفل ذات أهمية، وغير عبثية حتى تعود على الطفل بالمنفعة له وللآخرين.

وهذه الأمور أو النواهي يجب أن تكون قابلِة لتعقل الطفل وإلى عالمه البسيط؛ حتى يستطيع أن يتفاعل مع هذه الأوامر. ومن المهم قبل أن نوجه الأمر إلى الطفل - وخصوصاً في النواهي والزواجر - أن يرفع أساس هذا الأمر حتى لا يعود على نفسية الطفل بالإحباط والسلبية؛ فمثلاً عندما تريد أن تنهى طفلك عن العبث بالكتاب يجب عليك من الأول أن تزيل من أمام عينيه الكتاب حتى لا يعبث به، ومن خلال ذلك توفر عليك توجيه الخطاب إلى الطفل.

ويشير ابن سينا إلى هذا المطلب في كتابه (القانون) يقول: «يجب أن يكون وكد العناية مصروفاً إلى مراعاة أخلاق الصبي، فيعدل وذلك بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أو خوف شديد أو غم أو سهر، وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهيه ويحن إليه فيقرب إليه وما الذي يكرهه فينحى عن وجهه. وفي ذلك منفعتان: إحداهما في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق، ويصير ذلك له ملكة لازمة، والثانية لبدنه

فإنه كما أن الأخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج فكذلك إذا حدثت عن العادة استتبعت سوء المزاج المناسب لها، فإن الغضب يسخن جداً، والغم يجفف جداً، والبليد يرخي القوة النفسانية وتميل بالمزاج البلغمية ففي تعديل الأخلاقية حفظ للنفس والبدن جميعاً معاً» ج ١، ص ١٥٧.

أقول: قد يقول شخص إنَّ إعطاء الولد كل ما يريد قد يفسد أخلاقه ويجعله مائعاً، أو من أين يمكن تنفيذ كل ما يرغب به الولد خصوصاً إذا كانت إمكانية الوالدين محدودة؟

الجواب قلت: إن الطلب والرغبة متفرعة على المعرفة، والعلم به وعند الجهل بها لا يمكن طلبها. لذا يسعى أن لا يطلع الطفل على الأشياء التي يجب أن لا يحصل عليها، فالطفل الذي يعيش في الصحراء مثلاً لا يشتاق إلى الشوكولاتة فضلاً عن عدم معرفته بها. هكذا نستطيع أن نتحكم في ميولات ورغبات الطفل من خلال رفعه من أمامه قبل مشاهدته حتى لا يطلبه.

كما أنه من البديهي أن الطفل أن لا يحصل على كل ما يريد بل يجب التوازن بين القبول والرفض، بين العطاء والمنع حتى لا يحدث تفريط ولا إفراط.

وإذا تقرر هذا نقول: يجب أن يكون في طريقة الأمر أو النهي عدة أمور:

الأمر الأول: توجيه الأمر أو النهي بشكل فيه الأدب والاحترام لشخصية الطفل، كأن يقول له: (من فضلك ارفع المنديل) وهكذا، أو بنبرة لا حدة فيها حتى لا يحسّ بالإهانة أو التحقير فضلاً عن عدم الأمر بصور التقريع أو الشتم.

الأمر الثاني: أن يقرن الأمر أو النهي بتعليل بسيط للسبب الذي دعا لإصدار الأمر حتى يكون الباعث إليه أشد وأقوى. بخلاف الأمر المجرد والذي يصدر إليه ويحسّ أنه مطالب به من غير معرفة لماذا؟

كأن نقول له: (لا تقترب من الإبريق فإنه حار جداً) فقد يتعقل الأمر والتعليل معاً، وقد يحدوه الفضول وعدم التعقل إلى التحري والمخالفة من غير معرفة الآثار التي ستحدث له، وقد يكون ترك الطفل لكي يخالف بعض الأوامر فيه إيجاب بشرط أن لا يكون ضرره أكثر من النفع، ففي مثالنا السابق قد يقدم على لمس الإبريق فيلسعه ومنها يتعقل معنى الحرارة وأثر المخالفة. وعليه فإنه يستحيل أن يلمس إبريقاً آخر ما لم يتأكد من أنه غير حار.

الأمر الثالث: تطبيق الأمور التي يلزم بها الطفل سواء أكانت سلباً أو إيجاباً ولو ظاهراً أمامه، لأنه لا يفرّق بين كونه صغيراً أو كبيراً؛ فعندما تقول له: قم إلى النوم وأنتم تشاهدون التلفاز، فإنه لا يفهم أنه صغير أو يلزمه النوم مبكراً حتى يذهب إلى المدرسة، فإنه عندما يرى الكبار، أو يراك لم تذهب إلى النوم فلن يذهب بل حتى لو ذهب لكان في نفسه شيء من الأمر.

لذا طبق ما تقوله له حتى يقتدي بك.

الأمر الرابع: حبّب إلى الطفل ما تريد أن تأمره به. وهذا الأمر من فنون توجيه الخطاب ليس إلى الطفل أو الصغير فحسب بل حتى الكبير يجب أن تصور له الفائدة التي سيحصل عليها من خلال استجابته للأمر؛ كأن تصور له أن من يفعل هذا الفعل يكون ولداً محبوباً، أو ذكياً كأن تقول له: الولد المؤدب هو الذي لا يعمل الفوضى عند مجيء الضيوف مثلاً.

وبإمكانك أيضاً أن تقدم له الإغراءات من أجل استجابته للأمر، كأن تقول له: إذا عملت واجباتك المدرسية سآخذك في نزهة قصيرة، أو أشتري لك هدية وهكذا حتى يكون الباعث له للاستجابة قوياً.

الأمر الخامس: مراعاة قدرة الطفل على تنفيذ المأمور به أي ملاحظة قابليته البدنية والنفسية للاستجابة للأمر والانبعاث نحو تنفيذه؛ فلا يمكن قبول توجيه أمر لطفل لا يتجاوز عمره السابعة أو الثامنة من عمره في تحمل أعباء تنظيف البيت مثلاً. وخير ما قيل: (إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع).

الأمر السادس: توجيه النقد للعمل وليس للطفل بعد أن يتصرف الولد بتصرف غير لائق في الخطوة الأولى والتي تسبق عملية العقاب هو أن نوجه النقد للعمل الذي قام به، كأن نقول له: هذا العمل غير جيد، أو الولد المؤدب لا يفعل هذا.

وفائدة ذلك أن يحافظ على شخصية الطفل وكرامته أمام نفسه؛ فهو ما زال مؤدباً وطفلاً جيداً، ولكن هذا الفعل الذي صدر منه ليس من سجيته أو تعمده بل وقع خطأً واشتباهاً فيكون تغيّره بالنسبة إليه أمراً سهلاً.

الأمر السابع: توخي توجيه اللّوم أو النقد للطفل وإرجاعه إلى نقطة إيجابية فيه؛ فإن من شأن ذلك أن يجعل الطفل يتهرب من النقد بواسطة نفي النقطة الإيجابية التي يتحلى بها. وشيئاً فشيئاً قد تؤثر عليه سلباً كأن يقال لطفل: أنت تعتقد أنك ذكي فلماذا لم تحفظ هذا الشيء أو القصيدة مثلاً؟ فيحاول رفع اللوم عنه بأن يقول: أنا لست ذكياً فتؤثر عليه سلباً.

الأمر الثامن: أن يكافأ الولد على الاستجابة، أو يعاقب عند

المخالفة بصورة فورية، بحيث إن أحسن في فعله ورأى أثر هذا الفعل قد عاد عليه بالمنفعة تشتاق نفسه إلى هذا العمل لشوقها إلى العطاء الذي ناله، نعم، يشير علماء التربية إلى أن إهداء الطفل على شكل فترات متقطعة خير من إهدائه شيئاً دفعة واحدة؛ فإعطاؤك الطفل خمس بالونات في أوقات متفرقة يجعله يشعر بأنه محبوب جداً وتجدد له السعادة أيضاً، بخلاف العكس.

وكذا العقاب على مخالفته الأوامر التي توجه إليه مع الملاحظة أن هذا العقاب مجرد تأديب وليس تشفياً، أو إطفاء غضب. ومن هنا تعلم ما معنى قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ضربكم لأولادكم مثل السماد للزرع فإن زاد أو نقص أفسد».

ومن الضروري أن لا يقوم بتأديبه أو ضربه أحد غير الوالدين وذلك حتى لا يحسّ الولد أنه حقير أو ذليل، أو تنشأ عنده عقدة نفسية من جراء ذلك فتذهب شخصيته واحترامه لنفسه، فإن العزيز لا يرضى أن يهان أو يُحقّر بأي صورة أو شكل وهذه العزة يجب أن تغرس فيه منذ طفولته.

○ تنبيه:

إنّ أهم نقطة والتي تشكل العمود الفقري في كل ما تقدم هي الهيبة التي يجب أن يتحلى بها الأب أو الأم حتى يكون انبعاثاً حقيقياً، وإلاّ مع فقد الهيبة والاحترام والسلطنة فلا فائدة فيما تقدم. لذا يلزم المحافظة على صورة الأب أو الأم ولو ظاهرياً، ومن هنا يجب على كل من الزوجين أن لا يخالف الأوامر التي يصدرها الآخر بخصوص الطفل، فإذا قال الأب: لا تشاهد التلفاز في الوقت الفلاني، أو لا تخرج في

الساعة الفلانية مثلاً لا تأتي الأم وتسمح للطفل بذلك مخالفة أبيه وكذا العكس. نعم، يمكن أن يظهر بصورة المتوسط الذي يدعو الطرف المقابل إلى التنازل عن رأيه لأجله وهكذا.

الأمر التاسع: استخدام الإيحاء للطفل أي الإيحاء إليه أنه قادر على تنفيذ المأمور به، كأن تقول له مثلاً: أنت شجاع تستطيع أن تحمل هذا الصحن إلى المطبخ، أو أنت ذكي تستطيع أن تحلّ المسألة وتعمل الواجب وهكذا؛ فباستخدامك لهذا الإيحاء فإنه يلعب دوراً في نفسية الطفل في تأدية الشيء.

قد يرتكب الولد خطأً فعند استجوابه من قبل والديه قد يقول الحق والصدق، ففي هذه الصورة يجب أن لا يعاقب الولد على فعله، لأنه إن عوقب قد يلتجئ لرفع العقاب عنه مرة أخرى بالكذب فينجو من العقاب مثلاً، فعندها يعتقد أنّ الصدق غير جيد وأن الكذب حسن فيتعود هذا الأسلوب.

الفصل الرابع
ثق بولدك

إن أول خطوات بناء الذات لطفلك هو أن يثق بنفسه، ولا يمكن لطفل لا يتجاوز سنيّه الأولى أن يحصل على الثقة بالنفس من تلقاء نفسه وذاته، وعليه على الوالدين أن يسقياه الثقة ويمداه بها عبر نظراتهما، وقد تحس بتفوق ابنك على أقرانه وزملائه فتجد عنده بوادر التفوّق أو النبوغ من خلال ملاحظتك لأسئلته، أو تصرفاته التي توحي أنها أكبر من عمره. من هنا يجب أن يبادر الوالدان إلى المحافظة على هذا المستوى ورفعه. وربما يفقد الولد نبوغه الظاهري بسبب استخفافه في دراسته، أو العمل الذي يوكل إليه وهنا تتزعزع ثقة الوالدين بابنهما لاسيما إذا تكرر الفشل أو الإحباط للولد؛ فينصرف الوالدان عن تشجيعه إلى إحباطه وهما لا يعلمان.

ولكن في الحقيقة يجب أن لا تضعف ثقتك بولدك مهما تكرر فشله؛ فقد يكون فشله راجعاً إلى عوامل غير المستوى الذهني أو الذكاء. بل قد أثبتت التجارب التي قام بها (ليموف) أن أكثر من ثلاثين بالمائة من التلاميذ الذين لم يكملوا دراستهم الثانوية تزيد نسبة ذكائهم على ١٣٥ درجة من نسبة الذكاء (وعلى حسب تقريب (كرونباخ) أي شخص بنسبة ذكاء تزيد على ١٣٠ درجة قادر على النجاح في أي عمل يسند إليه). وقد أظهرت دراسات أخرى أن كثيراً من الأطفال المتفوقين كانوا من المتأخرين دراسياً.

فعليه يلزم المحافظة على الثقة بالولد أو إيجادها في الواقع الخارجي، لا مجرد تلفظ أجوف لا ينبئ عن حقيقة، ولا يكفي أن تثق بابنك فقط بل لا بد أن يشعر هو بهذه الثقة ويحس بها.

أما كيف يحس الولد بأنك تثق به؟ فبعدة خطوات تلتزم بها وهي كالتالي:

الخطوة الأولى: التشجيع والدعم الدائم من الوالدين وكل المحيطين به بمختلف مراتب التشجيع والتشويق سواء أكان بالثناء والمدح لكل عمل حسن وجيد يقوم به، أو بالفعل، كأن يحصل على الهدايا التي يحبها حتى تكون حافزاً قوياً له للتقدم أكثر فأكثر.

فقد نصح علماء التربية الآباء الذين يشكون في تفوق أطفالهم أن يعاملوهم على أنهم متفوقون فعلاً على الأقل إلى أن يصلوا للسنة الثانية أو الثالثة الابتدائية، ويجعلوا أي صفة إيجابية حتى يساعدوا الطفل لكي يثبت نفسه.

الخطوة الثانية: الاستماع إلى الطفل ومشاركته في الحديث.

إن الإصغاء إلى الطفل وهو يتحدث يعود على الوالدين بالفوائد الجمّة؛ فعندما تستمع لابنك وهو يتكلم فإنك تعرف ما يجول في خاطره، وما يؤثر عليه، ما يحب، ما يكره، وما يطمئنّ إليه وما يخاف منه بل دع ابنك يتحدث عن كل شيء عنده حتى لو سمعته يقول شيئاً لا تحبه منه؛ فإن ذلك سيكشف لك ما الذي أثّر فيه سلباً أو إيجاباً؛ فتقيه من الشر وتحثّه على الخير، وخير لك أن تعرف ذلك قبل أن يتوغل هذا الاعتقاد أو ذاك في ابنك ويصعب بعدها علاج الأمر ولا يمكن أن تحصل على كل شيء منه ما لم يطمئن لك أنك لن توبخه أو تعنّفه.

وأما الذي يعود على الطفل بالفائدة فهو إشعارك إياه أن كلامه وأفكاره لها قيمة بحيث تجذبك إلى الاستماع إليه ومشاركتك إياه في الحديث، وتبادل الآراء يؤثر في تفكيره ويقفز به إلى مراحل كبيرة جداً، فمن ذلك تعلمه الاستماع وكيف يتحدث مع الآخرين ومتى.

وللأسف إن بعض الأطفال يحسون بالاستصغار، وعدم الاعتراف بهم، خصوصاً إذا كان المجلس مجلس كبار وحديثهم؛ فتجد بعض الأطفال يحب أن يشارك في الأحاديث ولكن يجد التوبيخ والزجر قبل أن يتكلّم، هذا إذا لم يُطرد من المكان! فعامل ابنك على أنه كبير يكون كبيراً.

الخطوة الثالثة: اعتمد على طفلك في بعض الأمور.

إن من أبرز مظاهر الثقة بولدك أن تعتمد عليه في بعض الأمور التي تناسب شأنه ولا تضرُّ به، كأن توكل إليه شراء بعض الحاجيات للبيت من المحل المجاور، أو تطلب منه إدخال الضيوف والجلوس معهم حتى تأتي من الخارج وهكذا.

وليكن هذا الاعتماد مصحوباً بالقول كأن تقول له: إني أعتمد عليك في هذا الأمر، وإنك قادر على أدائه على أكمل وجه؛ فإن من شأن ذلك كله أن يولد في نفسه الاعتزاز والثقة.

الفصل الخامس
الطريقة المثلى للتفكير

إن سيرة حياة الإنسان متوقفة على طريقة تفكيره، وطريقة التفكير تختلف بحسب الأشخاص، ومنشأ ذلك هو كيفية استخدام المعلومات التي يحصل عليها الإنسان. ولكي يكون ولدك في ركاب المفكرين والعباقرة يلزمه أن يتعامل مع المعطيات التي يحصل عليها بطريقة تثير دفائن العقول وتحثها على الحركة نحو المجهول. أما ما هي هذه الطريقة؟

فنقول:

أولاً: يجب أن لا يكون همّه حفظ المعلومات من غير وعي وإدراك لما يحفظ، وعليه لا بد أن يحفظ الشيء الذي يؤمن به حتى يستطيع أن يتعامل مع محفوظاته بالصورة المناسبة. ولا يجب أن يفهم حقائق الأمور بل لا بدَّ أن يفهم شيئاً منها على الأقل؛ فإن من المؤسف أن البرامج التعليمية عندنا تعتمد على حشو المعلومات والتعامل معها بطريقة جامدة!

ثانياً: تشجيعه على التفكير بإلقاء الأسئلة المتكررة والمناسبة التي تحثه على تفسير الظواهر التي يراها ويعيشها، ومساعدته عند حيرته على معرفة الجواب المناسب، كأن تسأله مثلاً لماذا نأكل الطعام؟ وعند جوابه لنشبع مثلاً، تسأله سؤالاً آخر ولماذا نشبع؟ يأتي الجواب حتى

نكبر، وتسأله مرة ثالثة. ولماذا نكبر؟ يأتي الجواب حتى نعيش وهكذا... وأنت بهذه الطريقة تحثه على التفكير في الأمور التي يعايشها.

ثالثاً: تعليمه كيفية تحليل الأمور ولو بشكل بسيط فإذا استطاع ذلك تعلم كيف يربط الأمور بعضها مع بعض، ويتجنب كثيراً من القضايا التي ستواجهه في المستقبل؛ فمثلاً:

عندما تكون أمه غضبى عليه نأتي ونقول له: لأنك رميت القاذورات في الصالون، ولم ترمِ بها في سلّة المهملات، وهذا من شأنه أن يجعل البيت غير نظيف، وهذا يتعب (الماما) في تنظيف البيت لذلك (الماما) غضبى عليك، وهكذا.

رابعاً: تعليمه قاعدة (أنه لكل معلول علة) والترابط الذي بينهما، وهذه القاعدة لو أتقنها حق اتقان سيتفتق فكره ويكون حادَّ الذكاء؛ إذ من خلال تعلّمه أنه لكل شيء سبب سيحاول أن يفهم الأمور كما تجب، ولا يأخذها بشكل ساذج ومجرد. ويمكن تعليمه هذه القاعدة بالأمثلة التي تضرب له في الميدان العملي لا النظري، كأن يقال له: إنَّ النار تحرق وتقدم يده إلى النار وعندما يحسُّ بحرارتها سيعرف الترابط بين النار والإحراق، وهكذا مع أمثلة مختلفة حتى يفهم وجه الترابط بينها. وليس من المهم أن يفهم القاعدة كما يفهمها الكبار مع حفظ المصطلحات، بل إن الانتقال الذهني الذي يحدث له من جراء الأمور هو المطلوب في مرحلته الأولى. وشيئاً فشيئاً تترقى مداركه حتى يعي الأمر كما يجب.

خامساً: تعليمه تجزئة المعلومة إلى معلومات صغيرة وأوليات، وهذا يفيده في معرفة كيف تركب الأمور وبأي شكل إذا جمعت مع

بعضها تعطي شيئاً آخر. ومن خلال هذا ينمو عنده الحس الإبداعي، كأن تجزّئ له العشرة إلى واحد وواحد، وهكذا حتى يصبح العدد عشرة أو تجزئ له السيارة الصغيرة التي يلعب بها وأنها مكونة من عجلات ومقود وحديد... الخ وعند اجتماعها تظهر بصورة مغايرة عما هي عليه.

سادساً: تجنب إلقاء النتائج من غير توضيح المقدمات والأسباب التي تؤدي إلى النتيجة المطلوبة، وذلك حتى يتعلّم كيف يستدل ويربط بين المقدمات والنتيجة. وأنت بهذه الطريقة تأخذ بيده نحو الطريق الصحيح للاستدلال والتفكير المطلوب، كأن تقول له: ولد الجيران رجله مجروحة (هذه النتيجة).

أما أسبابها؛ لأنه خرج إلى الشارع حافي القدمين، ولأنه لعب في أماكن قذرة فأصابت رجله زجاجة فجرحتها وهكذا.

○ تنبيه:

ومع استخدام هذه الأساليب بشكل متكرر ودائم حتى يألف الطفل هذه الأساليب تكون عنده سجية وملكة راسخة، مع ملاحظة أن هذا الأمر يحتاج من الوالدين والمربين وقتاً طويلاً وصبراً مع المثابرة.

الفصل السادس
تحديد الهدف للطفل

الهدف هو النقطة التي ينظر إليها الإنسان، ويسعى في حركته للوصول إليها، مع سعي ومثابرة وصبر لرفع كل العوائق التي تقف في وجهه. وهذا يحتاج إلى إيمان بالهدف ومعرفته بشكل واضح لا إبهام فيه حتى تتشوق نفس الإنسان إلى طلبه، ولا يختلف هذا بين الصغير والكبير، ولكن في الصغير يحتاج إلى بذل جهد أكبر؛ إذ السؤال الذي يطرح نفسه من الذي يحدد الهدف للصغير؟ وعلى أي أساس؟

إن الذي يحدد الهدف للصغير، هو لا غير. أما دور المربين والوالدين هو في توجيه الهدف وتقييمه. أما على أي أساس يختار الطفل الصغير هدفاً معيناً؟ فهو على عدة أمور منها: نظره إلى شخصية كبيرة يحبها ويقدرها فيحاول أن يقلدها أو يحتذي حذوها، لميول خاصة كرسم أو غيرها. هنا يأتي دور الأب والأم في تنمية هذه الرغبة عنده وخلقها بصورة جيدة أمام ناظريه، مع تهيئة السبل له في هذا الهدف، كأن يشجعونه على اختياره وينادونه بها دائماً ويذكرونه، كأن يحب الطب ينادونه دكتور أو يا مهندس أو يا ضابط... الخ.

ويربطون هداياهم ومشترياتهم له بالهدف الذي اختاره لنفسه كأن يشتروا له اللباس الخاص بالأطباء مع الأدوات التي تحاكي أدوات

الأطباء وهكذا. نعم، يلزم كما ذكر علماء التربية أن يُجزّأ الهدف إلى مراحل حتى يقطعها شيئاً فشيئاً ويحس بقرب وصوله إلى الهدف، كأن يقال له: ذاكر جيداً حتى تنجح وتكون طبيباً ويذكرونه بأن كل مرحلة يقطعها يقترب نحو الهدف وهكذا.

الفصل السابع
وقاية مبكرة من الشذوذ الجنسي

من أهم النقاط التي تصب في تربية الأطفال تربية سليمة وتنشئهم نشأة حسنة هي حمايتهم من كل شيء يحرف فطرتهم وتكوين شخصيتهم، والمتتبع لكثير من الأمراض السلوكية يجد أن من أهمها الشذوذ الجنسي سواء أكان بين الرجال والتي تسمى بعملية اللواط، أو بين النساء والتي تسمى بعملية المساحقة والعياذ بالله.

وقد يظهر في هذه الحالة من الشذوذ الجنسي المماثل على شكل صورتين فاعل ومنفعل أي في كل صورة يكون فيها شذوذ لا بد من فاعل يمثل دور الرجل ومنفعل يمثل دور المرأة، وقد تكون عند شخص واحد الصورتان معاً أي يتبادل الأدوار وهذا الأمر قد لا يبدو ظاهراً في الواقع الخارجي إلاّ أنه في طيات الشخص موجود، وقد يعاني من الضغوطات الاجتماعية مما يحدوه إلى الزواج، ويكون عند الناس أنه إنسان عادي ولكنه حقيقة مريض مبتلى بشذوذ.

وبغض النظر عن التوجهات في منشأ هذه الظاهرة هل هو إفرازات، أو خلل فيها فإن كثيراً من المحللين يرجعون الظاهرة إلى أسس التربية في الصغر.

وأكثر الأطباء النفسانيين عندما يلاحظون هذه الظاهرة (الشذوذ

الجنسي) يحاولون أن يتناولوها ويلاحظوا تطورها؛ فمثلاً قبل أن تصل النوبة إلى قبول الشخص بفكرة الشذوذ الجنسي قد يبدأ لديه في صغره مرض ممهد له، وهو الانحراف في الملبس (transvestism) وهو عبارة عن شذوذ جنسي يتوق فيه المصاب لارتداء ملابس الجنس الآخر، والتظاهر بمظهره، ومنشأ هذا المرض هو خلل في الانتماء إلى جنسه والإحساس بالانتماء إلى الجنس الآخر.

أما كيفية معالجة هذا الشذوذ فبإزالة الرواسب الذهنية، وتثقيفه من جديد بما يوافق جنسه وشخصيته عبر جلسات الإيحاء الذاتي عن طريق التنويم، أو بعض الأدوية المساعدة لزيادة الهرمونات الذكورية، أو الأنثوية حسب الحاجة وحسب الشخص، وهذه مرتبة متأخرة.

وهناك مرتبة متقدمة وهي العملية الوقائية قبل حدوثها وتتلخص في عدة نقاط:

النقطة الأولى: أن يفرق بين الأطفال في المضاجع وذلك عند بلوغهم ست سنوات، أو عشر سنوات بين الذكور والإناث، وذلك حتى لا يحدث عنده ميلٌ إلى النزو على المحارم والعياذ بالله. لذلك جاء عن جعفر بن محمد عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصبي والصبي والصبي والصبية والصبية والصبية يفرق بينهم في المضاجع لعشر سنين». وفي رواية أخرى قال: «وروي أنه يفرق بين الصبيان في المضاجع لست سنين»[1].

وهذا الذي نادى به الأطباء النفسانيون حيث قالوا بوجوب توخي

(١) الوسائل: ج ٢٠، ص ٢٣١.

إنشاء العلاقة الجنسية. يقول الدكتور منير شحود في كتابه تحت عنوان (الوقاية النفسية للاضطرابات الجنسية): «والأهم من ذلك هو منع العلاقات الجنسية بين الأطفال والمراهقين من جهة و الكبار من جهة أخرى، وعمل كل شيء للحيلولة دون ذلك. وبهذا الخصوص ينصح بعدم النوم في فراش واحد للكبار والصغار من الجنس نفسه. وينبغي تحذير الفتيات من الصديقات اللواتي يظهرن نحوهن مزيداً من اللطف والحنان»(١).

لذلك نجد التشديد في الشريعة الإسلامية لرد مثل هذه المسائل ومقدمتها، حتى أنها أوجبت الجلد على الشخصين اللذين يوجدان تحت لحاف واحد مجردين مائة جلدة حد الزنى وذلك لأن فعلهما هو في الحقيقة إرادة الزنى، وإلاّ فالعقوبة الحقيقية للواط والمساحقة القتل.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان علي عليه السلام إذا وجد رجلين في لحاف واحد مجردين جلدهما حدّ الزاني مائة جلدة كل واحد منهما»(٢).

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا ينام الرجلان في لحاف واحد إلاّ أن يضطّرا فينام كل واحد منهما في إزاره ويكن اللحاف بعده واحداً والمرأتان جميعاً، وكذلك لا تنام ابنة الرجل معه في لحافه ولا أمه».

كل ذلك توخياً من حدوث شذوذ جنسي أو اعتداء على المحارم.

أما التساهل في هذا الأمر والقول بأن الأطفال لا يفهمون شيئاً، أو

(١) الجنس عند المرأة: ٢٣٣.
(٢) الوسائل: ج ٢٠، ص ٣٤١.

دعوا عنكم هذا التعقيد والتشدد، فجواب هؤلاء: إن بداية النار الكبيرة هي الشرار الصغير، وبداية الحرب الكلام، وإذا كنت تعتقد بأن طفلك ساذج لم يصل إلى حد الإدراك الواعي لهذه المسائل لا تضمن الطفل الآخر، أو الشخص الآخر. وعلى كل حال إن الشيطان لم يمت بعد والشر لم ينتهِ.

النقطة الثانية: إعطاء كل فرد شخصيته وهويته المستقلة عن الجنس الآخر بحيث تبرز فيه معالم الرجولة عند الذكر، ومعالم الأنوثة عند البنت ومن أهم الأمور في هذه النقطة هو الالتزام بالشكل الخارجي، وعدم السماح للبنت بلبس الألبسة الرجالية وبالعكس، أو تقليد قصة الشعر والذي انتشر في أيامنا هذه - وللأسف - جهلاً بحقائق الأمور، بحيث أصبح الرجل يطيل شعره ويلبس (التنورة) ويضع على رقبته قلادة وكأنه أنثى لا تميّزه إلا إذا اقتربت منه. وأصبحت المرأة تقلد الرجل في كل شيء. ومن الشيء المضحك أني رأيت في بريطانيا عند زيارة لها أكثر من امرأة قد صلعت وأصبح رأسها خالياً من الشعر بحيث فاق الربع الخالي في بلدنا!

لذلك استحق هؤلاء وأمثالهم اللعن! فقد قال رسول الله ﷺ: «لعن الله المتشبهات بالرجال من النساء والمتشبهين من الرجال بالنساء»[1].

وهذا التشبه يجب أن يلاحظ منذ الصغر وأن يُزال قبل أن يستفحل ويكون وبالاً عضالاً لا يمكن استئصاله إلاّ بالأمر الشديد، بحيث إن هذه أصبحت دعوى من تربى في الإباحيّة المطلقة فهذا (فاسيلكتشنكو

---

(١) الوسائل: ج ٢، ص ٣٤٦.

١٩٨٣) عندما يتحدث عن التربية الجنسية السليمة، فيقول: «يجب أن يعرف الأطفال بالفروق الجنسية، وبالمناسبة عادة ما تجري الألعاب الأساسية قبل سن المدرسة (رجال الفضاء والأدوات الميكانيكية وأدوات النساء وغيرها) بدون اعتبار لجنس الطفل، بينما يفضلون في سن المدرسة للصبيان الألعاب المذكرة وللبنات الألعاب المؤنثة، وإن أية تجليات للأنوثة عند الصبيان تقمع بشدة».

النقطة الثالثة: عدم إيقاظ الحس الجنسي المبكر عند الأطفال وذلك بمنعهم من المشاهد التي لا يصح الاطلاع عليها سواء أكان ذلك عبر التلفاز، أو أن يشاهد والديه بحالة خاصة، أو أن يستمع إلى القصص الجنسية إذا حضر في مجلس عام، أو غير ذلك، فإن الطفل يدرك كل شيء ويحفظ كل ما يسمع وإن تظاهر بعدم المعرفة بما يقال أو ما يقصد.

«سأل أحمد بن النعمان أبا عبد الله عليه السلام عن جارية ليس بيني وبينها محرم تغشاني فأحملها وأقبلها؟ فقال: إذا أتى عليها ست سنين فلا تضعها على حجرك»[(١)].

وفي رواية أخرى قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا بلغت الجارية ست سنين فلا يقبلها الغلام والغلام لا يقبل المرأة إذا جاز سبع سنين»[(٢)].

ولا بأس بأن نذكر ما أوردته مؤسسة أمريكية مهتمة بحماية الأطفال والمراهقين عن الأعراض التي تلاحظ على الطفل عند تعرضه للاغتصاب أو غيره وهي:

---

(١) الوسائل: ج ٢٠، ص ٢٢٩.
(٢) الطفل حتى ثلاث سنوات: ص ١٧٠.

١ - معرفة الولد بالأمور الجنسية الغريبة والحديث عن الأمور الجنسية حديث العارف الضليع بها.

أقول: وهذا الأمر قد لا يكون جلياً في مناطقنا التي ما زالت فيها سلطة الأب واحترام الكبير، والأعراف موجودة فيكون شأنها أن يخبئ العارف بها عن الآخرين لاسيما مع وجود الطبقات، وقد يكون منشأ معرفة الولد أو المراهق هذه الأمور بسبب مشاهدته للأفلام الجنسية أو القراءة عنها.

٢ - التقيؤ بدون سبب مرضي واضح.

٣ - حبّ العزلة والابتعاد عن معاشرة الأصدقاء والناس.

٤ - الخجل أمام الآخرين بشكل واضح.

٥ - الشعور بألم في الرأس والمعدة.

٦ - إظهار الميل إلى الانتحار.

٧ - فقدان الشهية.

٨ - وجود بقع من الدم أو مواد غريبة على ثيابه الداخلية.

٩ - مشاهدته لكوابيس متكررة.

١٠ - ظهور التهابات على فمه أو لثته.

١١ - حصوله على هدايا لا مبرر لها.

١٢ - توفر نقود كثيرة لديه.

١٣ - مطالعة المجلات الجنسية الخليعة.

وتنصح المؤسسة بمراقبة الأولاد عن كثب ومن غير إحراج الطفل بعدة أمور:

١ - معرفة أصدقاء الولد.

٢ - عدم ترك الطفل بدون مراقبة.

٣ - الاشتراك في نشاطات الولد.

٤ - الاستماع إلى ما يقوله الولد عما يرغب في أن يكون عليه في المستقبل.

٥ - الانتباه وأخذ الحذر عندما يظهر شخص غريب اهتماماً خاصاً بالولد أو البنت.

٦ - الانتباه إلى أي تغيّر يحصل في سلوك أو تفكير الولد.

٧ - إخبار المدرسة التي يرتادها الولد بأن تخبر الأهل عندما يغيب الولد عن المدرسة وذلك في نفس يوم غيابه.

الفصل الثامن
مقاومة الإحباط لدى الطفل

إن مسيرة الحياة المليئة بالمتضادات والمصالح المتناقضة بين أفراد البشرية، ومن شأن ذلك إيجاد فئة من الناس تحاول أن تثبط عزائم الآخرين وتولد لديها حالة العجز واليأس والفشل حتى لا تتقدم عليها في حياتها؛ فأي إنسان لا توجد لديه القدرة الذاتية للثبات والوقوف ضد التيار المعادي أو المخالف، فإنه يسقط صريعاً أو ينزوي بعيداً عن التيار مما يؤدي إلى فشله في الحياة.

أما كيفية إيجاد هذه القدرة الذاتية لدى الطفل فبعدة نقاط يلزم إيجادها في برنامج التربية للطفل وهي كالتالي:

النقطة الأولى: خلق منافسة بين الأطفال مع بعضهم البعض.

إن إيجاد منافسة أو مسابقة بين الأطفال على أمر معين أو الحصول على شيء ما يولد في الطفل رغبة التفوق على أقرانه ومن في سنّه، وهذه الحالة تنمي فيه أن هناك أناساً يريدون الحصول على ما يريده هو، فلا بد أن يجد من أجل ذلك، وهذه المثابرة هي المطلوبة في هذه المرحلة فيتعلم أنه لا يمكن أن يحصل على شيء من غير سعي ومثابرة وجهد بكل الوسائل.

النقطة الثانية: دَعْهُ يتغلب عليك في بعض الأمور.

لكي يثق الطفل بقدرته وأنه قادر على تحقيق الأمور التي لا يقدر عليها كل من هو في سنه يجب على الوالدين في أثناء اللعب مع طفلهم التظاهر بالغلبة أو الانهزام أمامه حتى يشعر الطفل بالسعادة والقوة. فهذا الشيء العظيم الذي يراه (الوالدان) وقوتهما الجبارة قد انتصر وحقق فوزاً عظيماً عليهما. وأثر ذلك أن الطفل إذا أراد أن يفعل شيئاً كبيراً بالنسبة لمستوى سنه وجاءه أصدقاؤه وثبّطوا عزيمته عن المضي لأن هذا الشيء كبير لا يمكن له أن يحققه لا يعبأ بهم؛ لأنه في الميدان قد أتى بإنجازات من هذا القبيل فيبقى مواصلاً طريقه نحو هدفه.

النقطة الثالثة: اذكر له قصصاً تقوي عزيمته.

إن من أروع الأمور التي تشكل ذهن الطفل هي القصص التي تسلب لبّه وتأخذ عقله، وتؤثّر في تفكيره فيجب على الوالدين أن يكثرا من ذكر القصص التي فيها تحدٍ ومقاومة والفوز في النهاية، وليركّزا في أثناء ذكر القصص على الأمور التي يجب أن تبقى في ذهنه وأن يحذر من سماع كلام الضعفاء حتى لو كانوا أصدقاء - أي أصدقاءه - وأن ينبه على تأثيرهم عليه وتضعيف عزمه بقولهم إنك لا تستطيع أن تفعل هذا وهذا الشيء أقوى منك وأنت ضعيف، بل عليه أن يتحداهم ويقول لهم: إني أستطيع أن أفعله.

فهذا الأمر خليق أن يعزز روحية المقاومة والإصرار على الاستمرار فيه. وكذا يلزم ذكر قصص لأبطال انهزموا مرة أو مرتين أو أكثر قبل التوصل إلى أهدافهم ورغباتهم. ومن شأن ذلك أن يربي في نفسه أن الهزيمة الأولى أو الثانية لا يعني الفشل والهزيمة باستمرار.

النقطة الرابعة: لا تعطيه شيئاً فوق طاقته.

من الضروري عندما نحسُّ بتفوق الطفل أو إصراره على المضي في أمر ما أن نعطيه أشياء فوق طاقته ونقول له: إن كنت بطلاً - كما تقول - افعل هذا؛ فإن من آثار ذلك تضعيف ثقته بنفسه وإحساسه بالإحباط. نعم، يلزم أن يعلم الطفل أنه يستطيع أن يفعل كل شيء، وذلك لا لأنه لا يستطيع بل لأنه صغير مثلاً أو أن ذلك الشيء غير ممكن أصلاً وهكذا؛ فعند ذلك يعرف أن العجز ليس في ذاته.

النقطة الخامسة: علّمه أن هناك أموراً يجب أن لا يتأثر بها.

يلزم على الوالدين أن يخبرا ولدهما أن هنالك أشخاصاً لا يحبون أن يروا الغير متفوقاً عليهم، أو أنه أفضل منهم وهؤلاء الناس قد يكونون من أصحابنا وزملائنا، وهم يحاولون أن يثبطوا عزائمنا وقراراتنا فيجب أن لا نسمع لهم ونمضي في طريقنا، ونحو ذلك من الأمور التي يجب أن يطّلع عليها حتى لا يصدم وتكون لديه حالة عكسية أو انزواء.

الفصل التاسع
المؤثرات على شخصية الطفل

الأسلوب الأول: القصة ودورها التربوي

لا شك أن القصة من الفنون القديمة التي استخدمت على مرِّ العصور لأغراض كثيرة وكان لها وقعها الكبير على المستمع بحيث صارت تشكل جزءاً مهمّاً من الثقافة لكل مجتمع وكل أمّة، بل إن دراسة التاريخ والراغبين في تحقيق معرفة دقيقة عن حقبة من الزمن فإنهم يدرسون القصص التي قيلت وألفت في ذلك الزمان، وذلك لأنها تحكي عن واقع أو عن طريقة تفكير حتى في مسألة الخيال والتخيل فإنها تعكس نوعاً من الثقافة التي يعيشها أي مجتمع. وإذا كان هذا حال القصة فإنها تكون وسيلة كبيرة في تثقيف أي مجتمع أو أي شخص بالأفكار. بل لا نعدوا الصواب لو قلنا إنها من الوسائل الأول التي تستخدم في عملية التعليم سواء أكان المراد تعليم الإنسان الكبير أم الصغير. وهذا واضح بالوجدان لكل إنسان منا.

ويمكننا أن نتناول أهمية القصة في دورها التربوي من عدة زوايا:

الزاوية الأولى: القصص ودورها التعليمي.

لا يختلف اثنان في أن الطفل الصغير الذي لم يتعود أسلوبَ المعرفة العلمي أو تلقي العلوم بالطريقة العلمية البحتة من إثباتها بالبراهين والاستدلالات أنه ينفر من هذه الأساليب أشدّ النفور، بل لا يمكن فرضها عليه بأيّ وجهٍ من الوجوه؛ لأنها لا تنفعه بأي صورة كانت. وهذا الجانب يقابله جانب آخر في التعليم له أثر كبير عليه ووقع عظيم على نفسيته وعلى شعوره في مرحله الوعي، ولا وعي حيث يكون تخزين المعلومات من غير الالتفات إليه، هذا الجانب هو القصص، حيث يجد الطفل شغفه وراحته في الاستماع إلى هذه القصص التي تحكيها له جدته أو أمه أو أي قريب ومحيط له؛ فما أن يشعر الطفل الصغير بأن أحد أقاربه يريد أن يحكي قصة أو أحدوثة إلا وترك لعبه وأطرق صامتاً مصغياً لمن يقص عليه مسلّماً له كل شعوره وإحساسه ووجدانه، ينتظر منه أن يتلفظ بأول كلمة ليسبح معها في أحداث القصة وما يجري فيها على الأبطال، وتجده متفاعلاً تفاعلاً كبيراً مع القصة وأحداثها. هذه الحالة هي جانب من جوانب التعليم للطفل لذا يجب أن يستفاد منها بالشكل المطلوب.

ذكر الدكتور نجيب الكيلاني في كتابه (أدب الأطفال في ضوء الإسلام) ما هذا نصه: «أدب الأطفال مهم جداً في هذا المجال لأنه يؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة في عقل الطفل ووجدانه» ص ٢١.

وإذا كان أسلوب القصة له أثر كبير على طريقة تفكير عقل الطفل كان لازماً على المربين الاهتمام بهذا الجانب لاسيما أنه أول مدرسة يتعلم فيها الطفل.

الزاوية الثانية: القصة ودورها في بناء المستقبل.

قبل أن نتكلم في كيفية بناء القصة للمستقبل يجب علينا أن نطرح سؤلاً: ما هو المستقبل؟ وكيف يقرأ؟

المستقبل هو ذلك الزمان الذي سيقع بعد وما يتخلله من أحداث واقعة فيه وفي حيزه. والنظرة المستقبلية أو القراءة للمستقبل تكون من خلال التأملات لما يحدث فيما بعد ذلك بقراءة الحاضر. وقراءته تكون بملاحظة التكوين العقلي للأمة وللأفراد. وهذا التكوين هو عبارة عن مجموعة التحليلات التي يحللها الفرد للمواقف التي تجري له بواسطة المدركات التي يختزنها في عقله سواء أكانت تحت نطاق الشعور أو اللاشعور.

فإذا تقرّر ذلك نقول:

حيث إن القصة لها أهداف محددة تقصدها وأفكار معينة تريدها وهي تخاطب اللاشعور في الإنسان وتحاكي وجدانه من حيث شعر بذلك أم لم يشعر فإنها تخزن في عقله الأفكار. والطفل الصغير الذي لم يميز بعد كيف يميز بين الحق والباطل أو بين الصواب والخطأ لا يوجد عنده من الفكر إلا ما يلقى إليه، وقد تأثّر ذهنه بالقصص التي يسمعها أو يحفظها والتي أثرت فيه تكون هي راسمة لحياته في المستقبل. ولا تستغرب من هذا حيث إن عظماء في التاريخ غيّروا مجرى التاريخ بسبب قصة سمعوها في صغرهم، ومن هؤلاء عمر بن عبد العزيز حيث أنه هو الذي رفع سبّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، والذي دام أكثر من سبعين سنة بسبب قصة وقعت له في صغره. وذلك أنه كان طفلاً صغيراً يلعب وهو في طريقه إلى المسجد لكي يتعلم، وكعادة ذلك الزمان اخذ يشتم علياً فمر عليه أستاذه وسمعه. فلما جاء عمر بن عبد العزيز لكي

يدرس رأى أستاذه متشاغلاً عنه وعن تدريسه وفي اليوم الثاني استعلم من أستاذه عن السر الذي جعله لا يعطيه درساً بالأمس. فأجابه الأستاذ أنه هل يجوز سب أهل بدر؟

فأجاب : لا يجوز. فقال له: وكيف إذاً شتمت علياً؟ فقال عمر بن عبد العزيز: هل علي من أهل بدر؟

فأجابه الأستاذ: بنعم. وأخذ يقص له دور علي في معركة بدر.

بعد هذه القصة قرّر عمر بن عبد العزيز أنه إذا تولّى الحكم أن يرفع سب علي من على المنابر، وقد فعل. وكان ذلك وهو لا يتجاوز العاشرة من عمره. هذه قصة.

وقصة أخرى للفيلسوف والفقيه والشهيد السيد محمد باقر الصدر حيث سأله أحد الأشخاص: كيف صرت هكذا (عالماً كبيراً. .الخ)؟

فقال: كنت صغيراً في الكاظمية في بغداد وكان هناك خطيب دائماً يتكلم عن قصص المسلمين الأوائل وبطولاتهم وأمجادهم، فقررت أن أعيد ذلك المجد وأن نكون مثلهم.

فصار ذلك الولد الصغير عالماً كبيراً. كل ذلك بسبب قصة أو حادثة وقعت له في صغره فشكّلت مرتكزاً فكرياً في عالم اللاشعور فصار يتحرك نحو هذا النداء الذي يقوده إلى التقدم والرقي. وهناك قصص بالعكس يذكرها التاريخ. ومما يثبت صحة ما ذكرناه أن علماء النفس والتربية يحذروننا من السماح للأطفال بمشاهدة الأفلام المرعبة لأنها تؤثر على شخصيتهم وكذلك الأفلام الإجرامية أو الجنسية أو كل فيلم ومشهد له تأثير سلبي على ذهن الطفل، بل قد يتعدّى الحال إلى أن تتحول حياة الطفل إلى حالة مرضية من خلال الكوابيس والأحلام

المرعبة التي يراها من جرّاء سماعه قصصاً الجن أو قصص مخيفة وما كان له أثر لولا أنها تتفاعل مع اللاشعور لهذا الطفل الصغير. فتشكل له نظرة مستقبلية.

الزاوية الثالثة: القصة ودورها التربوي العقائدي والثقافي.

لا يخفى أثر القصة على نفسية المستمع سواء أكان صغيراً أو كبيراً كما قلنا سابقاً، ولذلك اعتمد المربون في استخدامها كوسيلة في بثِّ الفكر العقائدي والمبدئي؛ وذلك لأن الهدف التربوي - كما عليه علماء الاجتماع - يقوم على أساسين:

الأول: البناء وهو ما يراد منه تزويد المستمع بالفكر الحي الذي يجب أن يتخذه منوالاً في حياته، كما ينمي فيه الفطرة السليمة.

الثاني: الحماية لهذه الفطرة من الانحراف وذلك من خلال تصوير مشاهد مخيفة للمستمع أو عواقب للأمر ونهايته المحزنة، بحيث يتعظ منه ويبتعد عن فعله.

وهذا الأسلوب قد اتخذه الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات الشريفة من أجل تعليم الإنسان بعض الأفكار والرؤى الصحيحة؛ فمثلاً نشاهده يصور لنا حواراً بين أبٍ وابنه، والأب يأخذ دور الموجّه والمربي وهذا المشهد يعطي انطباعاً في عملية التربية بأن يجلس الأب ويجاذب ابنه الحديث ويصوّر له المشاهد، ويحكي له الوقائع حتى يتعلم منها؛ فقال تعالى في كتابه الشريف: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا

مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا
تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾
وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾(١).

وهذا الحوار التربوي الذي جاء بين لقمان وابنه يعطي صورة واضحة كيف أن القصة تمثل دوراً كبيراً في تعليم المبادئ والقيم الأخلاقية، وكيف أنها تحدد الضوابط للمستمع لهذا الحوار الرائع.

فمن خلال هذا المشهد يمكننا أن نستخرج عدة نقاط منها:

١ - إن توحيد الله هو المراد في هذه الدنيا وإن الشرك به ظلم عظيم.

٢ - دور الأم في تربية الطفل والحفاظ عليه وأنه لأجل ذلك يجب أن تشكر الله الذي سخّر لك والدين يحبانك، ويسعيان إلى خدمتك أيها الإنسان.

٣ - يحدد حدود الإطاعة للوالدين وذلك ما دامت طاعتهم في طاعة الله. وأما خلاف ذلك فلا يجب إطاعتهم.

٤ - التعامل مع الآباء المشركين بالمصاحبة بالمعروف.

٥ - إعطاء صورة واضحة أن هذا العالم لا يوجد فيه شيء سدى، ومن غير هدف وأن كل فعل يفعله الإنسان سيحاسب عليه يوم القيامة وإن الله عليم بهذه الأمور.

---

(١) سورة لقمان، الآيات: ١٣ - ١٩.

٦ - الحث على إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والصبر على ما يصيب الإنسان جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الثبات من الصفات الحسنة والأمور المحمودة.

٧ - عدم تصعير الخدّ للناس وجعل الإنسان نفسه مهاناً بأي وجه ولأي سبب. ولا يعني ذلك التكبر والتعالي على الناس بل لا بد أن تتحلى بالتواضع.

٨ - كيفية السير متواضعاً وطريقة التعامل مع الناس في السلوكيات من المشي وغض البصر وخفض الصوت وغير ذلك.

وهناك أمور كثيرة يمكن أن يستفيد منها الإنسان من خلال هذا الحوار القصير الذي فيه معانٍ كثيرة ومطالب عظيمة يصعب توضيحها للطفل الصغير وإدراكها. بل تستأنس نفسه عندما يسمع هذه المطالب بشكل قصة وحوار لاسيما أن هذا الأسلوب محبب لديه قريب من نفسه فيؤتي ثماره. وهذه الآيات السابقة هي من القسم الأول في التربية وهي تعليم الطفل المبادئ.

أما القسم الثاني وهو تحذير الطفل من الانحراف والإنجراف خلف التيار يمكن أن يكون فيما تضمنته قصة نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيف أن هذه السورة الطويلة جاءت بتفاصيل وحكاية لطفل صغير منذ نعومة أظفاره إلى أن تولّى الحكومة، وخلال هذه الأحداث يصور الله لنا المواقف التي مرّت على نبي الله يوسف فتارة مع إخوته وأخرى كيف أُلقي في الجبِّ وطريقة العثور عليه. من ثم ينقل لنا كيف يجب أن يكون الفتى المسلم عفيفاً لا ينجرف وراء الشهوات والزّلات وإن تعرّض إلى السجن والمضايقات، وما هي عاقبة من يصبر ويطيع الله في النهاية.

بل إن الله سبحانه وتعالى استخدم أسلوب القصة بشكل واضح في كثير من مواضع القرآن الشريف؛ فقد قال الله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١]. وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ . . .﴾[٢] صدق الله العلي العظيم.

فإن القصص في حكم الله وعلم الله أنها للعبرة وللعظة والتفكير، وكل هذه الأمور هي التي تبني شخصية الإنسان. فإذا كانت القصص تؤثر على الكبير فتأثيرها على الطفل الصغير أشد وأسرع. ومن هنا وجب الاستفادة من هذا الفن في تثقيف الطفل بما يجب عليه أن يتعلمه من خلال القصة لكونه أقرب لنفسه وأحبّ لفؤاده.

الزاوية الرابعة: القصة تنمي الإحساس الإبداعي عند الطفل.

عندما تتلى أي قصة على أي طفل فان ذهنه يحلّق بعيداً في عالم القصة ويقوم عقله برسم صور للأبطال وللأشخاص الموجودين في القصة، وإلى الأماكن التي ذكرت والملابسات التي تحيطهم، فكلما سمع شيئاً رسم له صورة في ذهنه. وهذه الطريقة تنمي عند الطفل حسّ الإبداع والخيال وتطوير ملكة الحس الإبداعي من خلال تركيب الصورة والمشاهد، ولذلك يلاحظ على الطفل عندما يسمع القصة أنه يسأل عن أشياء وعن تفاصيل لم يلتفت إليها القاص وهذا يثبت ما ذهبنا إليه، بل إن الحس الإبداعي عند الطفل قد ينشأ من نفس تركيبته فإن الطفل الصغير تراه ينشىء حوارات مع ألعابه، وتراه يصور لنفسه قصة يصدقها ويعيش

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١١١

مع أحداثها. ومن هنا قد يلاحظ بعض المربين أن الطفل الصغير يكذب أحياناً عندما يفعل خطأ؛ فقد يقول: إن العصفورة هي التي كسرت الكأس مثلاً، وهذا ليس كذباً منه بل هو تخيل أن العصفورة جاءت وكسرت الكأس ثم ذهبت وصدق هو ذلك فيقول حسب تصوراته. نعم، عندما يدرس الأسلوب القصصي يلاحظ أن الطفل الصغير يحب القصص الخيالية، والطفل الذي تجاوز عمره العاشرة يحب القصص المغامراتية، والمراهق يحب القصص العاطفية، والكبير يحب القصص الواقعية والتاريخية وهكذا. وهذا يدل أيضاً على تركيبة العقل عند الطفل وكيف هي في بداياتها أنها تعتمد على الحس الإبداعي والخيالي الذي يرسم صورة للعالم الخارجي وللمستقبل.

فقد جاء في كتاب (الطفل وعالمه النفسي) عن ماهية أدب الطفل ما هذا نصه: «الأدب هو تجسيد فني تخيلي للحياة وللفكر وللوجدان. وإذا كان الأدب يستعين بالكلمة للتعبير، فإن الفنون الأخرى تعتمد وسائل إضافية كالحركات والخطوط والألوان والمؤثرات والتشديد على الكلام.

وأدب الأطفال يهدف إلى ربط الطفل بمختلف عناصر الثقافة المميزة لمحيطه، وأيضاً بمختلف العناصر الإنسانية المشتركة بين الثقافات وذلك كخطوة على طريق المساعدة على تطوير قدراته المعرفية (تفكير، ذكاء، تعلم، ذاكرة... الخ» ص ١٢٧.

الزاوية الخامسة: القصة تقرب بين المربي والطفل.

عندما يقوم المربي - سواء أكان الأم أو الأب - بحكاية القصص والحكايات لطفل، ويجلس الطفل كتلميذ يستمع إلى القاص بكل

إنصات واهتمام، فإن هذه الحالة توّلد شعوراً عظيماً للطفل اتجاه هذا المربي الذي يجلس مقابله بالحب والعطف، وذلك لأنه يمثل له قدراً كبيراً من الاهتمام به وبعالمه. وهذا واضح بالوجدان حيث إننا نلاحظ الأطفال يحومون حول كل من يلقي إليهم بالقصص ويتهافتون حوله وإنه يمثل لهم شخصية محبوبة، بل إن أسلوب حكاية القصص هو أقرب الأساليب إلى قلوب الأطفال والسيطرة عليهم. كما أن تجاذب الأحاديث بين الطفل والمربي يعطي صورة واضحة للمربي عن طريقة تفكير الطفل ومنها يستطيع أن يصحح أي خلل في فكره، ويدعم أي فكرة تحتاج إلى تدعيم. وقد مرّ أن التصابي مع الصبي يفيد الطفل والمربي بما لا مزيد عليه فراجع هناك.

الزاوية السادسة: كيف تُحكى القصة للطفل؟

هناك عدة نقاط يجب أن تلاحظ وتراعى في طريقة إلقاء أي قصة لأي طفل وهي كالتالي:

١ - لابد أن تكون القصة تحمل هدفاً تربوياً حتى تنمي فيه شيئاً ما.

٢ - أسلوب القصة وطريقة طرحها لا بد أن يكون موافقاً لذهن الطفل حتى يستوعبها ويدرك فائدتها.

٣ - أن يسعى القاصُّ لتطعيم القصة بالمسائل العلمية والأخلاقية والاجتماعية؛ حتى يتعلم شيئاً جديداً ويكسب معارف لم يتعلمها من قبل.

٤ - لا بدَّ أن تجنب الطفل من سماع القصص السلبية التي فيها أثر الانهزام وتثبيط العزائم.

لا تعط الطفل أي قصة مكتوبة أو مسموعة إلا بعد التحقق مما فيها من أفكار؛ فقد تكون أفكار مسمومة أو منحرفة. لذا يجب على المربين التحقق من كل أمر يصل إلى الأطفال ليعرف أثره عليهم قبل أن يؤثر بهم سلباً.

٦ - عندما تحكى للطفل أي قصة يجب أن يكون أبطالها رموزاً حقيقيين حتى يقلدهم الطفل ويحتذي بهم، أو أن يكونوا قريبين من الحقيقيين حتى يتفاعل معهم.

٧ - في طريقة حكاية القصة للطفل يجب أن يركز القاص على الأفكار المهمة من خلال إعادة الجمل وتكرارها حتى ترسخ في ذهن الطفل. كما يلزم الاستفادة من الحركات ونبرات الصوت لتعميق هذا المعنى.

❀ ❀ ❀

الأسلوب الثاني: تنظيم العمليات العقلية

إن الجواب عن سؤال يحير الكثيرين قد يكون هو مفتاح السر الذي نطلبه في هذا البحث. والسؤال هو: ما هو سر اختلاف تصرفات البشر؟ لماذا نحب هذا ونكره ذاك؟ لماذا نقدم على فعل معين بينما هذا الفعل لا نقبله في وقت آخر؟لماذا نجد البعض يقدم على مخاطرة تعرض روحه للخطر في حين نجد أن شخصاً لا يقدم على أمر لا خطر فيه، بل يعتريه الخوف؟

وأسئلة كثيرة تقف أمامنا فالبشر هم البشر والناس هم الناس. إذاً لماذا هذا الاختلاف؟

وفي الجواب عن ذلك نقول:

إن تفاعل الإنسان مع أي أمر راجع إلى طريقة تفكيره وتحليله لهذا الأمر الذي يواجهه، وهذا راجع إلى المعلومات التي اختزنها في عقله وتحولت جزءاً منه فيكون فعله أثراً لهذا الاتحاد، وكما ذهب الفلاسفة والعلماء إلى أن المعلوم يتحد مع العالم بحيث يصير وجوداً واحداً في مرتبة من المراتب الوجودية. وإذا أردنا أن نتحكم في شخصية أي إنسان فإننا في المقام الأول يجب أن نتحكم في المركز المحرك له الذي من خلاله يصدر الأوامر إلى بقية الجسد، فيستجيب الجسد لهذه الأوامر ألا وهو العقل. ونحن نحاول أن نبين كيف يمكن أن نتصرف في عقل أي إنسان بحيث نوجهه حيث يجب. وعندما نلاحظ الإنسان فإننا يمكن أن نشاهده بحالتين:

الحالة الأولى: كون العقل في أول نشوئه.

الحالة الثانية: يكون العقل قد اختزن بعض المعلومات. وهذه الحالة يمكن أن نلاحظها بلحاظين: أن تكون المعلومات التي اختزنها الإنسان معلومات نافعة مفيدة، أو أن تكون معلومات غير صحيحة.

أما الحديث عن اللحاظ الأول: هو كون العقل في بداية نشوئه، هناك نظريات كثيرة تتحدث عن كيفية حصول المعلوم لدى العالم هل هو بنوع الإشراق أم الإضافة أم غير ذلك وليس هذا بحثنا. ولكن الحق أن الإنسان أول ما يولد يكون في حالة الجهل المطلق وهو خالٍ من كل معلوم، وصفحة ذهنه صافية، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

وهذا يعني أنه متى توجه إلى الطفل الصغير بالشكل المطلوب واعتنى به بالكيفية اللازمة كانت حياة هذا الطفل بأفضل صورة وأحسن حال، لاسيما إذا اعتنى بالمعلومات التي يجب أن يتعلمها وأن يعرفها؛ فإن كانت تلك المعلومات لها آثار إشراقية فإن نفس العالم سيكون مشرقاً بها متكاملاً نحو الكمال المطلوب منه. ومن هنا نجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يقول: «كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه وينصرانه»[2].

وفي رواية أخرى عن الصادق عليه السلام قال: «بادروا أحداثكم

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٢) بحار الأنوار: ح ٥ ص ٢٩٦.

بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة»[١].

وفي رواية أخرى قال الإمام علي عليه السلام: «علّموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به، لا تغلب عليهم المرجئة برأيها»[٢].

من هذا يظهر أنّ الاهتمام بتركيب الفكر وتغذية العقل بالمعلومات الصحيحة هو من أهم الأمور التي يجب على المربين الاعتناء بها؛ وذلك لأن العقل بطبيعته يستفيد من كل أمر يشاهده ويسمعه؛ فإن لم يعِ الحق سيكون مكانه الباطل وعندها ستختلف طريقة التفكير وطريقة التفاعل في الواقع الخارجي، ومنها شدد النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبين الطاهرين في الحفاظ على ذهنية الطفل من التلوث بأي فكر مسموم فإنه يلوث نفس وجود الطفل ووجود الإنسان نفسه.

ومن الواضح أنه كلما كان الطفل صغيراً لم يتلوث بعد بأي صورة من التلوث سواء أكانت فكرية أم غيرها؛ فإن التعامل معه يكون أسهل وبرمجته تكون بسيطة جداً.

أما اللحاظ الثاني: وهو فيما إذا اختزن العقل بعض المعلومات سواء أكانت إيجابية أم سلبية فإن التعامل معه يكون أصعب من الصورة الأولى. وذلك لأنه فيها خالٍ من كل شيء كما تقدم فتعليمه أسهل. أما في الصورة الثانية فإن التغير يكون فيها معقداً، بل قد تتحول تلك المعتقدات والمعلومات إلى جزء منه كما قلنا بأن المعلوم يتحد مع العالم ومع ذلك يصعب بل يستحيل التغير في مثل هذه المرحلة؛ لأن التغير في هذه المرحلة يحتاج إلى أمرين:

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٣٣١.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٢١، ص ٤٧٨.

الأمر الأول: إزالة الفكر السابق والمعبر عنه بالرواسب الفكرية.

الأمر الثاني: إضافة الفكر الجديد أو كما يقال في العلوم الحديثة إعادة تأهيل من جديد.

وهذه العملية تحتاج إلى مجهود وقدرة كبيرة حتى تؤتي ثمارها وأهدافها؛ لأنه يلزمنا في البدء معرفة أين يقع الخطأ في فكر الطفل أو الإنسان المقابل هذا أولاً، وثانياً نحتاج إلى معرفة الأمور التي يجب أن يتعلمها ويستبدلها بما هو أفضل وأكمل لوجوده. وهذان الأمران يحتاجان إلى خبير في علم التربية يقوم بالتشخيص ووضع العلاج. والذي قد يساعدنا في عملية التغير هو علمنا كيف يفكر العقل وكيف ترتبط المعلومات مع بعضها، فمتى عرفنا ذلك صحّ لنا أن نغير أي سلوك نريده في أي إنسان.

○ كيف يعمل العقل؟

الطريقة التي يعمل بها العقل هي من أعقد العمليات التي يعجز الإنسان أن يدركها بحقيقتها وكمالها، وذلك لأن الإنسان لم يحط بحقيقة العقل لأنه يعقل به وإن عقل ذاته، ولكن لا كُنهه وحقيقته.

ولكن يمكن أن نقدم مقدمات تساعد على فهم عملية العقل بشكل مبسط ومختصر. وهي كالتالي:

النقطة الأولى: العقل هو وجود مجرد يدرك الكليات. أما الدماغ الذي في رأس الإنسان ليس هو العقل. بل هو جهاز يمكنه من خلاله التعامل مع العقل؛ فإن حقيقة الإبصار ليست بالعين بل العين هي وسيلة من وسائل الإبصار وليست هي الإبصار، وكذلك العقل فإنه مجرد، له

تنزل في عالم المادة وارتباط بالجسد من خلال هذا الدماغ الظاهري. وأن العمليات التي يرسلها الدماغ من إشارات وعمليات عصبية ما هي إلا ارتباط بينها وبين العقل المجرد. وإلا كيف يمكن لرأس الصغير أن يحوي كل هذه المعلومات والصور التي لا نهاية لها؟

النقطة الثانية: إن العقل في عملية التعامل مع الأمور الظاهرية يرسل إشارات تشير إلى المقصود وإلى المراد. هذه الإشارات هي العملية العقلية، فمتى كانت هذه الإشارات صحيحة كانت النتيجة صحيحة. ولذلك قد يحدث للإنسان في بعض الأحيان أن لا يعرف ما يريد أو يحس بتضارب في الأفكار، وذلك لأن الإشارات الذهنية لم تكن واضحة للعقل حتى يصدر أمراً واضحاً يفيد الإنسان في التعامل مع أي مسألة من المسائل التي يعيشها.

النقطة الثالثة: يمكن أن يفسر عمل العقل بربطه بين الأمور الموجودة المختزنة عنده في ساحة لا نهاية، وهذا الربط يصور صورة أخرى تفيد المستعلم. وبعبارة أخرى نقول: إن الإنسان عندما يطلب أمراً مجهولاً عنه فإنه يستعين بالعقل لكي يرفع حيرته، والعقل يقوم بربط هذا الشيء المعطى إليه بما يوافقه في تركيبه أو شكله أو ما يلائمه وبذلك يرفع الحيرة عند الإنسان عندما تُعطى له صورة واضحة. ومنها تعرف ما يقال إنَّ نصف الجواب حسن السؤال. أي إن أُعطي سؤال صحيح عن معنى معين بدقة فإنه يساعد العقل لينتقل إلى المعلومات الموجودة عنده إلى ما يلائمها فيعطيك النتيجة المطلوبة.

النقطة الرابعة: إن الربط الحاصل في العمليات العقلية له أساس وأساسه التكرار المتكرر من إيراد الصورتين متعاقبتين بحيث يتعقلهما

العقل معاً من شدة الارتباط الناشئ بينهما من كثرة الاستعمال بحيث يكون وجود أحدهما وجود الآخر عند العقل. وهذه النظرية هي التي اعتمدها الشهيد الصدر في عملية الوضع بين المعاني والألفاظ مستفيداً مما أثبته العالم السوفيتي بافلوف في تجربته على بعض الحيوانات من ملاحظة سيلان اللعاب بسبب إعطاء الطعام، ثم جعل إعطاء الطعام تابعاً لضرب الجرس أو النور الموجه للكلاب فوجد أنه متى ضرب الجرس يسيل اللعاب حتى لو لم يعط الطعام، وما كان ذلك إلا بسبب الارتباط الناشئ من جري تكرار العملية مرات متعددة حتى ألفت القوة المتخيلة عندها ذلك وصار ثبوتاً لها. وكذلك الإنسان فإن الارتباط في العقل بين الأشياء يكون من جراء الاقتران بينها، وبتعبير الشهيد الصدر في بحثه (القرن الأكيد)، حيث تحصل علاقة راسخة بين وجود شيء وآخر، ويكونان وجوداً واحداً.

خلاصة نظرية بافلوف:

لا شك أن نظرية بافلوف وتفسيرها لكيفية عمل العقل وكيف يتفاعل مع الانعكاسات الشرطية التي توجه للحيوان والتي تطبق أيضاً على الإنسان له أثر كبير على الأبحاث، ولذلك لا بأس بذكر ملخص لهذه النظرية على شكل نقاط، فقد ذكر صلاح نصر في كتابه (الحرب النفسية) ج ٢، ص ٤٤ تلخيص النظرية:

«١ - عند حدوث توترات معينة أو صدمات فإن الكلاب تستجيب تماماً مثل الإنسان تبعاً لاختلاف أمزجتها المختلفة الموروثة التي سبق أن أشرنا إليها.

٢ - لا تتوقف ردود فعل الإنسان والكلب للتوترات العادية على

كيانه الموروث فقط، بل كذلك على المؤثرات البيئية التي يتعرض لها، وهذه المؤثرات تغير تفاصيل سلوكه فقط ولكن لا تغير الأنماط العصبية المسيطرة عليها.

٣ - تنهار الكلاب كالآدميين وذلك حينما تصبح التوترات أو الصدمات أكثر مما ينبغي أو بدرجة لا تستطيع أجهزتها العصبية السيطرة عليها.

٤ - يختلف مقدار التوتر الذي يستطيع الإنسان أو الحيوان السيطرة عليه دون أن يصاب بالانهيار باختلاف حالته البدنية، كما يمكن تقليل المقاومة بوسائل أخرى مثل: الإجهاد والحمى والمخدرات والتغير في وظائف الغدد.

٥ - عندما يستثار الجهاز العصبي استثارة شاملة، ويحدث له توقف كامل كعامل وقائي، فإننا نستطيع أن نميز ثلاث مراحل مختلفة من التغيرات في السلوك وهذه المرحلة هي:

أ - المرحلة (المتعادلة) حيث يعطي فيها المخ نفس الاستجابات لكل من المثيراث القوية والضعيفة.

ب - مرحلة التناقض وهي التي يستجيب فيها المخ للمثير الضعيف بشكل أكبر إيجابية من المثير المقوي.

ج - مرحلة التناقض الشديد، وهي تتحول فيها ردود الفعل الشرطية والأنماط السلوكية من الموجب إلى السالب وبالعكس».

ولا شك أن لكل نقطة من هذه النقاط أثر في عملية التحليلات العقلية التي يجريها الإنسان أو الحيوان من خلال المؤثرات الخارجية التي تؤثر عليه سلباً أو إيجاباً.

المقدمة الخامسة: إن العقل يصدر أمراً للجسد بأن يقوم بفعل ما إذا كان مشتاقاً له يرى فيه كمالاً ومنفعة له من خلال الصورة التي تحضر أمامه، كأن يعطش الإنسان فيشتاق إلى الماء وذلك لأن حقيقة العطش عنده تقابلها حقيقة الارتواء، وعندما يحضر معنى الارتواء يأتي منشؤه وهو الماء المحقق لوجوده فيشتاق إليه، ويبعث الجسد نحو طلب الماء وتحقيق مقدماته أو ينفر من فعل يرى فيه صورة سيئة ووجوداً ضاراً له كأن يعلم أن هذا الماء فيه سمٌّ قاتل فينفر من شربه ولو كان عطشاناً؛ لأن الماء موجب لهلاك النفس لأنَّ فيه سمّاً وإن كان يحتاج إليه. وهكذا طريقة تعامل العقل مع كل الأمور.

○ الفرق بين الإدراك والدوافع:

إن تصرف الإنسان نحو أي أمر تابع إلى أمرين مهمين أحدهما الدافع لهذا الأمر والإدراك له، ولعل عدم وضوح معنى الدوافع الحقيقية للأمور والإدراك جعل كثيراً من علماء النفس والاجتماع لا يميزون بينهما؛ فهذا لورين كورت أحد علماء النفس والاجتماع عندما يواجه سؤالاً مثل: هل السلوك الناتج عن دافع يرجع إلى الصفات الموجودة في الميدان النفسي المباشر أم إلى تأثير التجربة الماضية؟

فإنه يجيب على ذلك بقوله: إن الميدان النفسي يتكون من البيئة الطبيعية الخارجية، والحالة النفسية الداخلية، وكذا الآثار العصبية للتجارب الماضية، وبالرغم من أن الإنسان هو سيد مصيره وقدره في بعض الأحيان، فإن ضغط العصور يقع عليه في أحيان أخرى.

ومراده من الميدان النفسي هو الدافع المحرك الذي يعبر عنه بالحالة

الداخلية للإنسان والآثار العصبية للتجارب الماضية هو عبارة عن الإدراك وتصوره. وعند التأمل الحقيقي في المسألة نجد أنَّ الدافع شيء والإدراك شيء آخر؛ فالدافع هو الرغبة الحقيقية في حبِّ الكمال والبقاء وعشق الذات لنفسها، وأما الإدراك فهو ذلك الموضح لنفس كمالها الذي تنشده وترغب فيه. ومن هنا نستطيع أن نتحكم في أي سلوك من خلال هذين الأمرين:

الأمر الأول: وهو الاعتماد على حبِّ الإنسان لبقائه فكلما استطعنا أن نصور له ما يحقق بقاءه ندفع الإنسان نحو الأمر الذي نريده.

والأمر الثاني: وهو التحكم في نفس المدرك والإدراكات من خلال التجارب والتعليم وغير ذلك مما يعطي العقل الصورة الكمالية للإنسان نفسه فتسع نفسه لها. وبعبارة أخرى أن المدركات أو الإدراك وتشخيص العقل لها يوجه الدافع نحو الكمال الذي ينشده ويرغبه في تحقيق البقاء؛ فيكون العقل هو المحدّد للكمال والدافع هو المحرك لتحقيق الكمال. فمتى تحكمنا في هذين الأمرين استطعنا أن نغير فكر أي إنسان وخصوصاً الطفل الصغير ففهم.

ومن هنا قال صلاح نصر - في كتابه (الحرب النفسية) ج ١، ص ٣٠ -: «إن دراسة الإدراك أمر على جانب كبير من الأهمية لعلم النفس الاجتماعي؛ لأن اتجاهات الناس يمكن أن تتغير. ومن المهام الرئيسية لعالم النفس الاجتماعي أن يحاول - على الأقل - إحداث مثل هذه التغييرات. ولكن لكي نغير اتجاهاً ما يجب علينا أولاً وقبل كل شيء أن نغير مفهوم الأشياء التي يبنى عليها هذا الاتجاه. وتغير الاتجاه يعني أيضاً تنظيم الإدراك».

○ استحكام الفعل وعدمه:

إن الفعل الصادر من الإنسان يلاحظ بعدة لحاظات، وهي كالتالي:

١ - أن يكون الفعل الصادر من الإنسان على نحو الاستحكام والتمكن من الفعل من غير تكلف ولا عناء، بل هو سجية يصدر منها الفعل كالكلام الصادر من الإنسان الكبير؛ فإن كلامه يكون سجية له وملكة وكذا الأفعال الأخرى فإن كانت صادرة عنه بمثل صدور الكلام عنه يكون ملكة عنده. وتغير هذه الملكة والعادة ليس بمستحيل، بل من الأمور الصعبة التي تحتاج إلى مجاهدة وعزم ومراقبة حتى يقلع الإنسان عن فعل معين أو يعمل فعلاً معيناً بنحو السجية.

٢ - أن يكون الفعل الصادر من الإنسان على نحو الاستحكام ولكن لم يصل إلى مرحلة الملكة، ولم تصل إلى أن تغرس جذورها في الإنسان فإن تغيرها يكون بقدر استحكامها وقربها من الملكة، وتحتاج إلى مجاهدة ومثابرة ولكن بنحوٍ أخف مما سبق، وهكذا بقية المراتب بقربها من المرحلة الأولى.

٣ - أن يكون الفعل الصادر من الإنسان على نحو التكلف والتفعل لا على نحو السجية، وهذا تغير من أسهل الأمور ولكن يحتاج إلى توجه وإرادة في التغير. والطفل في بداية فعله وتعلمه يكون في مثل هذه المرحلة التي يعمل حتى يصل إلى المرحلة السجية. وعليه فإن التغير في بداية الحياة وتوجيه الطفل من الأول في تصحيح العادات والأفكار هو أسهل وأمكن للمربين. بخلاف ترك العادة تستحكم ثم يأتي دور التغير. ومن هنا يلزم السعي في تعليم الطفل الأخلاق الحسنة وتعويده عليها

حتى تكون ملكة؛ لأن خلقته ليّنة وتحويله من شيء إلى شيء سهل جداً، ولذلك قال الإمام إلى مبادرة الحدث بالحديث قبل أصحاب العقائد الباطلة التي تشوّه فكره ورأيه.

وهذا الذي أثبته العلم أيضاً في تجربة بافلوف، حيث قال وليم ساجنت في كتابه (Battle for the mind): «إن الكثير من السلوك الإنساني ما هو إلا نتيجة للأنماط السلوكية المشروطة في المخ، ولاسيما في أثناء الطفولة. وقد تستمر هذه الأنماط دون أي تعديل يذكر، ولكن غالباً ما ينالها بعض التعديل تدريجياً بسبب التغيرات التي تحدث في البيئة. ولكن كلما تقدم عمر الإنسان استعصى على إحداث ردود فعل جديدة تتفق مع هذه التغيرات فالاتجاه حينئذٍ عادة ما ينمو لجعل البيئة تناسبه، أو يناسبها من ناحية ردود الأفعال التي تزداد قدرته على الأفعال الشرطية المنعكسة التي سبق اكتسابها عن طريق الدراسة المستفيضة...».

* * *

○ تطبيق نظرية في علم التربية

كل الذي تقدم كان مقدمة لفهم كيف يمكن لنا أن نخلق نمطاً جديداً أو سلوكاً مغايراً لما كان عليه الإنسان، وحيث إن الحديث عن سلوك الطفل الصغير وكيف لنا أن نخلق منه عالماً كما نحبّ ونريد فإننا نتبع الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: أن نحدد السلوك المرغوب فيه والمراد تعليمه لطفل سواء أكان صغيراً أو كبيراً.

الخطوة الثانية: نربط هذا السلوك بصورة جميلة وحسنة في ذهن الطفل الصغير بحيث ينتقل ذهنه من الشيء الجميل إلى الفعل الذي خلقناه له؛ فمثلاً عندما نريد أن نخلق في الطفل صفة الصدق فإننا نربط صدقه بمدحه والثناء عليه والإشادة به بوجوه محببة له، ونربط بين صفة الكذب والأمور القبيحة بحيث تستحكم نفسه بين الصورتين فعندما يريد أن يكذب تتمثل له تلك الصور القبيحة فتنفر نفسه منها. وذلك لما تقدم من أن الإنسان يبحث عن الكمال، والقبيح لا كمال فيه وهو يحب نفسه فتنفر نفسه من كل أمر ينقصها.

الخطوة الثالثة: أن نجعل بين الصفتين المرغوبتين نوعاً من أنواع اللذة التي يلتذُّ بها، فصفة المدح وهي موجبة للذةِ الطفل لإشعاره أنه محبوب بالصدق لأنه كلما صدق كوفئ، ونجعل بين الصفتين غير المرغوب فيهما نوعاً من الألم والحرمان النفسي، حتى يقع النفور الداخلي والقبول الداخلي من غير وجود رقيب عليه في تحقيق ما يراد منه، وإنما يسمع لتحقيق الدافع الموجود في داخله وهو حب نفسه وكمالها.

الخطوة الرابعة: التكرار في تحقيق الربط بحيث يشكّل نمطاً في عملية الإشارات العقلية والانتقالات له من غير تروٍ ولا تأمل. وبعبارة أخرى بحيث يستحكم المعنيان أو الصفتان فلا يكون لهما إلا وجود واحد في العقل. ولا نقصد الدقة العقلية بل التبادر إلى المعنى المراد فقط وهو الاندكاك بين المعنيين ليشكلا معنى واحداً لهما.

وقد ذكر أنتوني روبنز في كتابه (أيقظ قواك الخفية) ص ١٤٨ ما يدعم ذلك، حيث قال: «التكيف والترويض أمر حاسم؛ إذ إننا بذلك

نحقق نتائج ثابتة ومستمرة، غير أن عليك أن تتذكر من جديد أنَّ أي نمط من السلوك العاطفي يتم تعزيزه أو مكافأته على أساس ثابت سيصبح سلوكاً متكيفاً وأتوماتيكياً. أما النمط الذي نفشل في تعزيزه فلا بد له من أن يتلاشى».

والتكرار المطلوب قد يحدث بكثرة إخطار المعنى لطفل، أو جعل تثقيف خاص له من خلال تدريسه المعنى حتى يستحكم عنده، ويثبت لدى عقله ويكون ذلك على فترات متعاقبة بعضها تلو البعض، أو بأي طريقة يمكن أن ترسخ المعنى المراد لدى الطفل.

الخطوة الخامسة: وهي خلق بديل لما يراد تغيّره، ويكون ذلك فيمن كان عنده عادة أو سلوك معين وأريد تغييره إلى سلوك آخر، وقد تعود الشخص على السلوك القديم؛ فبعد أن يعطى هذا السلوك (القديم) نمطاً سلوكياً جديداً بحيث تنفر منه النفس وترتسم صورة جديدة تأتي المرحلة في إيجاد بديل للسلوك القديم، حتى لا ترجع نفسه إليه أو تشتاق فيعود إلى ما كان عليه ما لم يترسخ عنده البديل. وهو النمط العكسي الشرطي في التجربة.

الخطوة السادسة: تعطيل النمط السلوكي القديم بحيث يستخدم أساليب الإثارة وإيصال الشخص إلى مرحلة انفعال، بحيث ينقلب إلى المعاكس والنقيض.

الخطوة السابعة: السعي إلى أن يصل مع وجود النمط الجديد إلى نسيان الأسلوب والعادة والسلوك القديم؛ فإن استطعنا تحقيق ذلك استطعنا عدم رجوعه مرة أخرى، وذلك بأن يبعد عمّا كان عليه أو ما يذكره بالنمط القديم. وسوف نذكره بنوع من التفصيل إن شاء الله.

الخطوة الثامنة: قد يحتاج إلى ترسيخ الصورة أو الانتقال إلى التجربة بحيث يعيش المراد تغيّره التجربة ولو مصغرة وغير حقيقية، بشرط أن لا يعلم أنها كذلك بل يعتقد أنها واقعية حتى يتفاعل معها وتؤثر في نفسه.

الخطوة التاسعة: توصيل الطرف المراد تغيره إلى النتيجة من خلال إكراهه على الفعل المحبب له بحيث يجبر عليه ويطالب بتكرر الفعل الذي يحبه بشكل مستمر. وهنا يقفز قانون أن النفس متى أجبرت على شيء تحولت إلى مقته.

الخطوة العاشرة: العزل بأن يعزل من يراد تغير سلوكه عن المجتمع الذي يعيشه ويتعامل معه بحيث لا يتأثر بهم ويبقى على حاله عندما يشاهد الآخرين يقومون بنفس الشيء الذي منع منه؛ فالطفل الذي تعوّد أن يقول الكلمات غير الجيدة والتي اكتسبها من بعض زملائه، فإنه يعزل عنهم ويخلق له بيئة جديدة تتعامل مع الصفة أو النمط السلوكي الجديد.

* * *

○ تطبيقات للنظرية

لم يزل الإنسان فطرياً يسير بفطرته لتحقيق احتياجاته ويحتال لها بفنون الاحتيالات والطرق حتى يتمكن من رغبته وما يريد، وكانت هذه الفطرة في الإنسان هي التي قادته إلى اكتشاف كثير من العلوم ومعرفة كثير من المعارف، ولكن قد تصاغ هذه المعرفة بأسلوب علمي وطريقة فنية، وقد تبقى مسترسلة بين الناس من غير صبها في قالب علمي بحيث لا تظهر بشكل حقيقة علمية، إلا أنها قد تبدو للناس عادة أخذها الأبناء من الآباء

والبنات من الأمهات والجيل بعد الجيل، بقالب علمي وإن كانت في واقع الأمر سرّاً من أسرار التكوين والطبيعة. ومن هذه الأمور ما يلي:

أولاً: الفطام: عندما يولد الطفل ويلقف ثدي أمّه ويأنس بحليبها ويعيش على ذلك ما يقارب السنتين، عندها يأتي النذير لهذا الطفل أنه حان أوان الفطام؛ فتحتال الأم لكي تجعل ولدها يترك الرضاع بطرق عديدة بحيث ينفر من الثدي ومن الرضاعة بعد أن تعود عليها طويلاً، كأن يوضع على حلمة الثدي مادة توجب المرارة بحيث كلما رضع الطفل أحس بالمرارة وأن طعمه صار كريهاً ثم تنفر نفسه ثم يتركه، بل إذا طلب منه فيما بعد الرجوع إلى الرضاعة رفض.

وعندما تسأل هذه الأم المسكينة عن الأسباب العلمية التي جعلت الطفل يترك الرضاعة تجدها لا تجيب إلا بكلمة أو كلمتين ولا تعلم أنها طبقت عدة قواعد وأساليب علمية حتى صار الطفل مفطوماً. ومنها:

١ - أنها عملت نمطاً سلوكياً عكسياً شرطياً.

٢ - إثارة واستثارة الطفل باستخدام الصراع النفسي له.

٣ - أوقفت النمط السلوكي القديم من خلال عملية التناقض التي أوجدتها له من خلال تصارع بين كون الحليب مؤنساً ولذيذاً وكونه مرّاً وكريهاً، حتى أوقفت عنده النمط السابق.

٤ - جعلت له ارتباطاً بين صورتين أن الراحة في ترك الرضاع بعد أن كان يجد الراحة واللذة فيه.

وغير ذلك من الأمور التي تم توضيحها والطرق العلمية التي استخدمت فيها. وكثير مثل هذه الأمور يجهلها بعض الناس.

ثانياً: ما جرّبته على ولدي من استخدام هذه النظرية من قرن صفة أريد تغيّرها إلى صفة أخرى يكرهها ولدي. وذلك أن الأطفال من عادتهم أن يحبّوا الحلويات والمشروبات الغازية فلم أرغب في أن يتعلم أطفالي على هذه الأمور، فطبقت النظرية بحيث إني أتيت بإحدى العلب الغازية ووضعت فيها ملعقة كبيرة من الملح وقدمتها لابنتي ثم ولدي بعد ذلك المشروب في نفس العلب مع ملاحظة أني عملتها من غير علمه. فلمّا قدمته لها كانت مسرورة بأنها ستشرب ما تحبه، ولكنها تفاجأت بأن وجدت طعمه كريهاً وممقوتاً فأخرجته من فيها وهي مقطبة بجبينها وهي تقول: (يع.. بابا.. يع!) وأنا أردد لها نفس عباراتها وأقول لها: (هذا يع..!) وبعد هذا الحادث لم ترغب في شرب أي مشروب غازي حتى لو لم يكن أحد والديها بجانبها. وكذلك في الحلوى حيث إني أحضرت صورة أسنان مسوسة وخربة وشكلها مخيف فأريتها لابنتي وقلت لها: هذا من الحلوى! هذا من أكل الحلوى.. ووضعت الصورة بالقرب من سريرها بحيث تراها في كل وقت فصارت تكره الحلوى، ولا تحبها كثيراً مع أن عادة الطفل خلاف ذلك.. كل هذا بسبب استخدام هذه النظرية.

ثالثاً: أمير يسمى سيد هاتا ابن الملك سودهوادانا يعيش منذ طفولته حياة ترف ونعيم لم يستمتع بها إلا قلة من الناس، ورغم هذا النعيم تحول الأمير إلى راهب متسول يحاول أن يبحث عن الحقيقة بعد أن شاهد في أثناء تجوله في مملكته ثلاث صور من شقاء الحياة، فالصورة الأولى وهي الشيخوخة تمثلت له حينما رأى كهلاً رسم الحزن والجهد على وجهه أثر الشقاء ومحنة الأيام، ممدّداً على الأرض دون غطاء في يوم

عاصف الريح. والصورة الثانية: وهي صورة المرض، فقد رسخت في ذهنه حينما رأى مريضاً ملقى على الطريق يتوجع ويئنّ، فأدرك أن المرض يتعرض له كل إنسان غنياً كان أم فقيراً حاكماً أو محكوماً. والصورة الثالثة صورة حتمية الموت؛ إذ شاهد جنازة أحد المتوفين وهو محمول إلى مكان حرق جسده ومن خلفه امرأته وأولاده يبكون لفراقه.

فأثرت في نفس هذا الأمير هذه الصور بحيث تحول وتنازل من حياة الترف إلى حياة الراهب المتسول الذي يبحث عن شيء لا تشوبه هذه الشوائب وعالم لا يوجد فيه مثل هذه الأمور.

وعندما نلاحظ الصور المتقدمة نلاحظ أنها كلها اعتمدت على نفس النظرية التي توصل إليها بافلوف، وأن انطباع الصورة الجديدة أو الانتقال إلى المشهد الثاني له عدة طرق؛ فتارة التجربة سواء أكانت بالحس أو بغيرها وتارة بالمعرفة والتأمل. وإن هذه الأمور ناتجة من مؤثرات مشروطة أو شرطية تؤثر في نفس التفكير وتحول الشخص من حالة إلى حالة. وكلما كانت في سن مبكرة كان أثرها أكثر لكون الاستجابة أسرع والمقاومة أضعف فتأمل.

○ التأكد من تحول الفكر:

عندما نريد أن نعرف هل هذا الشخص تغير حقيقة أم هو يستطيع التغير؟ أم أنه هل هذه الفكرة ركزت في ذهن الطفل الصغير وصارت عنده ثابتة أو لا؟

يمكننا أن نحقق ذلك من خلال التأكد على أن نتبع أسلوباً استنطاقياً للفكر وذلك بما يلي:

١ - **الاستنطاق**: وهو عبارة عن إدخال الطفل المراد تغيره في نقاش فكري مبسط يناسب فكره بأن نقوده إلى أن يصل إلى النتيجة من خلال أسئلة توجه إليه ومنها تكتشف فكره اتجاه الأمر الذي حاولت تغيره. مثل ذلك أننا غيرنا فكره اتجاه شرب المشروبات الغازية التي كان يحبها بعد عملية تأثير على النمط السلوكي بالعملية العقلية الشرطية التي تقدمت، حتى توصلنا إلى أن المشروبات الغازية ليست جيدة وارتبط فكره بأن المشروب الغازي مشروب كريه مثلاً. نأتي ونسأله، وبعبارة أخرى نستدرجه بقولنا:

هل تريد أن تشرب مشروباً غازياً؟

الطفل: لا.

المربي: ولماذا؟

الطفل: لا أريده إن طعمه كريه.

المربي: ولماذا طعمه كريه؟

الطفل: لقد جرّبته ورأيته كذلك إنه (يع!).

المربي: والكبار لماذا يشربونه؟ أليس جيداً؟

الطفل: إنه جيد للكبار فقط أما الصغار فلا.

وهكذا يدار النقاش حتى يتأكد من أن الطفل ترسخت الفكرة في ذهنه من خلال زَجّه في نقاش وحوار فكري بسيط كما قلنا. كما أنه بهذه الطريقة تحرك عقله وترفع كل فكرة ما زالت عالقة في ذهنه وتعمق الفكرة أو الصفة في داخل وجوده بحيث تصير جزءاً منه.

٢ - **الاعتراف**: وهذه النقطة تعتمد على أن الطفل أو الشخص الذي

ارتكب خطأ وأريد إصلاحه يجب علينا أن نجعله يعترف بخطئه، وأنه فعل حماقة، وهذا الاعتراف يكون وسيلة سهلة ومساعدة في تحقيق تغير العقيدة أو الصفة التي يراد أن يغيرها، وذلك لأنه باعترافه بأنها خطأ فإنه سيحاول إصلاحها وتغيرها، وهذا يعطي العقل استعداداً وقابلية لأن يتقبل كل شيء جديد له؛ مضافاً إلى أن اعترافه يسبب له ألماً نفسياً فيكون هذا ألماً رادعاً له عن ارتكابه مرة أخرى؛ لأنه يشكل ضغطاً عاطفياً وتأثيراً قوياً على نفسيته مما يجعل ذهنه قابلاً للتغير وهو الأسلوب الشرطي الذي ذكرناه من قيام الشخص بسلوك معين نتيجة لمؤثرات خارجية.

٣ - **خلق جو المشاركة له**: يجب أن يخلق للطفل جو من المشاركة الجماعية التي يعبر فيها عن رأيه من غير ملاحظة كون المربي له مراقب لتصرفاته، بحيث يتصرف على سجيته وطبيعته ويرى كيف يكون التفاعل مع النمط الجديد الذي تعلمه، فهل يتصرف ويتفاعل معه سواء وجد المربي أو أنه يلاحظ وجوده عندما يريد أن يفعل هذا الأمر أو ذاك. فإن كان الثاني فإن الصفة لم تستحكم في وجوده بعد ويحتاج إلى مزيد من التعليم والتركيز بخلاف الأول.

❁ ❁ ❁

الأسلوب الثالث: اعتدال المزاج

إن الحديث عن اعتدال المزاج وأهميته في عالم التربية من الأمور التي لا تخفى على العلماء، وإن خفي هذا الموضوع في كتب التربية الحديثة بهذا العنوان والتسمية، ولكنه في الكتب القديمة والتي اهتمّت بالتربية والأخلاق والطب ذكرت هذا العنوان بشكل متفاوت ومتفرق في الكتب، وإن صنّف لها كتب خاصة تتحدث عن المزاج. ونحن سنتناول هذا البحث باختصار شديد حتى لا يخرجنا عن موضوعنا الذي عقدنا له هذا الكتاب. ويمكن أن نطرق البحث من خلال عدة نقاط:

○ النقطة الأولى: تعريف المزاج

ذكر ابن سينا في (القانون): «أن المزاج هو: كيفية حاصلة من تفاعل الكيفيات المتضادات إذا وقفت على حد ما ووجودها في عناصر متصغرة الأجزاء ليماس أكثر كل واحد منها الآخر، إذا تفاعلت بقواها بعضها في البعض حدث عن جملتها كيفية متشابهة في جميعها هي المزاج والقوى الأولية في الأركان المذكورة أربع هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة». انتهى كلامه، ص ٦. وذكر مثل هذا التعريف في كتابه (الشفاء) وفي قسم الطبيعيات، ج ٣، ص ١٩٢.

أقول: كثيراً ما يرد على الألسن أن هذا الشخص صاحب مزاج أو أنه مزاجي، ويقصد الناس من ذلك أنه متقلب بحسب الظروف والأحوال التي تحدث له فلا قاعدة عنده يجري عليها. وقد صدق الناس

في هذا القول وإن تقلب الإنسان راجع إلى اختلاف المزاج الذي يحصل له. والمزاج - كما ذهب إليه الفلاسفة - هو مجموعة كيفيات تحصل من خلال تفاعلها، وذلك من خلال اندماج الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة؛ فتشكل من هذه المجموعة حقيقة مندمجة مع بعضها تسبب مزاجاً خاصاً بالإنسان أو بالفرد، ومن خلال هذا المزاج يختلف التعامل والتفاعل معه بحسب مزاجه. بعضهم حار المزاج أو بارد أو عصبي أو متهور ولا مبالي، هذا الاختلاف الناشئ بين الأفراد إنما مرجعه إلى المزاج الذي يحمله كل إنسان في داخله. ومتى تحكمنا في المزاج فإننا نستطيع أن نحافظ على الطفل وعلى الشاب وعلى الرجل وعلى المرأة من التصرفات التي يتصرفها من غير وعي وإدراك.

○ النقطة الثانية: المزاج غير النفس

عندما نطرح هذه النقطة بالذات فإننا نريد أن نؤكد على مسألة مهمة، وهي أنه إذا كان المزاج غير النفس فإنه يمكن إصلاحه وتعديله، وأما إذا كان المزاج هو النفس - كما ذهب بعضهم إلى ذلك - فإن الإنسان لا يمكن أن يغير مزاجه وطبعه وطريقته. وبأدنى تأمل نعرف أن النفس غير المزاج لأنه يمكن أن يصلح الإنسان مزاجه ويغيره بالرياضة والمجاهدة التي تستلزم قهر النفس والبدن في ذلك حتى يصلح المزاج. فقد ذكر المازندراني في شرح الكافي عن ابن سينا قوله: «والشيخ أبو علي ابن سينا أورد في الإشارات ثلاثة أدلة لإثبات أن النفس ليست هي المزاج أو تابعاً للمزاج، بل هي تعارض مزاج البدن وتنافيه، الدليل الأول الحركة الإرادية إلى جهات مختلفة فإنها ليست للطبائع؛ فإن الطبيعة تقتضي شيئاً

واحداً غير مختلف فالحركة إلى فوق والطبيعة تميل إلى السفل تدل على أن النفس ليست من الطبيعة، الثاني الحس والإدراك فإنهما ليسا للطبيعة والمزاج وهو واضح، الثالث إن الطبائع المختلفة في المزاج تقتضي الانفكاك في أسرع ما يكون من الزمان، ولذا يتلاشى البدن بعد الموت بلا مهلة وإن النفس تقهر المزاج على الثبات والبقاء وجمع الأضداد مدة طويلة فليست النفس مزاجاً أو متفرعة على المزاج، بل لها مبدأ آخر ولذلك تقدر على قهر المزاج على خلاف مقتضى طبعه وهذه أمور يغفل عنها الطبيعيون والأطباء». ج ٧، ص ٣٣٢.

○ النقطة الثالثة: أثر سوء المزاج على الإنسان

إن سوء المزاج في الإنسان يقتضي أشياء كثيرة قد لا يدركها الإنسان العادي لعدم الالتفات إلى أثرها وأهميتها، ولكن بعد التأمّل والتدقيق يجد الإنسان أن سوء المزاج يؤثر على الإنسان مباشرة أو غير مباشرة يمكن لنا أن نطرح ذلك بشكل نقاط:

أولاً: إنَّ سوء المزاج يؤثر على نفس تكوين البشر فضلاً عن سلوكهم. وهذا الذي عبر المناوي صاحب كتاب (فيض القدير شرح الجامع الصغير) في ج ١، ص ٢٣٤، عندما تحدث عن الحجامة فقال: قال أهل المعرفة الخطاب بالحجامة لأهل الحجاز ومن في معناهم من الأقطار الحارة؛ لرقة دمائهم وميلها لظاهر البدن بجذب الحرارة لها إلى سطح البدن. وقد أوضحه بعض الفضلاء فقال: إنما لازم المصطفى ﷺ الحجم وأمر به دون الفصد مع أن الفصد ركن عظيم في حفظ الصحة الموجودة، ورد المفقودة لأن مزاج بلده يقتضيه من

حيث إن البلاد الحارة تغير المزاج جداً كبلاد الزنج والحبشة؛ فلذلك يسخن المزاج ويجف ويحرق ظاهر البدن ولهذا اسودَّت أبدانهم ومال شعرهم إلى الجعودة ودقت أسافل أبدانهم وترهلت وجوههم وخرج مزاج أدمغتهم عن الاعتدال، فتظهر أفعال النفس الناطقة فيهم من نحو فرح وطرب وخمد وصفاء صوت والغالب عليهم البلادة لفساد أدمغتهم. وفي مقابلها في المزاج بلاد الترك فإنها باردة رطبة تبرد المزاج وترطبه وتجعل ظاهر البدن حاراً؛ لأن الحرارة تميل من ظاهر البدن لباطنه هرباً من ضدها وهو برد الهواء كما في زمن الشتاء؛ فإن الحرارة الغريزية تميل للباطن لبرد الهواء فيجود الهضم ويقل المرض وفي الصيف بالعكس.

والغرض من ذلك أن بلاد الحجاز حارة يابسة فالحرارة الغريزية بالضرورة تميل لظاهر البدن بالمناسبة التي بين مزاجها ومزاج الهواء المحيط بالبدن فيبرد باطنه، فلذلك يدمنون أكل العسل والتمر واللحوم الغليظة فلا تضرهم لبرد أجوافهم وكثرة التحلل؛ فإذا كانت الحرارة مائلة من ظاهر البدن لباطنه لم يحتمل الفصد لأنه إنما يجذب الدم من أعماق العروق وبواطن الأعضاء وإنما تمس الحاجة للحجم؛ لأن الحجامة تجذب الدم من ظاهر البدن فقط فافهم هذه الدقيقة.

ثانياً: إن سوء المزاج يوجب للبدن المرض فقد ذكر ابن ميثم البحراني، ص ٤٩، في كتابه (شرح مائة كلمة) ما هذا نصه: «وذلك لأن المرض في بعض الصور مختص بما يقتضي الاحتياج إلى الغذاء لتحلل رطوبات البدن بسبب عروض الحرارات الغريبة المسماة بسوء المزاج الحار له، لأن الغذاء إنما يكون لسد بدل ما تحلل من تلك الرطوبات وشدة الحاجة إلى الغذاء إنما تكون بحسب كثرة التحليل وكقصور القوى

البدنية بسبب المرض المضاد لها، وإنما الحاجة إلى حفظ تلك الرطوبات لحفظ تلك القوى إذ كانت مادة الحرارة الغريزية المقتضية لتعادل الأركان الذي لا تقوم تلك إلا معه وشدة الحاجة إلى ما يحفظ تلك».

وهناك بحث قيم ذكره مصطفى محمود في كتابه (في الحب والحياة) في ص ٨٠، على أن المرض والحب سر من أسرار الصحة والمرض. قال: «وإذا كنا نقرأ أن المسيح كان يشفي بالحب.. فليس فيما نقرأ مبالغة بل حقيقة علمية؛ فالحقد والكراهية والحسد والبغضاء ترفع ضغط الدم وتحدث جفافاً واضطرابات خطيرة في الغدد الصماء.. وعسراً دائماً في الهضم والامتصاص والتمثيل الغذائي.. وأرقاً وشروداً.. والنفور والاشمئزاز يؤدي إلى أمراض الحساسية. والحساسية ذاتها نوع من أنواع النفور.. نفور الجسم من مواد غريبة عليه واليأس يؤدي إلى انخفاض الكورتيزون في الدم، والغضب يؤدي إلى ارتفاع الأدرينالين والثيروكسين في الدم بنسب كبيرة، وإذا استسلم الإنسان لزوابع الغضب والقلق والأرق واليأس أصبح فريسة سهلة ولقرحة المعدة والسكر وتقلص القولون وأمراض الغدة الدرقية والذبحة، وهي أمراض لا علاج لها إلا المحبة والتفاؤل والتسامح وطيبة القلب... وإذا قالوا لك: إن معجزة الحب تستطيع أن تشفي من الأمراض فما يقولونه يمكن أن يكون علمياً».

وفي صفحة ٨٣ يقول متسائلاً: «وإذا قالوا لك إن سبب المرض ميكروب، قل لهم لماذا لا نمرض جميعاً بالسل مع أننا نستنشق كلنا ميكروب السل في التراب كل يوم ويدخل إلى رئاتنا في مساواة؟.. لأن

بعضنا يقاوم وبعضنا لا يقاوم... وما هي المقاومة سوى أن تكون الحالة السوية للجسم.. حالة العمل في انسجام بين كل الخلايا والغدد والأعصاب، وهي حالة ترتد في النهاية إلى صورة من صور الائتلاف الكامل بين النفس والجسد..».

أقول: إنَّ ما ذكره هذا الدكتور من بحث قيم فإن مرجع الحب الذي هو شفاء أو وسيلة للشفاء إنما هو اعتدال المزاج، فمتى اعتدل المزاج كان الجسم في غاية الصحة والسلامة وسوف نذكر ذلك فيما بعد. ولكن ليكن على بالك أن ذلك كله مرجعه إلى اعتدال المزاج.

ثالثاً: إن سوء المزاج يقلل من حظ صاحبه من التعلم سواء أكان في العلوم الأخلاقية أو غيرها. وهذا الذي أشار إليه ابن ميثم البحراني في كتابه شرح مائة كلمة في ص ١٩ وهذا نصه: «وليس الخلق كذلك، ولا نفس الفعل لأن الفعل قد يكون تكليفياً، ثم إنه ليس شيء من الأخلاق بطبيعي في الأصل سواء أكان فضيلة أو رذيلة وإنما الطبيعي قبوله، وإن كان ذلك القبول للفضيلة أو الرذيلة مختلفاً بالسرعة والبطء بحسب اختلاف المزاج في قوة الاستعداد وضعفه لأحد الجنسين».

رابعاً: إن سوء المزاج يؤثر على الرؤيا في النوم بحيث يحرفها عن كونها في رؤيا صادقة؛ فقد ذكر أبو فتحي الكراجكي عن الشيخ المفيد ما هذا نصه:

«الرؤيا في المنام، وجدت لشيخنا المفيد رضي الله عنه في بعض كتبه أن الكلام باب رؤيا المنامات عزيز وتهاون أهل النظر به شديد والبلية بذلك عظيمة وصدق القول فيه أصل جليل، والرؤيا في المنام تكون من أربع جهات أحدها حديث النفس بالشيء والفكر فيه حتى يحصل كالمنطبع في

النفس فيخيل إلى النائم ذلك بعينه وأشكاله ونتائجه وهذا معروف باعتبار الجهة الثانية من الطبائع، وما يكون من قهر بعضها لبعض فيضطرب له المزاج ويتخيل لصاحبه ما يلائم ذلك الطبع الغالب؛ من مأكول ومشروب ومرئي وملبوس ومبهج ومزعج. وقد نرى تأثير الطبع الغالب في اليقظة والشاهد حتى إن من غلب عليه الصفراء يصعب عليه الصعود إلى المكان العالي يتخيل له من وقوعه منه ويناله من الهلع والزمع ما لا ينال غيره، ومن غلبت عليه السوداء يتخيل له أنه قد صعد في الهواء وناجته الملائكة ويظن صحة ذلك».

خامساً: إن سوء المزاج قد يؤثر على نفس تكوين الولد والجنين، وقد ذكرنا ذلك في ما تقدم. ولكن نورد تعليقة صاحب البحار في ج٤٧، ص ٦٦ على هذه الرواية: قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام:

«يا علي لا تجامع أهلك ليلة النصف ولا ليلة الهلال، أما رأيت المجنون يصرع في ليلة الهلال وليلة النصف كثيراً».

قال صاحب البحار تعليقاً على هذه الرواية ما هذا نصه: «لما كان القمر يؤثر في الكرة الأرضية تأثيراً طبيعياً موجباً لبروز آثار في المواد الأرضية، فيمكن أن يؤثر في المزاج أيضاً على نحو تظهر آثاره في الأولاد والأعقاب».

سادساً: إنَّ سوء المزاج يوجب ضعف الإنسان عن القيام بالعمل الموكل إليه أو الراغب في تحقيقه كما يجب. وذلك لأنه لا تكون نفسه مقبلة عليه فتنفر نفسه منه فلا يحصله.

سابعاً: إن سوء المزاج يبعد الإنسان عن التفوق والإبداع والتقدم العلمي، وهذا واضح بأدنى تأمّل ولذلك ينصح من يجد في نفسه الفتور

وعدم الرغبة وسوء المزاج أن يترك العمل، حتى تستريح نفسه من العناء لكي تقدم على العمل وهي في أحسن حالاتها مما يلزم ظهور آثارها بأكمل وجه.

○ النقطة الرابعة: أسباب تغير المزاج

لقد تقرر مما تقدم أن لكل شخص مزاجاً خاصاً به وأن هناك مزاجاً عاماً وهو المزاج النوعي والإقليمي كما ذهب إليه ابن سينا في القانون. ونحن إذا أردنا أن نعرف سبب فساد المزاج واعتداله لا بد أن نعرف سببه، وكيف يحصل المزاج. ولقد ثبت مما سبق أن المزاج هو كيفيات تجتمع بحيث تصير كيفية واحدة وأنه من المعلوم بالبداهة أن في هذا العالم لا يوجد شيء اعتباطاً ولا عبثاً وأننا في قانون العلية والسببية أي أن لكل أمر علة وسبباً والمزاج أمر، فلا بد أن يكون له سبب. وعند التأمل والنظر الدقيق لا نجد أن سبب تغير المزاج راجع إلا إلى أمرين:

الأمر الأول: ويلاحظ بلحاظين وهما:

اللحاظ الأول: ما يكون في المزاج الجسماني وهو راجع إلى الأخلاط والكدورات من غلبة الصفراء على السوداء أو العكس أو غلب أحد الأخلاط وعدم اعتدالها، مما يؤثر سلباً على نفس الإنسان بحيث تثخن الروح وتكون كثيفة بدل أن تصبح لطيفة.

اللحاظ الثاني: وقد يكون راجعاً إلى نفس النفس بحيث تتغلب عليها إحدى القوى والملكات البهيمية أو السبعية أو الربانية من غير اعتدال، فيخرج منها آثار لتلك القوى المستحكمة في بقية الملكات الأخرى ويكون فعله آثاراً لتلك القوى المسيطرة على البقية، فتخرج عن

حدّ الاعتدال فيكون سيّئ المزاج أو قد يكون متفقاً من حيث اعتدال المزاج الجسماني أو النفس فيكون في أحسن حالاته ويطلق عليه معتدل المزاج. وهذا من جهة النفس والجسد.

الأمر الثاني: ما يكون مرجعه تأثيره من خلال الكون والأمور الخارجية عن النفس والجسم، وذلك من الأمور الكونية وهذا الذي أشار إليه ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) في ج ٦، ص ٢١٠ وهذا نصه:

«لما كانت تغيرات الهواء، إنما تحدث بحسب أحوال الشمس والقمر والكواكب المتغيرة والثابتة، صارت معرفة هذه التغيرات قد تدرك من النجوم مع سائر ما يتبعها من الرياح والسحاب والأمطار والثلج والبرد والرعد والبرق، لأن الأشياء التي تلي الأرض وتصل إليها هذه الآثار من الهواء المحيط بها، كانت الأعراض العامية التي تعرض في هذه الأشياء تابعة لتلك الآثار مثل كثرة مياه الأنهار وقلتها، وكثرة الثمار وقلتها وكثرة خصب الحيوان وقلته، والجدوبة والقحط والوباء والأمراض التي تحدث في الأجناس والأنواع، أو في جنس دون جنس، أو في نوع دون نوع، وسائر ما يشاكل ذلك من الأحداث. ولمّا كانت أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن، وكانت الأحداث التي ذكرناها مغيرة لمزاج البدن، صارت أيضاً مغيرة للأخلاق، ولأن المزاج الأول الأصلي هو الغالب على الإنسان في الأمر الأكثر، وكان المزاج الأصلي هو الذي طبع عليه الإنسان في وقت كونه في الرحم، وفي وقت مولده وخروجه إلى جو العالم صار وقت الكون ووقت المولد أدل الأشياء على مزاج الإنسان، وعلى أحواله التابعة للمزاج، مثل خلقة البدن، وخلق

النفس والمرض والصحة، وسائر ما يتبع ذلك، فهذه الأشياء وما يشبهها من الأمور التي لا تشارك شيئاً من الأفعال الإرادية فيه مما يمكن معرفته بالنجوم، وأما الأشياء التي تشارك الأمور الإرادية بعض المشاركة، فقد يمكن أن يصدق فيها هذا العلم على الأمر الأكثر، وإذا لم يستعمل فيه الإرادة جرى على ما تقود إليه الطبيعة. على أنه قد يعرض الخطأ والغلط لأصحاب هذه الصناعة من أسباب كثيرة، بعضها يختص بهذه الصناعة دون غيرها، وبعضها يعمها وغيرها من الصنائع».

○ النقطة الخامسة: اعتدال المزاج

اعتدال المزاج هو أن تكون النفس في حالة من اللطف ووسيطة الملكات، وكون الجسم بحالته الطبيعية التي تلائم وجوده، وعدم وجود نقص فيه. والمزاج هو قبوله للشيء العارض عليه فهو مقتضٍ للأمر وليس علة تامة في الفعل. وقد ذكر العلامة محمد الريشهري في ميزان الحكمة ج ٤، ص ٣٤١١ ما هذا نصه:

«فيختلف انعقاد الملكات بحسب ما يناسب المورد سرعة وبطئاً. ومع ذلك كله فليس تخرج دعوة المزاج المناسب لملكة من الملكات أو عمل من الأعمال من حدِّ الاقتضاء إلى العلية التامة، بحيث يخرج الفعل المخالف لمقتضى الطبع عن الامكان إلى الاستحالة ويبطل الاختيار، فالفعل باق على اختياريته وإن كان في بعض الموارد صعباً غاية الصعوبة».

وقال الشيخ الطوسي في شرح كلام ابن سينا في (الإشارات) ما هذا نصه: «إعلم أن انكسار تضاد الكيفيات واستقرارها على كيفية متوسطة

وحدانية نسبة مالها إلى مبدئها الواحد، وبسببها تستحق لأن يفيض عليها صورة أو نفساً تحفظها فكلما كان الانكسار أتم كانت النسبة أكمل والنفس الفائضة بمبدئها أشبه».

ذكر حسن زاده آملي في كتابه (عيون مسائل النفس) عن الشيخ الرئيس حديثه عن المزاج في ٢٩٠ ما هذا نصه: «قد تبين في العلوم الطبيعية أن الأخلاق والعادات تابعة لمزاج البدن، حتى إن من استولى البلغم على مزاجه استولى عليه السكون والوقار والحلم، ومن استولت الصفراء على مزاجه استولى عليه الغضب، ومن استولت عليه السوداء استولى عليه سوء الخلق، ويتبع كل واحد منها أخلاق أخر لا نذكرها هنا، فلا شك أن المزاج قابل للتبديل، فتكون الأخلاق أيضاً قابلة للتبديل بواسطة تبديل المزاج. فيعين على ذلك استعمال الرياضة المذكورة في كتب الأخلاق فمهما اعتدل مزاج الإنسان تهذّبت أخلاقه بسهولة فلاعتدال مزاجه أثر في ذلك.

والمزاج الخارج عن الاعتدال تكون إحدى كيفياته الأربعة أو اثنتان منها غالبة عليه مثلاً أن يكون أحر مما ينبغي أو أيبس مما ينبغي. وهذه الكيفيات الأربعة متضادة، فالمزاج الخارج عن الاعتدال يكون مشتملاً إما على ضد أو على ضدين، أي ليس فيه حرارة ولا برودة بل كيفية متوسطة بينهما، وكلما كان المزاج أقرب إلى الاعتدال كان الشخص أكثر استعداداً لقبول الملكات الفاضلة العلمية والعملية».

وذكر ابن عربي في (الفتوحات المكية) في الباب الثمانين وأربعمائة في حال قطب كان منزله (وآتيناه الحكم صبيا) بهذه الأبيات وهي:

من المزاج قوى الإنسان أجمعها   روحاً وجسماً فلا تعدل عن الرشد

بذاك يضعف في حال تصرفها لعله قبلتها نشأة الجسد
فإن بدا لك ما يذهب بعادتها فذاك حكم الإله الواحد الصمد

وفي هذه الأبيات معانٍ دقيقة يلتفت إليها أصحاب المعنى والذوق الرفيع، وهي تشير إلى أن كل القوى الإنسانية التي تحول الإنسان وتغيره راجعة إلى المزاج ومتى اعتدل المزاج كان قابلاً للفيوضات، سواء أكانت من جهة النفس أم البدن. ولذلك روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «بصحة المزاج توجد لذة الطعم».

وفي رواية أخرى عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن بعض أصحابه رواه، عن رجل من العامة قال: «كنت أجالس أبا عبد الله عليه السلام فلا والله ما رأيت مجلساً أنبل من مجالسه قال: فقال لي ذات يوم: من أين تخرج العطسة؟ فقلت: من الأنف، فقال لي: أصبت الخطأ، فقلت: جعلت فداك من أين؟ فقال: (من جميع البدن كما أن النطفة تخرج من جميع البدن ومخرجها من الإحليل)، ثم قال: أما رأيت الإنسان إذا عطس نُفض أعضاؤه وصاحب العطسة يأمن الموت سبعة أيام». وقال شارح المازندراني في شرح الكافي على هذه العبارة قوله: «وما رأيت مجلساً أنبل من مجالسه» أي أفضل أو أنجب وأعظم وأكبر من النبل وهو الفضل والنجابة وفعله ككرم. (وصاحب العطسة يأمن الموت سبعة أيام) لخروج الريح المنتشر في الأعضاء وحصول خفة البدن وصفاء الروح واستقامة المزاج وميله إلى الاعتدال في الجملة.

○ النقطة السادسة: كيف نعدل المزاج؟

مما تقدم ظهر أهمية هذا البحث في علم التربية وأنه يعد من أهم

المباحث التي يجب أن يتناولها الباحث في التربية، ولاسيما أنه متى اعتدل المزاج لم نحتج إلى شيء آخر نقوم بإصلاحه؛ لأنه متى صلح المزاج صلحت النفس والبدن، وهو المراد في علم التربية الدينية والدنيوية.

والآن نطرح سؤالاً كيف يمكن لنا أن نصلح المزاج وأن نعدله؟

في الجواب نقول ما يلي:

أولاً: إزالة كل أمر يوجب التوتر سواء أكان من غضب أو فرح شديد. ويراعى في أموره الوسطية.

ثانياً: تهيؤ النفس إلى الراحة وعدم تعريضها إلى العناء الشديد. من الرياضات الشرعية أو غيرها بشكل لا يتحمله الفرد بحسب مزاجه.

ثالثاً: مراعاة الأطعمة المناسبة للجسد بما يوافق حاجته وعدم الإفراط أو التفريط سواء في الأكل أو المنع منه، ويلاحظ كل على حسب مزاجه من الحرارة والبرودة و اليبوسة والرطوبة. وقد ذكر ابن سينا في (القانون) فراجع.

رابعاً: السعي إلى ترويح النفس والجسد من خلال التعرض إلى الأجواء المناسبة والطيبة الملائمة لهما، كالذهاب إلى الرياض الخضراء والتعرض إلى النسيم العليل وما يوافق الهواء الصافي.

خامساً: ترويض النفس والبدن على الملكات الأخلاقية الفاضلة وقهر البدن على ذلك.

سادساً: ترويض البدن على الجوع غير المؤذي للإنسان بحيث يحصل على فوائده كما ذكر ذلك المناوي صاحب (فيض القدير شرح الجامع الصغير) ج ٢، ص ١٠٤ قال:

«تنبيه»: قال ابن العربي: للجوع حال ومقام، فحاله الخشوع والخضوع والذلة والافتقار وعدم الفضول وسكون الجوارح وعدم الخواطر الرديئة. هذا حال الجوع للسالكين أما حاله للمحققين فالرقة والصفاء والمؤانسة والتنزّه عن أوصاف البشرية بالعزة الإلهية والسلطان الرباني، ومقامه المقام الصمداني، وهو مقام عال له أسرار وتجليات، فهذه فائدة الجوع للمريد لا جوع العامة فإنه جوع صلاح المزاج وتنعيم البدن بالصحة فقط».

سابعاً: تعليم الإنسان قبول القضاء والقدر وأن ما يقع عليه وكان خارجاً من يده أنّ فيه خيراً له حتى يحصل على حالة الاطمئنان وهي توجب استقرار النفس لما يحدث لها من المصائب مما يلزم تحمل البدن العناء، فلا يخرج عن حد الاستواء وعن حدِّ الاعتدال.

ثامناً: الاستفادة من النسيان الذي يوجد عند الإنسان للمحافظة على اعتدال المزاج. وذلك أنه قد يعرض للطفل الصغير ما يكدر صفو عيشه لأنه فقد شيئاً أو أحب أمراً ولم يحصل عليه فتراه يبكي بكاء، ولكن سرعان ما ينساه الطفل لانشغاله بأمر آخر، عندها يلزم على المربين أن يستفيدوا من هذه النعمة العظيمة في الحفاظ على نفسية الطفل وعدم تذكيره بالأمور التي توجب له الحزن والبكاء فتسوء أخلاقه، بل يجب أن يستفاد من تلك الحالة بأن يقوموا هم بتنسيته الأمور التي يجب أن لا يذكرها لتأثيرها على نفسيته أو على سلوكه. ونحن عندما نلاحظ الطفل الصغير نجده سرعان ما ينسى ويغفل عما كان يريده سابقاً، وما جعل الله فيه هذه الميزة إلا من أجل ما ذكرنا، فتأمل.

وهناك أمور كثيرة تساعد على اعتدال المزاج في النفس والبدن

فتعمل ليكون عندها الجسد والروح قابلين للملكات والاستعداد لما يوجهان إليه.

وهناك مطالب كثيرة في مباحث المزاج أعرضنا عنها ابتغاء الاختصار الذي عهدنا أنفسنا به؛ فإذا أردتها فراجعها في المطولات.

الفصل العاشر
الإنسان الكامل

اعلم - سددك الله - أن كل ما تقدم من الفصول والمعارف التي مصدرها معادن اللوح المحفوظ، ومعادن العظمة والإشراقات الإلهية لخلفائه في أرضه، ومن سار في طريقهم ما هي إلا مقدمة لهذا الفصل الذي نحن بصدده، ومع كونه المهم في ما تقدم إلا أننا نذكره إشارة واختصاراً لأن التفصيل فيه والتحقيق يأخذ المباحث الكثيرة ويحتاج إلى الصمدي في العلوم الإلهية، والمعارف الحق. ونحن نقتفي بآثارهم والعلوم التي توصلوا إليها لنقدمها لك في هذا الفصل بشكل نقاط كأسلوبنا في هذا الكتاب.

○ النقطة الأولى: حقيقة الإنسان

إن الإنسان له حقائق وكل حقيقة من الحقائق في مرتبة معينة من الوجود فالإنسان له ثلاث مراتب وكل مرتبة لها مراتب بحسبها لا نتعرض لها.

المرتبة الأولى: الوجود المادي: وهو العالم المشهود أنزل مراتب الوجود ويتميز عن غيره بتعلق الصورة الموجودة فيه بالمادة وارتباطها بالقوة والاستعداد.

المرتبة الثانية: الوجود المثالي: وهو ما يسمى بعالم البرزخ لتوسطه

بين العقل المجرد والجوهر المادي والخيال المنفصل لاستقلاله عن الخيال الحيواني المتصل به، وهو عالم مفارق للمادة دون آثارها. كما ذهب إلى ذلك السيد الطباطبائي في (بداية الحكمة).

المرتبة الثالثة: الوجود المجرد: وهو حقيقة الإنسان كما هي من العوالم التي تشكلت حقيقته وظهرت بها عليه يوم القيامة من التجرد عن المادة وآثارها.

ومن خلال هذه النظرة السريعة يجب علينا في عالم التربية أن ننظر إلى الطفل ليس في عالم واحد، بل إلى العوالم الأخرى وفي النشأة الثانية؛ فمتى كانت التربية ناظرة إلى تلك العوالم كانت التربية صحيحة، أي أنه يجب أن ننظر إلى الطفل لا بما هو مادة فقط بل بما هو في النشآت الأخر. ومن هنا قال أحد العلماء الأجلاء: إنه ليس من الصعب أن يكون الإنسان عالماً ومن الصعب أن يكون إنساناً.

أقول: وعنى ذلك العالم الجليل أن يكون الإنسان كاملاً لا صورة الإنسان فتأمل.

○ النقطة الثانية:

إن الروح لما تنزلت إلى عالم المادة احتاجت إلى ما تستطيع من خلاله في هذا العالم من العمل في العالم المادي فكان الجسد هو آلة الروح في الحياة الدنيا؛ فإن النفس محبوسة في هذا البدن، وإن البدن المادي ليس هو الإنسان الحقيقي في تلك المرتبة. ومن هنا نجد الرواية تقول: «إن الله لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم» أي إلى حقائق وجودكم. وإن هذا البدن الذي نحن فيه ما هو إلا لباس في عالم الدنيا

وعندما نصل إلى مرحلة أخرى ألطف وأرق نخلع لباس البدن المادي، ويبقى عندنا البدن المثالي الذي هو ألطف من البدن المادي. ومن هنا يجب أن نهتمّ في حقيقة الإنسان لا ظاهره في عالم التربية. فقد يكون الإنسان صحيحاً في الجسد المادي إلا أنه في الجسد المثالي وفي عالم التجرد معوق ومشوه.

وهذا واضح جداً؛ فقد قال الله تعالى عن لسان البعض في يوم القيامة مخاطباً الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾(١).

فإن الآية الشريفة واضحة في أن الإنسان قد يكون في هذا العالم صحيحاً معافى إلا أنه في عالم المثال وعالم الشهود يوم القيامة حقيقته هو العمى، وأن هذا العمى ليس اعتباطياً بل له سبب وهو إعراض عن ذكر الله في عالم الدنيا، فمن يشرب سمّاً قاتلاً فإن بدنه يتلف ويموت وسبب موته هو شرب السم، وكذلك العمى في الآخرة سببه الإعراض عن ذكر الله.

فإذا تقرر ذلك عرف أنه يجب على المربي وعلى الوالدين أن يحافظا على ابنهما في جميع العوالم وليس في عالم واحد، وذلك من خلال التربية والتعليم والتأديب بما جاء عن الله وعن الرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، بل حتى الإنسان الكامل كرسول الله ﷺ يحتاج إلى مؤدب يؤدبه، ولكن المؤدب له هو الخالق لأن نبينا محمد ﷺ لا

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢٤ - ١٢٥.

يستطيع أحد أن يعلمه شيئاً؛ لأن حقيقته الوجودية أكمل من أي حقيقة أخرى فهو خاتم الأنبياء والمرسلين بل هو قاب قوسين أو أدنى من الحقيقة الكاملة ومع ذلك نجد الرسول الأعظم ﷺ يقول بعد نزول قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(١) قال ﷺ: «أدبني ربي بمكارم الأخلاق» صدق رسول الله ﷺ. فكان المؤدب له هو الله لأنه الكمال المطلق، وكان النبي هو المؤدِّب لأهل بيته وأصحابه وهم المؤدِّبون لنا ونحن المؤدبون لأبنائنا بما أدبنا رسول الله ﷺ.

○ النقطة الثالثة: الوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل

لكي يكون الإنسان إنساناً كاملاً لا بد أن يكون عبداً لله سبحانه وتعالى، لأن الكمال الحقيقي الذي ينشده الإنسان لنفسه هو افتقاره لله سبحانه وتعالى، وحقيقة ظهور الافتقار تكمن في حقيقة العبودية والتذلل لله جلَّ جلاله، وذلك لأنه متى كان الإنسان عبداً لله سبحانه وتعالى كان كاملاً؛ لأنه عندها يتحلى بأخلاق الله كما جاءت بها الرواية: «تخلقوا بأخلاق الله» وفعل الله هو الكمال، فيكون المتخلق بها كاملاً وهو المراد من وجوده ومن خلقه. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢). صدق الله العلي العظيم. فعليه لا بد أن يسلك المربي بولده مسلك التأدّب والتعليم وذلك باتباع المنهج القويم الذي جاء عن الله وأن يحبّب في نفسية الطفل حبَّ الله وحب رسوله وحب كل أمر أمرَ به الإسلام.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

فقد روي «أن النبي ﷺ سلم على غلام دون البلوغ وبشَّ له وتبسم فرحاً بالنبي. فقال النبي له: أتحبني يا فتى؟

فقال: إي والله يا رسول الله.

فقال له: مثل عينيك؟

فقال: أكثر.

فقال النبي: مثل أبيك؟

فقال: أكثر.

فقال: مثل أمك؟

قال: أكثر.

فقال: مثل نفسك؟

فقال: أكثر والله يا رسول الله.

فقال: أمثل ربك؟

فقال: الله الله يا رسول الله ليس هذا لك ولا لأحد، فإنما أحببتك لحبِّ الله. فالتفت النبي إلى من كان معه وقال: هكذا كونوا حبوا الله لإحسانه إليكم وإنعامه عليكم وأحبوني لحب الله».

ولا يصل الفرد إلى هذا المقام إلا بالتعلم والعلم الإلهي؛ فقد قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

فإن الإنسان هو ميّت وإن كان متحركاً؛ إذ الحياة المرادة ليس بالمصطلح عليها عندنا، فالحياة الحقيقية التي يجب أن ينشدها الإنسان هي الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والإيمان هو العلم والاعتقاد بوجود خالق له وبصفاته وتخلق بأخلاقه فمتى صار عالماً كان حياً ومتى كان حياً كان له نور يمشي به بين الناس، ولذلك يقال: (الناس موتى وأهل العلم أحياء). ولا يكون له نور إلا إذا اتحد العلم بوجوده بحيث يصح أن يصدر منه نوراً، ولا يتحد العلم بالعالم إلا إذا كان جزءاً منه فصار به عقلاً فعلاً، ومتى كان عقلاً فعلاً كان عبقرياً. وبذلك يصح أن يكون الولد حياً بحياة لا يموت بها بالبدن، صح عندها أن يطلب من الله أن يرزقه ولداً ويقول كما علمنا الله عن لسان المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1] وقال: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[2] صدق الله العلي لعظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وبهذا نكون قد انتهينا من كتابنا الموسوم بـ (عبقرية مبكرة لأطفالنا) في تاريخ ٤/ ٤/ ١٤٢٣ من الهجرة المباركة في قم المقدسة.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٩

الفهرس

الموضوع | الصفحة

إقرأ قبل أن تقرأ ٥
الإهداء ٧
حياتي بين حادثتين ٧
الحادثة الأولى ٧
الحادثة الثانية ٧
المُقدِّمة ٩

الباب الأول

مدخل ١٥
الفصل الأول: المرحلة الأولى ١٩
المرحلة الثانية ٢٢
تأثير الأكل على النطفة ٢٧
كيفية حصول الشبه ٣٢
اتصاف المولود بصفات مغايرة لذويه ٣٤
تعجيل الولادة ورفع العقم ٤٠
انتخاب نوعية الولد ٤٤
لا تأكلي هذا ٤٩
الفصل الثاني: المرحلة الثالثة ٥١
وقت الجماع ٥٤
الأوقات المنهي عنها ٥٥
الأوقات المستحبة للجماع ٥٧
الكيفية الممنوع عنها في الجماع ٥٩
الكيفية المسموح بها في الجماع ٦٢
المرحلة الرابعة ٦٤
الأمر الرابع ٧١
الأمر الخامس ٧٦

الأمر السادس ٧٨
الفصل الثالث: عند الولادة ٨١
الأمر الأول: السؤال عن استواء الخلقة ٨١
الأمر الثاني: لا يفرق بين الذكر والأنثى ٨٢
الأمر الرابع: التحنيك ٨٦
الأمر الخامس: لفُّ الطفل في خرقة بيضاء ٨٧
الأمر السادس: إطعام المرأة في نفاسها التمر ٨٨
الفصل الرابع: الرضاعة ٩١
الزاوية الأولى ٩١
الزاوية الثانية: المرضعة ٩٣
الزاوية الثالثة: غذاء المرضعة ٩٧
الزاوية الرابعة: كيفية الرضاعة ١٠٠
الزاوية الخامسة: حالة المرضع الروحية ١٠١
البكاء وأثره الإيجابي ١٠٤
أثر خروج الريق ١٠٩
الرضاعة في عصورنا الحاضرة ١١١
ملاحظات ابن سينا ١١٢
آداب اليوم السابع ١١٤
الأول: التسمية ١١٥
الجانب الأول: وقت التسمية ١١٥
الجانب الثاني: اختيار أحسن الأسماء ١١٦
الجانب الثالث: تغيير الأسماء القبيحة ١١٧
الجانب الرابع: أثر التسمية ١١٨
أولاً: محمد ١١٩
ثانياً: أثر اسم علي على الشخص ١٢٠
ثالثاً: آثار من تسمّى بأسماء أهل البيت ١٢١
الجانب الخامس: الأسماء المنهي عنها ١٢١
الثاني: الحلق ١٢٣
الثالث: الختان ١٢٥
الرابع: العقيقة ١٢٨

الخامس: أن يلطخ رأسه بالزعفران ١٣٠
ملحق ١٣١
يوم الولادة ١٣١

الباب الثاني

تمهيد ١٣٩
الفصل الأول: مصادر الثقافة لدى الطفل ١٤١
الطريق الأول: التقليد ١٤١
الطريق الثاني: الاستكشاف للعالم الخارجي ١٤٦
أ - ما يكون الاستكشاف لكل الأطفال على حد سواء ١٤٦
ب - ما يكون الاستكشاف فيه متفاوتاً (اللعب) ١٤٨
النقطة الأولى: اللعب حاجة روحية للطفل ١٤٩
النقطة الثانية: اللعب ميدان الاستكشاف ١٥٠
النقطة الثالثة: القدرة على التحليل والتوقع ١٥١
النقطة الرابعة: الثقة بالنفس ١٥٢
النقطة الخامسة: تعليم القيادة وحسن التخطيط ١٥٣
النقطة السادسة: تقوية الروابط الاجتماعية ١٥٤
مشاركة الطفل في لعبه ١٥٥
١ - تقوية الروابط بين المربي والطفل ١٥٥
٢ - تنمية قدرات الطفل الذهنية ١٥٧
٣ - تقوية القدرة اللغوية ١٥٨
الفصل الثاني: التعليم في سنٍّ مبكر ١٦٠
الطرق الحديثة للتعليم ١٦٤
الفصل الثالث: طريقة توجيه الخطاب إلى الطفل ١٦٨
تنبيه ١٧٢
الفصل الرابع: ثق بولدك ١٧٤
فنقول ١٧٧
الفصل الخامس: الطريقة المثلى للتفكير ١٧٧
تنبيه ١٧٩
الفصل السادس: تحديد الهدف للطفل ١٨٠

الفصل السابع: وقاية مبكرة من الشذوذ الجنسي ١٨٢
الفصل الثامن: مقاومة الإحباط لدى الطفل ١٨٩
الفصل التاسع: المؤثرات على شخصية الطفل ١٩٢
الأسلوب الأول: القصة ودورها التربوي ١٩٢
الأسلوب الثاني: تنظيم العمليات العقلية ٢٠٣
كيف يعمل العقل؟ ٢٠٦
الفرق بين الإدراك والدوافع ٢١٠
استحكام الفعل وعدمه ٢١٢
تطبيق نظرية في علم التربية ٢١٣
تطبيقات للنظرية ٢١٦
التأكد من تحول الفكر ٢١٩
الأسلوب الثالث: اعتدال المزاج ٢٢٢
النقطة الأولى: تعريف المزاج ٢٢٢
النقطة الثانية: المزاج غير النفس ٢٢٣
النقطة الثالثة: أثر سوء المزاج على الإنسان ٢٢٤
النقطة الرابعة: أسباب تغير المزاج ٢٢٩
النقطة الخامسة: اعتدال المزاج ٢٣١
النقطة السادسة: كيف نعدل المزاج؟ ٢٣٣
الفصل العاشر: الإنسان الكامل ٢٣٧
النقطة الأولى: حقيقة الإنسان ٢٣٧
النقطة الثانية ٢٣٨
النقطة الثالثة: الوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل ٢٤٠
الفهرس ٢٤٣

عبقرية مبكّرة لأطفالنا

قد يجول في خاطرك أن تشكّل ولدك كيفما تحب...

- أن يكون عبقرياً منذ الولادة...
- أن يصبح جميلاً...
- أن يدو ولداً أو بنتاً...
- أن تغيّر تفكيره لو انحرف...
- أن تجعله صحيح المزاج قوي البُنية
- أن يضحى متميّزاً... و... و...

هذا وأكثر كلّه بإمكانك لو اكتشفت القوانين والسنن الكونيّة لذلك.

وهذا الذي ستجده بين يديك في هذا الكتاب الرائع حقّاً.

دار المحجّة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١
ص.ب: ١٤ / ٥٤٧٩ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com